

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

المآخذ العقدية فيما اشتهر من الأحزاب والأوراد الصوفية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تخصص العقيدة

إعداد الطالبة:

أمل عبد العزيز حسن الظفيري

الرقم الجامعي: (٤٣٨٨٠٤٧٢)

إشراف فضيلة الشيخ

أ. د. سالم محمد القرني

١٤٤١-١٤٤٢هـ




بسم الله الرحمن الرحيم

الملخَّص

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام على مَنْ لا نبيَّ بعده:

هذه رسالةٌ علميَّةٌ مقدَّمةٌ مِنَ الباحثة: أمل عبد العزيز الظفيري

لنيل درجة الماجستير في تخصُّص العقيدة/ جامعة أمِّ القُرى؛ وهي بعنوان:

"المآخذ العقديَّة فيما اشتهر مِنَ الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة"

وقد تناولتُ فيها الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة، وبيان ما خالطها مِنِ انحرافٍ عقديٍّ قد يُفضي بمُعتَقِدِه إلى الشِّرك والكفر، ومُخالفتها لما جاء في كتاب الله ﷻ وسنَّة نبيِّه ﷺ الصَّحيحة الثَّابتة.

وبيّنتُ فيها المشروع والممنوع في الأذكار والأوراد، مُعَرِّجَةً على أهمِّ طُرُق الصُّوفيَّة، وأهمِّ عقائدها وأبرز الشَّخصيَّات فيها، مع ذكر أهمِّ المؤلَّفات في الطُّرُق الصُّوفيَّة، وأهمِّ ما تمَّ تأليفه في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة.

وقد استعرضتُ هذا الموضوع في تمهيدٍ وأربعة فصولٍ وخاتمةٍ:

التَّمهيد: ويحتوي على تعريف الصُّوفيَّة ونشأتها، ومراحل تطوُّرها.

الفصل الأوَّل: بيان أهمِّ مصادر التَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة، وأشهر عقائدهم.

الفصل الثَّاني: ذكر أشهر الطُّرُق الصُّوفيَّة، نشأتها وعقائدها.

الفصل الثَّالث: النَّقد العامُّ على الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة.

الفصل الرَّابع: أهمُّ المآخذ العقديَّة في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة،

وبوَّبتُها بحسب أبواب العقيدة.

الخاتمة: وضمَّنتُها أهمَّ النَّتائج والتَّوصيات الَّتي خلصتُ بها مِنَ البحث؛ ومنها:

- أهمِّيَّة التَّنبُّه للأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة، وما فيها مِنْ مزالق عقديَّةٍ، قد تُفضي بقائلها إلى الكفر والإشراك بالله ﷻ.
- الأحزاب والأوراد مِنْ أهمِّ وسائل الصُّوفيَّة في بثِّ أفكارهم، ونشر عقائدهم الباطلة.
- عدم الاغترار بالأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة عند شحنها وملئها بالآيات والنُّصوص الشَّرعيَّة، بل يجب عرضها على الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة الثَّابتة.

Abstract

Praise be to Allah, and prayers and peace be upon whom there is no prophet after.

This is an academic dissertation submitted by the researcher, Amal Abdulaziz Al-Dhafeeri to obtain the Master's Degree in the Major of Aqeedah from Umm Al-Qura University with the following title: "The Doctrinal Flaws in the Common Sufi Units and Chapters of Dhikr".

I have tackled the Sufi Units and Chapters of Dhikr and explained the doctrinal deviation that they contain and which lead its believer to polytheism and blasphemy. They are inconsistent with the Allah's Book and the Prophet's sound Sunnah.

I explained the permissible and the prohibited in the Dhikr and wirds, referring to the most important Sufi orders (Turuk), the most important beliefs, the most prominent personalities, the most important literature on the Sufi orders, and the most important authored materials in the Sufi Units and Chapters of Dhikr.

I have presented this topic in an introduction, four chapters and a conclusion.

The introduction: The definition of Sufism, its establishment and stages of its progress.

The first chapter: Clarification of Sufism's most important sources of reception and evidence and the most famous beliefs.

The second chapter: Explanation of Sufi orders, their creation and beliefs.

The third chapter: General criticism on Sufi Units and Chapters of Dhikr.

The fourth chapter: The most significant doctrinal flaws Sufi Units and Chapters of Dhikr and I classified them according to the entries of Islamic doctrine.

The conclusion: The most important results and recommendations that the researcher found.

- The importance of being alert to the Sufi Units and Chapters of Dhikr and the doctrinal drawbacks they contain and may lead to blasphemy and polytheism.
- The Sufi Units and Chapters of Dhikr are the most important tools of Sufism to disseminate its ideologies and spread its false beliefs.

Not to be fooled by the Sufi Units and Chapters of Dhikr when fed with texts of the Qur'an and Hadith. They should be compared to the Holy Qur'an and authentic Sunnah.

شكرٌ وتقديرٌ

أحمد الله ﷻ عَلَى تمام النعمة واكتمال المِنَّة؛ فهو الـمُعين عَلَى ما تقدَّمَ، وهو صاحب الفضلِ، المُقدِّم والمُؤخِّر، فأحمده سبحانه عَلَى تيسيره سبل العلم والتعلم، وامتنانه عليَّ بإتمام هَذِهِ الرسالة، فالحمد لله حَمْدَ الشاكرين الذاكرين أنْ بلَّغني هَذا اليومَ الَّذِي تسعد بِهِ نفسي، ويسعد بِهِ أحبائي، وتتحقق فيه أمنية والدي الغالي بإتمامي لدراستي، ولا يسعُني في هَذا المقام إلا أنْ أشكر "والدي الغالي" لعظيم فضْله وكرمه؛ فقد كان مُعلِّمي الأول الَّذِي زرع في قلبي حُبَّ العلم والتعلم، وملأ روحي بحب القراءة والاطلاع والبحث منذ طفولتي حتى شبَّ عُودي.

"والدي الغالي"، أضع بين يديك ثمرةَ حُلمك وحُلمي الَّذِي تحقَّق بفضل الله ﷻ، ثم ما دثَّرتني بِهِ -مِن دعاءٍ ورجاءٍ- أنتَ وحبيبتي "أمي الغالية" التي لم تدَّخِر وُسْعها في إسعادي وتَطْميني؛ فقد كنتُ شُغْلَها الشاغلَ -ولا زلتُ- فتستقبلني بابتسامةٍ، وتودِّعني بدعوةٍ حانيةٍ تنير بها طريقي، ألتمسها بجميل سِتر الله عليَّ، فجزاكما الله خير ما يجزي والداً عن ولده.

كذا أتقدَّم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لرفيق دَرْبي وصاحبي في حِلِّي وتِرْحالي، مَن تحمَّل مشقة البُعد والاغتراب في سبيل تحقيق طموحي وأملي، مَن ذلَّل صعاب الحياة ومُنغِّصاتها في سبيل راحتي: "زوجي العزيز- مُساعِدٍ"، الَّذِي قاسمني هموم المرحلة وتَبِعاتِها، فجزاه الله عني خير الجزاء وأوْفاه.

وأُعرِّج بالشكر عَلَى مَن حملوا هَمِّي، وفَرِحوا لفرحي، وضاقوا لضيقي: إخوتي وأخواتي، أكبركم يصْغُرُني، إلا أنكم احتويتموني كالطفلة بينكم، كنتم خيرَ مُعينٍ لي -بعد الله ﷻ- في اجتياز المرحلة، كنتم سنداً وعوناً، بَلْسماً ورحيقاً، كنتم خيرَ مَن خَلَفني في بِرِّ "والدتي" في غيابي، فجزاكم الله خير ما يجزي إخوةً عن أختهم.

وأشكر مَن كانت لي أختاً حانيةً، وقلباً رؤوماً، مَن مدَّتْ إليّ يداً تحمل لي كل الحب والتقدير، مُتلَمِّسةً حاجاتي ورغباتي، ومَن حملت معي آمالاً عِظاماً وأحلاماً كِباراً: أختي وصديقة روحي "سعاد العنزي"، فجزاها الله خير ما يجزي صاحباً عن صاحبةٍ؛ لكل ما قدَّمتْ، ودَعَتْ، ورَجَتْ.

كذا يسرني أنْ أتقدَّم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير لوطني الغالي: "دولة الكويت" -مُمَثَّلاً في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- عَلَى تيسير انضمامي لرَكْب الدراسات العليا، وتوفير جميع سبل الرعاية للطلبة المُبتعَثين، والشكر موصولٌ إلى إدارة جامعة أم القرى عَلَى ما

تُولِيه مِن رعايةٍ واهتمامٍ بطلبة العلم عامةً، والمبتعَثين خاصةً، وللأساتذة والمشايخ الفضلاء الَّذِينَ كان لهم الفضل -بعد الله- في إتمام هَذِهِ الرسالة، وإخراجِها في صورتها النهائية، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ أ. د. سالم القرني -حفظه الله ورعاه- الَّذِي تفضَّل بالإشراف عَلَى هَذِهِ الرسالة، وسخَّر جميع إمكاناته العلمية والعملية في خدمة العلم وأهله، وأشكر كلاً مِن المشايخ الفضلاء: فضيلة الشيخ أ. د. عبدالله الدميجي، و أ. د. لطف الله خوجة، و د. صالح الزهراني، و د. بدر الغيث، وجميع مَن شرُفْتُ بالتتلمذ عَلَى أيديهم في مرحلة الماجستير.

وأتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الكرام: سعادة أ. د. سلوى المحمادي، وفضيلة د. عبد الله آل حوفان -حفظهما الله تعالى- عَلَى تفضُّلهما بقبول مناقشة الرسالة.

وأخصُّ بالشكر والتقدير ووافر الامتنان أستاذي ومعلمي: "د. فواز رضوان" عَلَى ما بذله وتكرَّم بِهِ عليَّ مِن جهدٍ وعلمٍ ووقتٍ منذ أنْ كانت هَذِهِ الرسالة فكرةً وليدةً حتى انتهت إلى ما هي عليه.

وأشكر كلَّ مَن أحسن إليَّ بكلمةٍ، وغمرني بدعوةٍ، وكان له في مسيرتي العلمية علامةٌ وبَصْمةٌ، وقدَّم لي معروفاً، أو زادني طموحاً وهِمَّةً، وجاد لي مِن حفاوة نفسه وعطائه وكرمه، وإنْ لم أذكر اسمه.



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله مِنْ شُرُور أنفسنا ومِنْ سيِّئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، أدَّى الأمانة، وبلَّغ الرِّسالة، ونصح للأمَّة، وتركها على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلَّا هالكٌ، أمَّا بعد:

فلقد بعث الله محمَّدًا ﷺ على حين فترةٍ مِنَ الرُّسُل، ودروسٍ مِنَ السُّبُل، وانتشارٍ للجهل، واندراسٍ للعلم، وخبأ الحقُّ حتَّى انطمست آثاره، وانطفأت أنواره، فكانت نتائج بعثته أن بَيَّنَ الله ﷻ به العِلل، وأبان به الخَلل، وأصلح به الزَّلل، وكان على ذلك حتَّى توفَّاه الله ﷻ بعد أن أكمل الله ﷻ به الدِّين وختم به النُّبوَّات، وأنزل عليه أعظم الرِّسالات، لم يُترك فيها لقائلٍ مقالٌ، ولا لمنتقصٍ سبيلٌ ولا احتيالٌ، وليس لطاعنٍ مدخلٌ، ولا ربح السِّجال، كَمُلَتْ مِنْ عنده ﷻ في الأقوال والفِعال، لا إله إلَّا هو ذو العظمة والجلال، قال تعالى في كمالها: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ٣﴾ [سورة المائدة:٣]. وقال مُبَشِّرًا بحفظها ما قامت السَّماوات والأرضين: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [سورة الحجر:٩]، وسنَّته في ذلك تبعٌ فإنَّها مِنَ الذِّكر، وواقع الأمَّة يشهد بأنَّ الله ﷻ حفظ السُّنَّة كذلك، حيث انتدب لها مِنْ حُفَّاظ الأمَّة ورجالاتها مَنْ ضبط ألفاظها ومعانيها، وبيَّن إعجازها وجميل مبانيها، ووعد الله ﷻ أن تبقى كذلك ما دام في الأمَّة طائفةٌ بالحقِّ ظاهرين وبالسُّنَّة قائمين، وعلى الدِّين سائرين وبمنهاج النُّبوَّة مستمسكين، وهم كذلك وعلى ذلك حتَّى يأتي أمر الله ﷻ، وما زاغ مِنْ زاغ مِنَ الأمَّة إلَّا مَنْ تنكَّب عن طريق الهدى، وسلك سبيل الرَّدى، وتبع في ذلك الطَّوائف المبتدعة، فضلَّ عن الطَّريق المستقيم حين عمد إلى نفسه وألزمها بما لا يلزمها، واتَّبع في ذلك هواه وشهوته في فهم نصوص الكتاب والسُّنَّة، والابتداع في الدِّين ما ليس منه تضليلًا وجهلًا.

إذا عُلِمَ هذا فإنَّ مِنْ أكثر الفرق ابتداعًا؛ والَّتي تَظْهَرُ بدعتها وضلالتها بوضوحٍ تامٍّ لمُخالفتها الفطر والعقول السَّليمة؛ هي فرقة الصُّوفيَّة، فقد ابتدعوا في دين الله ﷻ ما ليس منه، مدَّعين بأنَّ ما أتوا به مِنْ ضلالٍ، إنَّما هدفه أن يُقرِّبهم إلى الله زُلفى، وليس يُقرِّب إلى الله ﷻ إلَّا التَّمسُّك بدينه ووحيه.

وعماد الصُّوفيَّة في ضلالهم أنَّهم أعطوا ما لم يُعطَ غيرهم مِنَ الكرامات والحظوات والكشوفات والإلهامات مِنْ ربِّ الأرض والسَّماوات، ومشايخ الطُّرُق لديهم مجتهدون كالفقهاء، بل مراتبهم أفضل مِنَ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، انخدع بهم فئامٌ مِنَ البشر لإظهارهم العبادة والزُّهد، حتَّى خدعوا العامَّة الَّذين أحسنوا الظَّنَّ بهم معتقدين أنَّهم مِنْ أهل الدِّيانة والصَّلاح، فكلُّ نفسٍ طَيِّعَةٍ صالحةٍ تتوق لترك الدُّنيا وملذَّاتها والإقبال على الآخرة والعمل لها يسهل خداعها بمظاهر العبادة والزُّهد.

ومع فشوِّ أمرهم في الوقت الحاليّ، ونشرهم لبدعهم بشتَّى الوسائل، حتَّى لَبَّسُوا للأمر غير لَبُوسَه، ولم يعد الصُّوفيُّ ذاك الرَّجل الدَّرويش الفقير، الَّذي يتكفَّف المارَّ عطاياه، والمزابل والحشوش مأواه، بل قد نجد مِمَّنْ يعتنق الصُّوفيَّة مذهبًا ومعتقدًا ودعوةً هو مِنْ عِلِيَة القوم وساداتهم وكُبرائهم؛ مِمَّنْ يتبوَّأ المناصب الرَّفيعة العالية، ومنهم مَنْ تَلَبَّسَ بالعلم وتَشَبَّهَ بأهله، حتَّى أصبح له طلاب علمٍ ومُريدون، وهم مع هذا مجتهدون في نشر بدعهم وضلالاتهم بشتَّى الوسائل، وقد يُسَمُّونها بغير اسمها، ويرسمونها بغير رسمها، فيسهل الانخداع بهم والانجذاب لآرائهم.

فلَبَّسُوا على النَّاس عقائدهم وأديانهم وعباداتهم، وخلطوا بين الحقِّ والباطل حتَّى تروج بضاعتهم ويقوم سوقهم وتنتشر عباداتهم وعقائدهم.

ولأجل هذا الخطر الدَّاهم، ودفاعًا عن الأمَّة هجمة الصَّائل، فقد رأيت أن أدفع –على قدر الجهد والاستطاعة– عن الأمَّة بعض الشُّبَهِ الَّتي تبنَّتها فرق الصُّوفيَّة، وأُبَيِّنُ للعامَّة والمنخدعين دسائس القوم فيما لم يخطر على بال مسلمٍ، ومِنْ ذلك ما تقوم به طوائف مِنْ فرق الصُّوفيَّة مِنْ نشرٍ لعقيدتهم وتلبيس باطلهم في لباس بعض الأحزاب[١] والأوراد، زاعمين أنَّها تعصم المرء مِنَ الشُّرور وتحميه مِنَ الآفات وتُقرِّبه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذه الأحزاب لها مُسَمَّيَاتٌ مشهورةٌ عندهم كـ "حزب البحر" و"حزب البرّ" و"حزب اللُّطف" و"حزب النَّصر" ونحوها مِنَ الأحزاب الَّتي قام زعماء الطُّرُق بصياغتها وَفْقَ أدعيةٍ مُعَيَّنَةٍ مع خلط ذلك بألفاظ القرآن الكريم ونصوص السُّنَّة النَّبويَّة التي قد ينخدع بها وبفائدتها العامِّيُّ، وقد تتضمن تلك الأحزاب بعض

---

(١) الحِزْبُ: الوِرْدُ، ما يعتاده الشَّخص مِنْ صلاةٍ وقراءةٍ وغير ذلك. كتاب التعريفات: للجرجاني ص١٥٠، ت: الدكتور محمد المرعشلي، ط: دار النفائس، بيروت ١٤٣٣هـ.

المآخذ العقديَّة مِنَ التَّوسُّل بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والصَّالحين وأصحاب القبور، والاستعاذة بتعويذاتٍ لم ترد، ووصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما لم يوصف به في الكتاب والسُّنَّة، وسؤاله بأسماءٍ وصفاتٍ لم ترد بها النُّصوص.

ولَمَّا كان استعمال هذه الأحزاب مِنْ أسهل العبادات وأيسرها على العباد، كما يسهل الانخداع بها لِمَنْ يجهل صحيح السُّنَّة وضعيفها، كان لزامًا على أهل السُّنَّة النُّصح لعباد الله جَلَّ جَلَالُهُ مِنَ الأئمَّة والعلماء والعامَّة، وسبب هذا ما يُلاحظ الآن مِنْ سرعة وسهولة انتشار هذه الأحزاب والأوراد وتوافرها فهي متاحةٌ في أيدي العامَّة والخاصَّة، فمنها ما يوزَّع مجَّانًا ككتيِّبٍ للجيب يسهل حمله والاحتفاظ به، ومنها ما يُرسل ويُضَمَّنُ في تطبيقات الهواتف الذَّكيَّة، وقد امتزج الغثُّ فيها بالسَّمين، والشِّرك بالتَّوحيد، والحقُّ بالباطل، حتَّى إنَّهم ليأتون بجزء آيةٍ أو طرف حديثٍ صحيحٍ أو ضعيفٍ مُشتَهَرٍ على الألسنة ويُضيفون عليه بعض الألفاظ والدَّعوات الَّتي تتضمَّن بعض المآخذ العقديَّة، دون أن يشعر المتلقِّي بما فيها مِنْ ضلالٍ، ويتخيَّرون منها ما يُلامس حاجات النَّاس ويسهل التَّعلُّق به كأوراد التَّحصين وقضاء الحوائج، وتفريج الكُرُبات، والنَّصر على الأعداء، وغيرها ممَّا يُلامس الأنفس العطشى لمثل هذه الأمور، فتتلقَّاها العامَّة بالقَبول والحفظ والرِّعاية.

ولَمَّا كانت الحاجة مُلِحَّةً لإظهار بدعهم وبيان ضلالهم في هذا الباب -الأحزاب والأوراد-، وكشف تدليسهم وتعريتهم مِنَ الاستتار بالدِّين وأهله، رَغِبتُ في المساهمة بجهد المقلِّ المتبرِّئ مِنْ الحول والقوَّة إلَّا بالله جَلَّ جَلَالُهُ، مِنْ خلال أحرفٍ أُسَطِّرُها وكلماتٍ أنقلها في رسالتي هذه الَّتي عنونتُ لها بـ: **(المآخذ العقديَّة فيما اشتهر مِنَ الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة)**، راجيةً مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ أن أكون ممَّنْ يدخل في خيريَّة هذه الأمَّة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة آل عمران:١١٠]، وامتثالًا لأمر النَّبيِّ ﷺ في ما يُروَى عن تميمٍ الدَّاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الدِّين النَّصيحة، قلنا: لِمَنْ يا رسول الله؟ قال: لله وكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم»[(١)]، ولي قدوةٌ حسنةٌ في ذلك مِنْ أهل العلم الأجلَّاء العاملين وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ حين قال في رسالته الموسومة: "الرَّدُّ على الشَّاذليِّ في حزبيه": "ولولا ما أوجبه الله نصيحةً للخلق

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٢/٢٢٥) رقم (١٩٤).

ببيان الحقّ لما كان إلى بيان كلام هذا - قاصداً أبي حسن الشّاذليّ - وأمثاله حاجةٌ، ولكن كثيرٌ مِنَ النَّاس يأخذون الكلام الَّذي لا يعلمون ما اشتمل عليه مِنَ الباطل، فيقتدون بما فيه اعتقادًا وعملًا، ويَدعُون النَّاس إلى ذلك"[١].

ولبيان أهداف الموضوع وإظهار أهمِّيَّته، وزيادة الإيضاح له، فإنِّي سأعرض لذلك فيما سيأتي مِنَ المحاور المنتظمة في النِّقاط التَّالية:

أهداف البحث:

١- استقراء ما فيها مِنَ الألفاظ المُخالفة لعقيدة السَّلف، وعرض ذلك في مباحث على أصول مسائل العقيدة وأبوابها.

٢- بيان أهمِّ فرق الصُّوفيَّة ونشأتها وعقائدها.

٣- بيان علاقة الأذكار والأوراد بالأحوال والمقامات لدى الصُّوفيَّة، ووجه المخالفة فيها.

٤- دعوة مَنِ اغترَّ مِنْ أبناء الأمَّة بالصُّوفيَّة إلى النَّهج الصَّحيح والشَّريعة الغرَّاء، وكشف الغشاوة عنهم، وبيان اشتمال تلك الأحزاب والأوراد على مآخذ عقديَّةٍ تصل في بعض ألفاظها إلى القدح في أصل التَّوحيد.

أهمِّيَّة الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمِّيَّة الموضوع في النِّقاط الآتية:

١- حفظ عقيدة المسلم مما يُنافيها أو يقدح في كمالها في جانب العبادات القوليَّة كالأوراد الشَّرعيَّة.

٢- ظنُّ كثيرٍ مِنَ العامَّة وبعض الخاصَّة حتَّى مِمَّنِ اتَّسم بالاستقامة مِنْ طلبة العلم -مِمَّنْ لم يطَّلع على الإرث الصُّوفيِّ- بأن لا مُخالفات ولا مآخذ عقديَّةٍ عند الصُّوفيَّة في هذه الأحزاب والأوراد، وإنَّما كانت مُخالفتهم فقط في الجانب التَّعبُّديّ السُّلوكيِّ والمجاهدات النَّفسيَّة.

٣- انتشار بعض الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة بين العامَّة، وسهولة الحصول عليها مِنْ خلال التَّوزيعات المجَّانيَّة مِنْ قبل أتباع الطَّوائف الصُّوفيَّة، أو مِنْ خلال التَّطبيقات المجَّانيَّة

---

(١) الرد على الشاذلي: لابن تيمية، ت: علي بن محمد العمران (ص:٢٣٨)، ط: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ.

المُتاحة في متناول الأيدي في وسائل الاتِّصال الإلكترونيَّة أو مواقع التَّواصل الاجتماعيَّة.

٤- خطورة بعض المآخذ العقديَّة في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة وما يُصاحبها، حيث يصل بعضها إلى الشِّرك بنوعيه الأصغر والأكبر.

٥- عدم إدراك البعض ما تتضمَّنه بعض الأوراد المتداولة مِنْ مآخذ عقديَّةٍ.

٦- المساهمة في دحض الافتراءات في نسبة الصُّوفيَّة بعض الأحزاب والأوراد إلى بعض أهل العلم والصَّالحين، وهم منها براءٌ.

٧- ارتباط الأوراد بحياة المسلم اليوميَّة ارتباطًا وثيقًا فهي إحدى العبادات القوليَّة المستحبَّة الَّتي لا تخلو منها ساعةٌ في ليلٍ أو نهارٍ.

٨- ارتباط الموضوع بجانبٍ مهمٍّ مِنْ جوانب الدِّين وهو النَّصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولعامَّة المسلمين، وبشعيرةٍ عظيمةٍ هي مِنْ أعظم شعائره وهي الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

والأسباب الَّتي دعتني لكتابة هذه الرِّسالة واختيار هذا الموضوع أهمِّيَّته الَّتي سبق ذكرها، وتحقيق الأهداف الَّتي سبقت الإشارة إليها أيضًا.

مشكلة البحث:

تتَّضح مشكلة البحث مِنْ خلال التَّساؤلات الآتية:

١- هل الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة مشتملةٌ على مآخذ عقديَّةٍ قد تُفضي بقائلها والمُلتزم بها إلى الشِّرك والكفر الصَّريح؟ وما هي هذه الأوراد؟

٢- ما علاقة الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة بالأحوال والمقامات عندهم؟

٣- ما المشروع مِنَ الأوراد وما ضوابطه وما الممنوع منها؟

٤- ما المآخذ العقديَّة في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة في أبواب العقيدة؟

الدِّراسات السَّابقة:

١- لم يُبحث موضوع "المآخذ العقديَّة فيما اشتهر مِنَ الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة" في حدود علمي القاصر واستقرائي للفهارس المتعلِّقة بالرَّسائل العلميَّة الَّتي يسَّر الله لي الاطِّلاع عليها، وفهارس الموضوعات، ومواقع الأدلَّة المتخصِّصة في بيان الرِّسائل العلميَّة، ولم أجد مَنْ أفرد هذه الأحزاب والأوراد بدراسةٍ تفصيليَّةٍ نقديَّةٍ.

٢- وقد وجدت بعض المعاصرين مِمَّنْ تناول بعض الأحزاب تناولًا جزئيًّا حينًا، وهامشيًّا لا يكاد يُذكر حينًا آخر، وهم:

الأوَّل: وهو الأستاذ الدُّكتور محمَّد أحمد لوح في رسالته لنيل درجة الماجستير والَّتي تحمل عنوان: "تقديس الأشخاص في الفكر الصُّوفِيّ، عرضٌ وتحليلٌ على ضوء الكتاب والسُّنَّة"، نُشرت سنة ١٤٢٢هـ في دار ابن القيّم ودار ابن عفَّان – الرِّياض.

ومِنْ عنوان الرِّسالة يتَّضح موضوعها الرَّئيس وهو الغلوُّ في الأشخاص، وبخاصَّةٍ الأولياء والصَّالحين الَّذين ينتسبون للطُّرُق الصُّوفيَّة، وما يترتَّب على ذلك مِنِ انحرافاتٍ عقديَّةٍ جَمَّةٍ أخرجت الصُّوفيَّة عن مسار العقلاء ذوي الفطر السَّليمة.

وفي طيَّات إيراد الباحث للعقائد الغالية في الأشخاص الَّذين تَلَبَّسُوا بما ليس لهم مِنَ التَّشريع في دين الله ﷻ ما ليس منه، وما تضمَّنته تلك التَّشريعات مِنِ انحرافاتٍ ومفاسد كتشريعها لصلواتٍ بدعيَّةٍ ليست في كتاب الله ﷻ ولا سنَّة نبيّه ﷺ، تطرَّق الباحث مِنْ خلالها إلى تشريعهم لأذكارٍ وأورادٍ بألفاظٍ وهيئاتٍ مُعَيَّنَةٍ وأجورٍ مُقَدَّرَةٍ لم ترد في الشَّرع، فذكر منها:

الذِّكر بـ"اللَّفظ المفرد" وهو قولهم: "هو، هو، هو" أو "ها، ها، ها"... الخ، وهو ما اشتهروا به، وذكر ما جاء عن مشايخهم مِنْ تعليلٍ لهذه الأوراد الفاسدة، ثمَّ قام بإبطالها وبيان عوارها وفسادها جملةً وتفصيلًا، وأن لا دليل عليها مِنَ الكتاب والسُّنَّة، وذكر بعض بدعهم القوليَّة كصلاة الفاتح وغيرها، وردَّ عليهم بما يُناسب، إلَّا أنَّ هذا هو جُلُّ ما أورده في بحثه فيما يختصُّ بالأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة.

الثَّاني: الأستاذ الدُكتور محمَّد عبد الرَّحمن العريفيُّ في أُطروحته لنيل درجة الدُّكتوراه والَّتي تحمل عنوان: "موقف ابن تيمية مِنَ الصُّوفيَّة"، والَّتي نُشرت في ١٤٢٩هـ، في مكتبة المنهاج – الرِّياض.

وقد بحثَ في أُطروحته هذه أراء شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ وموقفه مِنَ الصُّوفيَّة، مُتناولًا جميع عقائدهم ومُبَيِّنًا أباطيلهم مِنْ خلال الاقتصار على منقولات شيخ الإسلام.

وأمّا ذكره للأحزاب والأوراد، فلم يأتِ على ذكر أيِّ حزبٍ مِنْ أحزاب الصُّوفيَّة، إنَّما أشار إشارةً مُقتضبةً إلى الأوراد وبالأخصِّ ورد "اللَّفظ المفرد" عندهم.

وبالعموم فإنَّ أُطروحته هي في بيان منهج شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في الرَّدِّ وتفنيد أقوال الصُّوفيَّة ومعتقداتهم.

الثَّالث: الأستاذ الدُّكتور محمَّد أحمد الجوير في كتابه "الرُّدود العلميَّة في دحض حجج وأباطيل الصُّوفيَّة، ردود علماء القرن السَّادس الهجريِّ"، وقد نُشر كتابه هذا سنة ١٤٢٤هـ، في مكتبة الرُّشد – الرِّياض.

والموضوع الأساسيُّ في هذا الكتاب إبراز جهود علماء القرن السَّادس الهجريِّ، في الإنكار على بدع الصُّوفيَّة وبيان أباطيلهم، وتناول فيه:

١- منهج الصُّوفيَّة في التَّلقِّي والاستدلال.

٢- البدع الاعتقاديَّة لدى الصُّوفيَّة.

٣- العبادات عند الصُّوفيَّة، وفي هذا الفصل ذكر المؤلِّف بدع الدُّعاء والذِّكر عند الصُّوفيَّة في إشارةٍ يسيرةٍ جدًّا وهامشيَّةٍ لا تتعدَّى صفحاتها أصابع اليد الواحدة، ولم يُشر فيها إلى مفهوم الأحزاب والأوراد كما تناولتها في رسالتي وإنَّما أشار إلى الدُّعاء عمومًا، والذِّكر بـ "اللَّفظ المفرد" كذلك.

٤- وذكر كذلك الغلوَّ في الأولياء، وبدع السُّلوك والأحوال والسَّماع عند الصُّوفيَّة.

٥- مختتمًا كتابه بالشَّعائر والرُّموز عند الصُّوفيَّة.

٦- وقد ضمَّن كلَّ ما سبق مِنْ محاور بحثه ردود علماء القرن السَّادس الهجريِّ.

الرَّابع: وهو الأستاذ الدُّكتور عبد الله بن دُجين السَّهليُّ، عضو هيئة التَّدريس بقسم الثَّقافة الإسلاميَّة – كلِّيَّة التَّربيَّة – جامعة الملك سعود. في كتابه الَّذي يحمل عنوان: "الطرق الصُّوفيَّة: نشأتها وعقائدها وآثارها"، الَّذي تمَّ نشره سنة ١٤٢٦هـ، في دار كنوز إشبيليا – الرِّياض.

وهو كتابٌ تناول فيه مؤلِّفه الطُّرُق الصُّوفيَّة وتاريخ نشأتها، وعقائدها، وأهمَّ مصادرها، واختتمه بالآثار العقديَّة التَّعبديَّة للطُّرُق الصُّوفيَّة، وذكر مِنْ عباداتهم: صرف النَّاس عن الأذكار الصَّحيحة، بما ابتدعوه مِنْ أورادٍ لا أسانيد لها، مثال ذلك: ما جمعه أبو طالبٍ المكِّيُّ الصُّوفيُّ مِنَ الأذكار – لم يوردها المؤلِّف في كتابه- إلَّا أنَّه أورد بضع جملٍ في الأوراد القادريَّة، كما أشار إلى حزب أبي العبَّاس المرسيِّ، وأوراد الدُّسوقيِّ مِنَ الشَّاذليَّة، أشار إليها جميعًا بجملٍ يسيرةٍ دون تضمينها أيَّ نقدٍ عقديٍّ تفصيليٍّ، وإنَّما فقط ذكر أنَّها مُبتَدَعَةٌ ومُشتملةٌ على أسماء الشَّياطين، ثمَّ بيَّن المؤلِّف الضَّلالات الَّتي جاءت بها هذه الأوراد والأحزاب بصورةٍ مُجملةٍ، واختتم مبحثه

في الأوراد بذكر أدلّةٍ وشواهد أهل السُّنَّة والجماعة على ما يُشترط توافره في الذِّكر الصَّحيح الموافق للكتاب والسُّنَّة، مِنْ توحيدٍ لله ﷻ ونبذ الغلوّ، والوضوح، وبساطة الألفاظ ويُسرها، لا كما في الأوراد الصُّوفيَّة مِنْ ظلمةٍ وضلالٍ وتعلُّقًا بالباطل.

الخامس: وهو الاستاذ الدُّكتور صادق سليم صادق في كتابه: "المصادر العامَّة للتلقِّي عند الصُّوفيَّة عرضًا ونقدًا"، نُشر في ١٤٢٧هـ، في دار التَّوحيد – الرِّياض.

ذكرَ المؤلِّف فيه أنَّ سبب تأليفه للكتاب هو جمعه لموضوعات الكتاب في سفرٍ واحدٍ، يتضمَّن جميع مصادر التَّلقِّي عند الصُّوفيَّة، مع بيان ما فيها مِنَ الأباطيل والضَّلالات، ذاكرًا مصادر التَّلقِّي كذلك عند أهل السُّنَّة والجماعة، وعند كُبرى الفرق الإسلاميَّة.

وأمَّا بالنِّسبة لذكره للأوراد والأحزاب الصُّوفيَّة، فلم يأتِ على ذكرها مُفَصَّلَةً، بل أشار إليها إشارةً عابرةً.

وكسالفيه مِمَّنْ تقدَّم ذكرهم؛ لم يورد الأحزاب والأوراد إلَّا بوريقاتٍ لم تتعدَّ الأربع صفحاتٍ مختصرةٍ جدًّا حيث يأتي بطرفٍ مِنَ الحزب أو الورد الصُّوفيّ، كذكره عند ترجمة أحمد بن إدريس وهو مِنْ أتباع الطَّريقة الشَّاذليَّة، بعض كلماتٍ ممَّا ذكرت في حزبه، كما أشار إلى كذب التِّيجانيّ شيخ الطَّريقة التِّيجانيَّة في أوراده، وكذلك محمَّد عثمان الميرغني شيخ الطَّريقة الختميَّة، وعرَّج في بحثه على ما تنسبه الصُّوفيَّة للخضر ﵇ مِنْ أورادٍ وأدعيةٍ وأذكارٍ، ذاكرًا إيَّاها مجملةً دون تفصيلٍ.

هذا ما وقفتُ عليه مِنْ رسائل ودراساتٍ علميَّةٍ خلال تتبُّعي للدِّراسات السَّابقة الَّتي تعرَّضت للصُّوفيَّة وأورادها، وهي في مُجملها بعيدةٌ عن عرض الأحزاب والأوراد بصورةٍ تُظهر ما فيها مِنْ ضلالٍ وأباطيل، كما أنَّها لم تُعنَ بدراسة هذه الأحزاب والأوراد دراسة تفصيليَّةً، ولذا فإنِّي رأيت – بعد الاستخارة واستشارة أهل الاختصاص – أن أُفرد الحديث عن الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة في دراسةٍ تحليليَّةٍ عقديَّةٍ تُظهر ما تكتنفه مِنْ ضلالٍ وباطلٍ وتدليسٍ.

وممَّا يُلاحظ أنَّ جميع ما سبق مِنْ دراساتٍ علميَّةٍ وكتبٍ ممَّا ذكرتُ آنفًا تشترك مع رسالتي في التَّمهيد ومباحث الفصل الأوَّل وهي: التَّصوُّف ونشأته، ومصادر التَّلقِّي والاستدلال، وأهمُّ العقائد، وهي ما تكون عادةً توطئةً لموضوع البحث، ولا تتوافق مع رسالتي مِنْ حيث إنَّها لم تتوسَّع في إيراد الأحزاب والأوراد، بل ولم تذكر معظمها واكتفت بالإشارات السَّطحيَّة، الَّتي قد تُثير التَّساؤلات حولها دون وجود ردودٍ علميَّةٍ تُشبع نَهم القارئ الرَّاغب بالاستزادة.

ولا يسعني إلَّا أن أذكر أهمَّ مصدرٍ مِنْ مصادر الرِّسالة والَّذي نَهلت منه جميع الدِّراسات السَّابقة والبحوث والتَّآليف الَّتي تناولت الصُّوفيَّة ونقدها مِنْ منظور أهل السُّنَّة والجماعة، هي مؤلَّفات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وعلى رأسها كتابه القيّم: "**الرَّدُ على الشَّاذلِيّ**" رغم اقتصاره على نقد حزبين فقط مِنْ أحزاب الطَّريقة الشَّاذليَّة وهما "حزب البحر" و"حزب البرِّ"، إلَّا أنَّه حوى في طيَّاته عظيم النَّفع وتأصيلًا أصيلًا لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة في نقد المُخالفين والتَّصدِّي لانحرافاتهم، وكان اقتصار شيخ الإسلام رحمه الله على نقد حزبين مِنَ الأحزاب دافعًا لي في إكمال المسيرة العلميَّة والمشاركة الهادفة في بيان المآخذ العقديَّة المتضمِّنة في هذين الحزبين والأحزاب الأُخرى الَّتي لم يتطرَّق لها شيخ الإسلام رحمه الله؛ مع أهمِيَّة استعراض ذلك على أبواب العقيدة، وربطت ذلك بمنهج أئمَّتهم في كلِّ ما ورد مِنْ مباحث، وبيّنتُ علاقة تلك الأوراد بما يُسَمَّى المقامات والأحوال لدى الصُّوفيَّة، والَّذي دعمتُه بما استخلصتُه مِنْ كلام ابن القيِّم رحمه الله في كتابه "مدارج السَّالكين" وغيره مِنْ أئمة السَّلف أهل السُّنَّة والجماعة، إذ كان له الاهتمام الأكبر بالحديث عن هذه المقامات وَفْقَ معتقد أهل السُّنَّة والجماعة ومنهجهم خاصَّةً في منزلة الذِّكر ومقاماته وأحواله المعتبرة عند أهل السُّنَّة والجماعة.

منهج البحث:

إنَّ المنهج الَّذي سرتُ عليه في هذه الرِّسالة هو منهج أهل السُّنَّة والجماعة والسَّلف الصَّالح في الاستدلال وتقرير المسائل والرَّدِّ على المُخالفين، وراعيتُ في ذلك قواعد البحث العلميِّ، وسلكتُ منهج الاستقراء والاستنباط والتَّحليل والنَّقد، القائم على تتبُّع نصوص الأحزاب والأوراد المشتهرة عند الصُّوفيَّة.

ويمكن إبراز هذا المنهج بالنِّقاط الآتية:

١- جمعتُ واستقرئتُ ما أمكن مِنَ الأحزاب والأوراد المشتهرة عند الصُّوفيَّة مِنْ مصادرها الأصليَّة.

٢- بوَّبتُ هذه الأوراد بحسب تقسيمات الرِّسالة.

٣- عرَّفتُ بشكلٍ مُبَسَّطٍ بأبواب العقيدة الَّتي تناولتها في رسالتي وَفْقَ منهج أهل السُّنَّة والجماعة.

٤- استخرجتُ المآخذ العقديَّة المخالفة للكتاب والسُّنَّة مِنْ هذه الأحزاب والأوراد، وبوَّبتُها في مباحث عقديَّةٍ.

٥- ذكرتُ ردود أهل السُّنَّة والجماعة على هذه الأحزاب والأوراد على قدر الاستطاعة.

٦- قمتُ بنقد الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة نقدًا علميًّا لإظهار الحقِّ وبيانه.

٧- بيَّنتُ ضوابط المشروع والممنوع مِنَ الأذكار، والأوراد، وعلاقتها بالأحوال، والمقامات.

إجراءات البحث:

١- عزوتُ الآيات القرآنيَّة بذكر اسم السُّورة ورقم الآية مع اعتماد الرَّسم العثمانيِّ في المتن.

٢- عزوت الأحاديث الواردة في الرِّسالة، وكان منهجي في العزو كما يأتي:

أ- إن كان الحديث في الصَّحيحين أو أحدهما اكتفيتُ بعزوه إلى موضعه منهما.

ب- إن كان الحديث في غير الصَّحيحين فقد عزوتُه إلى أشهر وأصحِّ الكتب المعتبرة مِنَ المسانيد والسُّنن والصِّحاح وأُعِّقبُ ذلك بذكر أقوال أهل العلم فيه صحَّةً وضعفًا على قدر الاستطاعة.

ت- جعلتُ الأحاديث بين علامتي التَّنصيص « ».

٣- قمتُ بعزو الآثار والأقوال إلى قائليها على قدر الاستطاعة.

٤- وثَّقتُ النُّصوص والنُّقول مِنْ مصادرها، وعملي فيها كان بجعل ما نُقِلَ نصُّه بين قوسين هلاليين " " وما نُقِلَ مضمونه وكانت صياغته مِنْ قِبَلي فاكتفيتُ بالإشارة إلى المرجع في نهاية الفقرة دون جعله بين قوسين.

٥- قمتُ بشرح الكلمات والمصطلحات الغريبة الَّتي وردت في الرِّسالة على قدر الاستطاعة.

٦- منهجي في التَّرجمة:

أ- ترجمتُ لِمَنْ لم يكن مشتهرًا مِنَ الأعلام الواردة أسماؤهم في ثنايا البحث على أن يكون العَلَمُ المترجم له ذو صلةٍ وثيقةٍ بمُجريات البحث، وتكون ترجمته في أوَّل موضعٍ ورد فيه. وعندما يتكرَّر ذكرته دون الإشارة إلى سبق التَّرجمة تفاديًا لكثرة الهوامش.

ب- اكتفيتُ بذكر سنة الوفاة لأبرز الشَّخصيَّات في الطُّرق الصُّوفيَّة خشيتَ الإطالة.

٧- عرَّفتُ بالفرق والطَّوائف الواردة في الرِّسالة على قدر الاستطاعة.

٨- ترجمتُ للأماكن والبلدان الواردة في الرِّسالة بحسب شُهرتها على قدر الاستطاعة.

تقسيمات الرِّسالة:

وقد قَسمَّتُ الرِّسالة إلى مقدِّمةٍ وتمهيدٍ وأربعة فصولٍ

المقدِّمة.

التَّمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: الصُّوفيَّة والتَّصوُّف لغةً

المبحث الثَّاني: التصوُّف اصطلاحًا

المبحث الثَّالث: نشأة التَّصوُّف ومراحل تطوره

وفيه مطلبان:

١- نشأة التصوف.

٢- مراحل تطور التَّصوُّف.

الفصل الأوَّل: مصادر وعقائد الصُّوفيَّة

وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل: مصادر التَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة

وفيه ثلاثة مطالبٍ:

١- العلم اللَّدُنِيُّ.

٢- الذَّوق.

٣- الوجد.

المبحث الثَّاني: أهمُّ عقائد الصُّوفيَّة وأشهرها

وفيه خمسة مطالبٍ:

١- عقيدة الصُّوفيَّة في الله ﷻ.

٢- عقيدة الصُّوفيَّة في النَّبي ﷺ.

٣- عقيدة الصُّوفيَّة في الأولياء.

٤- عقيدة الصُّوفيَّة بالقرآن الكريم.

٥- عقيدة الصُّوفيَّة في الجنَّة والنَّار.

الفصل الثَّاني: الطُّرُق الصُّوفيَّة نشأتها وعقائدها

وفيه تمهيدٌ وسبعة مباحث:

المبحث الأول: الطريقة القادرية.

المبحث الثاني: الطريقة الرّفاعية.

المبحث الثالث: الطريقة الشاذلية.

المبحث الرابع: الطريقة البكتاشية.

المبحث الخامس: الطريقة النقشبندية.

المبحث السادس: الطريقة التيجانية.

المبحث السابع: الطريقة الختمية.

الفصل الثَّالث: الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة بين التَّأصيل والنَّقد

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأوَّل: الأحزاب الأوراد الشَّرعيَّة وضوابطها.

المبحث الثَّاني: الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة نشأتها وأسماؤها واستخداماتها.

وفيه ثلاثة مطالبُ:

المطلب الأوَّل: الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة نشأتها وأسماؤها واستخداماتها.

المطلب الثَّاني: علاقة الأوراد والأحزاب بالمقامات والأحوال الصُّوفيَّة وآثارها المترتِّبة عليها.

المطلب الثَّالث: النَّقد العامُّ للأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة.

الفصل الرَّابع: المآخذ اللَّفظيَّة العقديَّة في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة

وفيه تمهيدٌ وأربعة مباحث:

المبحث الأوَّل: المآخذ العقديَّة في باب الربوبية.

المبحث الثَّاني: المآخذ العقديَّة في باب الألوهيَّة.

المبحث الثَّالث: المآخذ العقديَّة في باب الأسماء والصِّفات.

المبحث الرَّابع: مآخذ عقديَّةٌ مُتَفَرِّقَةٌ في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة.

الخاتمة:

وفيها ذكر أهمِّ النَّتائج والتَّوصيات الَّتي تَوصَّلتُ إليها مِنْ خلال البحث

الفهارس العلميَّة: وقَسَّمتُها إلى ما يأتي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس البلدان والأماكن.
- فهرس الألفاظ الغريبة.
- فهرس الفرق والمذاهب والطرق.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.





التمهيد:
التَّصوُّف نشأته وتطوُّره

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الصُّوفيَّة والتَّصوُّف لغةً.

المبحث الثَّاني: التصُّوف اصطلاحًا.

المبحث الثَّالث: نشأة التَّصوُّف ومراحل تطوره.

التمهيد

عند الحديث عن التَّصوُّف والصُّوفيَّة كفرقة من أقدم الفرق الإسلاميَّة نجد الاختلاف فيها هو سيِّدَ الموقف، حيث كثرت الأقوال والآراء فيما يختص بنشأتها ومراحل تطوُّرها.

ومن الأمور التي ظهر فيها الخلاف ما يَتعلَّق بتعريف الصُّوفيَّة أو التَّصوُّف، ذلك أنَّ الباحث يجد نفسه وقد أحاطته الأقوال المختلفة في بيان تعريف الصُّوفيَّة والتَّصوُّف من كل جانب، والعِلَّة في ذلك اختلاف وجهات النَّظر من قِبل مَن يَتطرَّقُ لتعريف التَّصوُّف والصُّوفيَّة، فالبعض يُعرِّفها بحسب ما اشتهر لديه في زمانه كوصفهم بالزُّهَّاد، والعُبَّاد، والفقراء، وغيرها. وهناك مَن يُعَرِّفها طلبًا لإظهارها بصورةٍ حسنةٍ، حيث يقوم بجمع المعاني وتأويلها كلها لتَصُبَّ في صالح التَّعريف بالصُّوفيَّة وإن لم تتوافق مع الاشتقاقات اللُّغويَّة، وهناك من يذمهم بإطلاق، وهناك من يفصل في حالهم بإنصافهم وإظهار تفاوتهم.

وعند استعراض هذه الآراء وسَبْر ما فيها، نجد منها ما يَميل بقائله إلى الغلوِّ والمبالغة في تعريف الصُّوفيَّة وإلباسها لباسًا يجعل منتسبيها في مصافِّ الصِّدِّيقين، ولهم المكانة العالية والمنزلة الرَّفيعة، ما يجعلهم يَلُون الأنبياءَ اصطفاءً واختيارًا[١]، ومنهم من يكتفي فقط بنسبتهم وتعريفهم بلباسهم الذي اشتهروا به، وهو الصُّوف وإن لم يكن لباس الصُّوف هو سمة عامتهم. فها نحن نجد أنَّ مِن أقدم مَن كتب في التَّصوُّف والصُّوفيَّة أبا نصر السراج الطُّوسي[٢] قد حار في تعريفها حتى عنون لها بابًا فقال: "باب الكشف عن اسم الصُّوفيَّة، ولِمَ سُمُّوا بهذا الاسم.." في كتابه "اللمع" ذاكرًا فيه سببَ عدم نسبتهم إلى حال من الأحوال، كما كان مشتهرًا في السَّابق كنسبة الصَّحابة إلى الصُّحبة، أو البَدريِّ إلى الغزوة المعروفة، ولا إلى علمٍ بعينه كانتساب الفقهاء والمُحدِّثين إلى الفقه والحديث، مُعَلِّلًا بأنَّ الصُّوفيَّة قد جمعوا جميع العلوم وتَلَبَّسوا بجميع الأحوال الشَّريفة والمحمودة، ولهذا لم يَتَسَمَّوْا باسمٍ معيَّن ليُميِّزهم إلَّا ما غلب على هيئتهم الظَّاهرة وهو لباس

---

(١) ذكر ذلك القُشيري في مقدمة رسالته القُشيريَّة، ت: القاضي زكريا الأنصاري. (ص: ٢٦)، ط: دار جوامع الكلم – القاهرة ٢٠٠٧م.

(٢) عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى، أبو نصر السَّرَّاج الطُّوسي الصُّوفيُّ، الزَّاهد، صنّف كتاب "اللمع" في التَّصوُّف. قال السُّلَمي: كان أبو نصر من أولاد الزُّهَّاد، وكان المنظور إليه في ناحيته في الفُتُوَّة ولسان القوم، مع الاستظهار بعِلْم الشَّريعة، توفي في رجب سنة ثماني وسبعين وثلاث مئة. انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام للذهبي (٨/٤٥٢)، وفي العبر في خبر من غبر للذهبي أيضًا (٢/١٥١).

الصُّوف، ولقد نصَّ على نحوٍ مِن هذا، فقال مُبَيِّنًا عِلَّةَ نسبتِهم إلى الصُّوف قائلًا:

"...وذلك لأنَّهم معدن جميع العلوم، ومَحَلُّ جميع الأحوال المحمودة، والأخلاق الشَّريفة، سالفًا ومستأنفًا، وهم مع الله تعالى في الانتقال من حال إلى حال، مُستجلبين للزِّيادة، فلمَّا كانوا في الحقيقة كذلك لم يكونوا مُستحقِّين اسمًا دون اسم..." إلى أن قال: "فلمَّا لم يكن ذلك نسبتهم إلى ظاهر اللِّبسة؛ لأنَّ لِبسة الصُّوف دأبُ الأنبياء عليهم السلام، وشعار الأولياء والأصفياء..."[١]. قلتُ: والأولياء جمعُ وليٍّ: "والولاية: ضدُّ العداوة، وأصل الولاية: المحبَّة والقُرب، وقد قيل: إنَّ الوليَّ سُمِّي وليًّا من موالاته للطَّاعات؛ أي متابعته لها، ويقابل الوليَّ العدوُّ على أساسٍ من القُرب والبُعد"[٢]، والولاية يُصدقها حالُ الوليِّ أو يَنفيها؛ فهي تستلزم اتِّباع ما جاء في الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة باطنًا وظاهرًا. والأصفياء هم المختارون والمجتبون، مأخوذ من الاصطفاء ويقال: (اصطفاه؛ أي اختاره)[٣]، ومنه قول النَّبي ﷺ: «واصطفاني من بني هاشم»[٤].

وبعد هذه التَّقدمة الإجماليَّة سأعرض بعض ما وقفت عليه من تعريفاتٍ ومعانٍ لهذه الكلمة، وبيان ذلك على النَّحو الآتي:



---

(١) اللُّمع لأبي نصر السَّرَّاج الطُّوسي. ت: محمد أديب الجادر. (ص٣١) ط: دار الفتح – الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيميَّة. ت: عبد الرحمن اليحيى. (ص: ١١و١٢) ط: دار المنهاج – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ..

(٣) انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان الحميري اليمني، ت: حسين العمري وآخرين (٣٧٧٨/٦). ط: دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٩٩م.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل – باب فضل نسب النَّبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (٣٨/١٥) رقم (٥٨٩٧).




المبحث الأوَّل:
الصُّوفيَّة والتَّصوُّف لغةً

إن الباحث في تعريف الصُّوفيَّة كفرقة أو كطائفة ذاتِ ملامحَ واضحةٍ ومميزة، يكون كمن يبحث عن شيء لا وجود له -فيما أعلم-، حيث نجد أن لفظة (الصُّوفيَّة) لم تَرِدْ في التَّعريفات كفرقةٍ أو طائفةٍ مميَّزة عمَّا سواها، بل نجد أن جُلَّ ما عُرِّف فيها هو: معنى التَّصوُّف كسلوكٍ شخصيٍّ، أو معنى الصُّوفي كنسبة لها أو تعريفها كظاهرةٍ نتيجةَ الغلو في الزُّهد أو حكاية عن نشأتها. وبالعودة إلى أصل كلمة التَّصوُّف عند أهل اللُّغة فإنَّها تعود إلى:

١- (**صَوَفَ**): الصاد والواو والفاء أصلٌ واحد صحيح، وهو الصُّوف المعروف.

والباب كلُّه يرجع إليه. يُقال: كبشٌ أَصْوَفُ وصوفٌ وصائفٌ وصاف، كل هذا معناه أن يكون كثير الصُّوف. ويقولون: أخذ بصوفة قفاه، إذا أخذ بالشَّعر السائل في نقرته.

فأما قولهم: صاف عن الشر، إذا عدل، فهو من باب الإبدال، يقال: صاب، إذا مال. وتَصَوَّفَ الرجل وهو صوفيٌّ من قوم صوفيَّة كلمة مولَّدة[1].

٢- (**الصُّوفة**): "كل من وَلِيَ شيئًا من عمل البيت الحرام، وهم الصُّوفان، وصوفة: أبو حي من مضر وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهليَّة وكانوا يُجيزون الحاجَّ من مِنًى، فيكونون أول من يدفع. يقال في الحج: أجيزي صوفة، فإذا أجازت أذن للنَّاس كلِّهم في الإجازة... وهي الإفاضة"[2].

٣- (**صَوَف**): "النّبات ظهر عليه مَا يشبه الصُّوف وفلانًا جعله من الصُّوفيَّة. (تصوف) فلان صار من الصُّوفيَّة"[3].

٤- (**صَفَاء**): ونسبهم الهجويري إلى الصفاء؛ فكما أن الصفاء محمود، وضده الكَدَر فكذلك الصُّوفيَّة حين هذب أهلها أخلاقهم ومعاملتهم فقد صَفوا وخلوا من الأكدار ولذا سُمُّوا

---

(١) انظر: مقاييس اللغة. لابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون (٣٢٢/٣) ط: مكتبة الخانجي - القاهرة الطبعة الثَّالثة ١٩٨١م، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس الحموي، ت: عبد العظيم الشناوي (٣٥٢/١) ط: دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثَّانية.

(٢) لسان العرب لابن منظور (٢٠٠/٩) ط: دار صادر - بيروت، الطبعة الثَّالثة ١٩٩٤م.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة لإبراهيم مصطفى وآخرون (٥٢٩/١) ط: دار الدعوة - القاهرة، الطبعة الثَّانية ١٩٧٢م.



صوفية[١].

ومما تَبَيَّنَ معنا مما سبق من معانٍ لغويَّة للفظة (التَّصوُّف) وما هو مصدرها واشتقاقها اللُّغوي، نجد أن مدار الكلمة لغويًّا يعود إلى أمرين:

أ- أنها مُشتقة من الصُّوف وهو شعر الضَّأن أو ما يشابهه. وهو توجيهٌ سليمٌ لغويًّا وموافق لِما اشتهر به بعض الصُّوفيَّة في لبستهم، حيث اتخذ البعض منهم لباس الصُّوف كدَلالة ظاهرة للتَّقشُّف، والزُّهد والافتقار، وقد ورد هذا كتعليل في بعض كتبهم فقد قال أبو نصر الطُّوسي كما مر بنا آنفًا أن نسبتهم إلى ظاهر اللِّبسة؛ لأنَّ لبس الصُّوف هو من سِيما الأنبياء عليهم السلام، مستدلًّا بأن الله تعالى قد ذكر أصحاب نبيه عيسى عليه السلام، فنسبهم إلى ظاهر لبسهم فقد سُمُّوا بالحواريِّين نسبةً لبياض ثيابهم[٢]، ولم ينسبهم إلى حالٍ معيَّنة أو علْمٍ معين[٣]. ويؤيد هذا القولَ ما ذكره الكلاباذي[٤] في كتاب (التَّعرُّف) بأنَّ تسمية الصُّوفيَّة جاءت من لبس الصُّوف بعد أن ذكر عدة أقوال في تعريفها سنُبَيِّنُها لاحقًا، فقال: إن الصُّوفيَّة هم أكثر شَبَهًا بأهل الصُّفَّة الذي كانوا على عهد النَّبي ﷺ في ناحية المسجد وكان لباسهم الصُّوف لفقرهم[٥]، وممن أيد هذا الاشتقاق من أهل السُّنَّة شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله حين سُئل عن الصُّوفيَّة قال: "وهؤلاء نسبوا إلى اللِّبسة الظَّاهرة، وهي لباس الصُّوف، فقيل في أحدهم: "صوفي" وليس طريقهم مقيَّدًا بلباس الصُّوف، ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به، ولكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال"[٦]. وقد رجح ابن خلدون رحمه الله في مقدمته هذا القول، حيث قال: "والأظهر إذا

---

(١) انظر: كشف المحجوب للهجويري، ت: إسعاد قنديل (ص: ٢٢٧) ط: مطابع الأهرام – القاهرة، طبعة ١٩٧٤م.

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر (٣/٤٥٠) ط: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

(٣) اللمع (ص: ٣١، ٣٢).

(٤) محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، أبو بكر: من حُفَّاظ الحديث. اختلف في اسمه محمد بن إبراهيم ومحمد بن إسحاق، من أهل بخارى. كان إمامًا أصوليًّا، له كتاب "بحر الفوائد" ويُعرف بمعاني الأخبار، جمع فيه ٥٩٢ حديثا، و"التَّعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف"، توفي في بخارى يوم الجمعة سنة ثمانين وثلاث مئة أو سنة خمس وثمانين وثلاث مئة وله "كتاب الأشفاع والأوتار"، انظر ترجمته في: الأعلام (٥/٢٩٥)، والفوائد البهيَّة في تراجم الحنفيَّة (ص: ١٦١).

(٥) انظر: التَّعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف لأبي بكر الكلاباذي، ت: آرثر جون أربري (ص: ٦) ط: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الثَّانية ١٩٩٤م.

(٦) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، ت: عامر الجزار وأنور الباز (١١/١٣)، ط: دار الوفاء – المنصورة، الطبعة الثَّانية ٢٠٠١م.

قيل بالاشتقاق أنه من الصُّوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة النَّاس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصُّوف"(١).

ويعترض على هذا القول من الصُّوفيَّة كل من: القشيري(٢) في رسالته نافيًا أن يكون للفظة الصُّوفيَّة أو التَّصوُّف أي قياس أو اشتقاق في اللُّغة العربيَّة وإنما هو كاللَّقب(٣) وقد ذهب لمثل هذا الهجويري(٤) في كتابه كشف المحجوب بعد أن ذكر ما اشتهر من تعريفات للفظ الصُّوفيَّة، حيث قرر أن هذا الاسم بمقتضى اللُّغة بعيدٌ كلَّ البعد عن هذه المعاني المشتهرة منها تسميتهم بالصُّوفيَّة نسبة إلى لباس الصُّوف(٥).

ب- أنها تعود لقوم في الجاهليَّة كانوا يدعون بـ (صوفة). وقد ذكر ابن الجوزيّ رحمه الله بأنَّ سبب التَّسمية يَعود في أوَّل الأمر لأقوامٍ تعلقوا بالزُّهد، والتَّعبُّد، والانقطاع للعبادة وترك الدُّنيا ومَلَذَّاتها؛ مُتَشَبِّهين بأقوام كانوا في الجاهليَّة يقومون بخدمة البيت الحرام، يُقال لهم: (صوفَة)، كما ذكر بأن سبب التَّسمية بصوفة تعود لرجل يقال له: صوفه؛ واسمه الغوث بن مر، فانتسبوا إليه لمشابهتهم إيَّاه في الانقطاع للعبادة، وخدمة بيت الله الحرام. أمَّا عن تسميتِه بصوفة ابتداءً فقد حكى ابن الجوزيّ رحمه الله: أن أم الغوث كان لا يعيش لها ولد، فنذرت إن عاش لها ولد، لتُعَلِّقَنَّ برأسه صوفة وتجعله ربيط الكعبة، فكان ما قالت. فقيل: له صوفة ولذُرِّيَّته مِن بعده، ولمشابهة حال الصُّوفيَّة لحال الغوث بن مر في الانقطاع للعبادة وترك الدُّنيا وملذَّاتها سُمُّوا بذلك(٦).

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص: ٣٨١)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

(٢) أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القُشيري الفقيه الشافعي. كان علَّامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التَّصوُّف، ولد سنة ست وسبعين وثلاث مئة، وتفقه على أبي بكر محمد بن أبي بكر الطوسي، وأبي إسحاق الإسفراييني وابن فورك، وتقدم في الأصول والفروع، وصحب أبا علي الدَّقَّاق، وتزوج بابنته توفي سنة خمس وستين وأربع مئة بمدينة نيسابور. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢٠٧/٣) وسير أعلام النُّبلاء (٣٩٥/١٣).

(٣) انظر: الرسالة القُشيريَّة (ص: ٣١١).

(٤) أبو الحسن علي بن عثمان الجلابي الهجويري، ثم اللاهوري كان من الرجال المعروفين بالعلم والمعرفة، وأخذ بعض العلوم عن أبي القاسم القُشيري، قدم الهند وسكن بمدينة لاهور. ومن مصنفاته كشف المحجوب، وهو من الكتب المعتبرة المشهورة عند أهل التَّصوُّف، مات سنة خمس وستين وأربع مئة بمدينة لاهور فدفن بها، وقبره ظاهر مشهور. انظر ترجمته في: تاريخ إربل، (٧٦٠/٢)، والإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) (٦٩/١).

(٥) انظر: كشف المحجوب، (ص: ٢٢٧).

(٦) انظر تلبيس إبليس لعبد الرحمن بن الجوزي (ص: ١٥٦). ط: دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

ويُعترض على هذا القول من وجوه كما أوردها شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوى في بيان ضعفه وإن صحَّت النِّسبة اللُّغويَّة إليه:

١- أن هذه القبيلة ليست بمشتهرة ولا معروفة عند النُّسَّاك المنتسبين للتَّصوُّف.

٢- أن زمن الصَّحابة والتَّابعين أقرب لهؤلاء القوم من زمن أوائل المُتصوِّفة، فيُنسبون إليهم من بابٍ أولى.

٣- لأنَّ غالب من تكلَّم باسم الصُّوفيَّة، وألَّف فيها، والتزم طرقها، لا يَعرفون هذه القبيلة.

٤- أن منتسبي الطرق الصُّوفيَّة لا يرضون بالنِّسبة لقبيلة جاهلية لا وجود لها في الإسلام[1].

ومما مضى يتضح أنَّ أقرب المعنيين موافقةً لحقيقة الصُّوفيَّة في مبدأ أمرها هو أن: معنى الصُّوفيَّة يعود إلى لبسة الصُّوف التي اشتهروا بها، وإن لم يكن شعارًا لأكثر منتسبيها، حيث كان لباس الصُّوف علامة ودَلالة ظاهرة للفقر والزُّهد والبُعد عن الدُّنيا وملذَّاتها.



(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/١١).




المبحث الثَّاني: التصوُّف اصطلاحًا

وكما هو الحال في معناها اللُّغوي وأصل اشتقاقها من اختلافٍ وتبايُن، وقع الخلاف في معناها الاصطلاحي، حيث تَشَعَّبت الآراء وتَعَدَّدت ألفاظ الصُّوفيَّة ومصطلحاتهم في تعريف التَّصوُّف بتعدد مشاربهم، وتنوع ثقافاتهم، والبيئات والشَّخصيَّات، واختلفت ما بين معنًى قريب للاشتقاق اللُّغوي، ومعنًى بعيدٍ كلَّ البُعد عنه، فكثرت التَّعريفات وتعدَّدت، حتى يجد المتتبع لمعنى الصُّوفيَّة نفسه أمام مئات التَّعريفات، فكلٌّ يُعرِّفها بحسَبِ ما يراه وما صح لديه من أحوالهم ومسالكهم، ويشير إلى ذلك القُشَيْرِيّ في رسالته، حيث قال: "وتكلم النَّاس في التَّصوُّف: ما معناه؟ وفي الصُّوفي: من هو؟ فكلٌّ عبَّر بما وقع له"[١]، كما نسب ابن الصلاح في طبقاته للخطيب البغداديّ؛ أنه جمع زُهاء ألف قول في تعريف التَّصوُّف والصُّوفي مُرتَّبةً على أحرُف المعجم[٢]. وقد أحصى بعض الباحثين المعاصرين أنه درس خمسة وستين تعريفًا للتَّصوُّف، فلم يجد معنى عامًّا منها مشتركًا بينها اشتراكًا يجمع خصائصها، ويُوحّد حقيقتها[٣].

ويرتبط تعريف الصُّوفيَّة ارتباطًا وثيقًا بمراحل تطوُّرها ونشأتها، ونتج عن هذا الارتباط مفاهيمُ مختلفةٌ للصُّوفيَّة والتَّصوُّف، فلكلِّ مرحلةٍ منها تعريفها الخاص بها بحسب رأي مُعرِّفيها وما توصلوا إليه من تعريف، ولما كانت التَّعريفات أمورًا اجتهادية، واستحسانات، وتقريبًا لفهم هذه الطَّائفة، فإنَّا نجد أنه يرد عليها اعتراضات كثيرة، ونقد مستفيض، ولنا في شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أُسوةٌ حسنة، حيث رد على بعض ما جاء من تعريفات الصُّوفيَّة في بيان خطئها وعدم صِحَّتِها؛ كما مر معنا آنفا في التَّعريف اللغوي، وأذكر فيما يلي بعض التَّعريفات التي أطلقت على مفهوم التَّصوُّف مما جاء في كتب الصُّوفيَّة ومخالفيهم:

---

(١) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٤١٦).

(٢) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح (٢/٥٥٤) ت: محيي الدين علي نجيب ط: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م، وطبقات الشافعية للسبكي (٥/١٤٠)، ت: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، ط: هجر، الطبعة الثَّانية ١٤١٣هـ.

(٣) انظر: التَّصوُّف في الإسلام منابعه وأطواره. لمحمد الصادق، (ص: ١٨). ط: دار القلم – دمشق، ٢٠١٨م.

١- ويُنسب لسَرِيّ السَّقطي[(١)] أنَّه قال في تعريف التَّصوُّف: "التَّصوُّف اسمٌ لثلاثة معانٍ: وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السُّنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله"[(٢)].

ويؤخذ على تعريف السَّرِيّ السَّقطِيّ: حصرُه التَّصوُّفَ بثلاثة معانٍ، مخالف لواقع التَّصوُّف وما اشتمل عليه من أحوال ومقامات وعقائد ورياضات وسلوكيات هي لبُ التَّصوُّف وقوامه وهي كثيرة ولا تنحصر في الثَّلاثة معاني التي ساقها في تعريفه.

كما يؤخذ عليه: أن الصُّوفيَّة يجعلون المعرفة هي غاية الصُّوفي في علمه وعمله واجتهاده، وأن العارف بالله عندهم ذو منزلة إذا بلغها لا ينزل عنها لما دونها، وهي كالعاصمة له من كل خلل وزلل، وهذا فيه مخالفة لحقيقة الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة حيث يزيد وينقص، كما نجد التناقض بين قوله بأن الصُّوفي من "لا يطفئ نور معرفته نور ورعه" فالمعلوم أن المرء كلما استزاد علمًا ومعرفة بالله ﷻ زاد ورعه وخشيته قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]. وقيل: "من كان بالله أعرفَ كان منه أخوفَ"[(٣)].

ويُؤخذ عليه: ويؤخذ عليه ما درج لدى الصُّوفيَّة من تقسيمِ العلمِ لظاهرٍ وباطنٍ، وحقيقةٍ وشريعةٍ.

٢- سُئل الجنيد رحمه الله[(٤)] عن التَّصوُّف فقال: "تصفية القلب عن موافقة البَرِيَّة، ومفارقة الأخلاق الطَّبيعيَّة، وإخماد الصِّفات البشريَّة، ومُجانبة الدَّواعي النَّفسانيَّة ومنازلة الصِّفات

(١) السَّري بن المُغَلِّس أبو الحسن السقطي، أحد العُبَّاد المجتهدين، وأحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة، وهو خال أبي القاسم الجنيد وأستاذه، صحب معروفًا الكرخي. وكانت وفاته سنة سبع وخمسين ومئتين ببغداد، ودُفن بالشونيزية. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٠/٢٦٠)، ووفيات الأعيان (٢/٣٥٧).

(٢) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٤٩).

(٣) انظر: تعظيم قدر الصلاة للمَرْوَزِي، ت: عبد الرحمن الفريوائي (٢/٧٢٨) ط: مكتبة الدار - المدينة المنورة - الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.

(٤) الجُنَيْد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم الخَزَّاز، ويقال: القواريري، وأصله من نهاوند، إلا أن مولده ومنشأه ببغداد وسمع بها الحديث، ودرس الفقه على أبي ثَوْرٍ، وصحب جماعة من الصالحين، واشتهر منهم بصحبة الحارث المحاسبي، وخاله السرى السّقطيّ، ثم اشتغل بالعبادة ولازمها حتى علت سِنُّه، وصار شيخ وقته، توفي سنة ثماني وتسعين ومئتين. انظر تاريخ بغداد (٧/٢٤٩)، وسير أعلام النُّبلاء (١٤/٦٦).

الرُّوحانية، والتَّعلُّق بالعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على الأبديَّة، والنُّصح لجميع الأُمَّة، والوفاء على الحقيقة، واتِّباع الرَّسول ﷺ في الشَّريعة"[١]، وقال أيضًا: "التَّصوُّف ذِكرٌ مع اجتماع، ووَجْدٌ مع استماع، وعملٌ مع اتِّباع"[٢].

ويُؤخذ على تعريف الجنيد رحمه الله للتَّصوُّف عِدَّةُ مآخذ:

الأوَّل: قوله: "تصفية القلب عن موافقة البَرِيَّة"، حيث إنَّ موافقة البَرِيَّة ليست كلها مذمومة كموافقة الوالدين في طلباتهم المباحة والمشروعة، وموافقة النَّاس فيما نصحوا فيه، وكان موافقًا للشَّريعة وغيره مما يجب موافقة النَّاس عليه أو يستحب.

الثَّاني: "قوله: مفارقة الصِّفات الطبيعية وإخماد الصِّفات..." فهذا طلبٌ يَستحيل تحقُّقه؛ ذلك أن الإنسان مفطور على صفاتٍ وطبائعَ هي قوامُ حياته ومدار عيشه؛ كالأكل والنوم والنِّكاح واللِّباس، وهي من الضَّروريَّات التي جاء الإسلام بتهذيبها لا تحريمها وتعذيب النَّفس بها، والنُّصوص في ذلك كثيرة، منها:

قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [سورة الأعراف: ٣١].

كما أنَّ قوله هذا مخالفٌ لسُنَّة النَّبي ﷺ فقد جاء في الصَّحيح عن أنس رضي الله عنه في حديث الثَّلاثة نفر الذين جاءوا لبيوت النَّبي ﷺ للسُّؤال عن عبادته، فلمَّا أُخبروا عنها كأنهم تَقَالُّوها، فجاء توجيه خير الخلْق ﷺ لهم لتصحيح الأفهام، والتزام الفِطرة السَّويَّة بما يصلحها بقوله: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النِّساء، فمن رغب عن سُنتي فليس مني»[٣]، وقالت عائشة رضي الله عنها: صنع النَّبي ﷺ شيئًا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ، فخطب فحمد الله، ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشَّيء

---

(١) التَّعرُّف (ص: ١١).

(٢) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٤١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب النكاح - باب الترغيب في النكاح (١٣٠٢/٣) رقم (٥٠٦٣) ت: صدقي جميل العطار ط: دار الفكر - بيروت ٢٠٠٣م، واللفظ له. وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٠٢٠/٢) رقم (١٤٠١). ت: خليل مأمون شيحا، ط: دار المعرفة- بيروت، الطبعة السَّابعة، ٢٠٠٠م.

أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية»[١].

كما يُؤخذ عليه: في "قوله: التَّعلُّق بالعلوم الحقيقة": جعله العلوم قسمين: علوم الحقيقة وعلوم الشَّريعة، دَلالةً على ما فسدت به أفهامهم بأن جَعلوا لنصوص الشَّرع باطنًا وظاهرًا وحقيقةً وشريعةً[٢]، فعُلوم الشَّريعة هي لعامَّة النَّاس وعلوم الحقيقة هي للخواص من المُتصوّفِة، وهذه الاصطلاحات والتَّقسيمات لم يأتِ بها الشَّرع ولم يقل بها أحد من أصحاب النَّبي ﷺ ولا من أهل العلم المُعتبرين، ومدار تقسيم الصُّوفيَّة للعلم إلى حقيقة وشريعة على حديث لأهل العلم فيه مقال: "دخل حارثة الأنصاري صلاة الغداة على النَّبي ﷺ فقال النَّبي ﷺ: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت يا رسول الله مؤمنًا حقًّا؛ قال النَّبي ﷺ: «إنَّ لكل حق حقيقة؛ فما حقيقة إيمانك؟؟...الحديث»[٣].

٣- والتَّعريف الثَّالث لكلمة التَّصوُّف، هو قول الجريري[٤] حين سئل عن التَّصوُّف فقال: "الدُّخول في كل خُلُق سُني، والخروج من كل خُلُق دَنِيّ"[٥].

ويُؤخذ على تعريف الجريري: أنَّ ما عرف به التَّصوُّف هو أمر محمود مأمورٌ به في الشَّريعة الإسلاميَّة وهو قوامها، إلَّا أن المتتبع لحال الصُّوفيَّة، ومنهجهم سواء العقدي، أو التَّعبُّدي يجد مخالفتهم لهذا الأصل الظَّاهر الصَّريح: وهو الأخذ بكل ما هو سني ونبذ ما سواه،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه-كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم (١٨٣٠/٤) رقم (٧٣٠١).

(٢) انظر: موسوعة التَّصوُّف الإسلامي، محمود زقزوق وآخرون، (ص: ٢٩٤) ط: دار الكتب المصرية - القاهرة، ٢٠٠٩م.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير - باب الحاء - من اسمه الحارث - الحارث بن مالك الأنصاري (٢٦٦/٣) رقم (٣٣٦٧) ت: حمدي السلفي، ط: مكتبة ابن تيميَّة - القاهرة، الطبعة الثَّانية ١٩٨٣م. قال ابن رجب في فتح الباري: وهو حديث مرسل، وقد روي مسندا بإسناد ضعيف (٢١٢/١)، ت: محمود عبد المقصود وآخرين ط: مكتبة دار الحرمين - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م. وقال ابن حجر في الإصابة: حديث معضل (٦٨٩/١) ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

(٤) أبو محمد الجريري اسمه أحمد بن محمد بن الحسين، كان من كبار أصحاب الجنيد، وصحب أيضًا سهل بن عبد الله التستري وهو من علماء مشايخ القوم، وكان الجنيد بن محمد يكرمه ويُبجِّلُه. أُقعِد بعد الجنيد في مجلسه لتمام حاله وصحة علمه، الغالب عليه كنيته، وكان عظيم القدر عند طائفته، توفي سنة وقعة الهبير، وَطِئته الجمال وقت الوقعة، سنة إحدى عشرة وثلاث مئة. انظر ترجمته في: الطبقات الصُّوفيَّة لأبي عبد الرحمن السلمي (٢٠٣/١)، وتاريخ بغداد، (١١٦/٦).

(٥) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٤١٦).

فمن السنة عدم مخالفة الفطرة، وها هم يخالفونها في أصولها؛ من تجويع النَّفس وتعرية الأجساد ومفارقة المراقد بالأيام الطوال –كما يزعمون– بُغية تهذيب النَّفس، والتي لن يُصلحها ويهذبها إلَّا ما شَرَعَه الله ﷻ في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ وما فُطرت عليه الأنفس. كما نجد ما ابتدعته الصُّوفيَّة من عقائدَ لم يؤمر بها؛ كعقيدتهم في الأولياء وكراماتهم وتعظيم قبورهم وشد الرحال إليها واتخاذها عيدًا مخالفة صريحة لما جاء في السنة[1] التي يدعون أن التَّصوُّف هو العمل بها ونبْذ ما خالفها. وغيرها من بدعهم العقديَّة والتَّعبُّديَّة والتي سنتناول بعض منها في طيات هذه الرسالة.

٤- وذكر السَّهْرَوَرْدِيّ[2] في عوارفه تعريفًا للتَّصوُّف فقال هو: "اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزُّهد، مع مزيدِ أوصافٍ وإضافاتٍ لا يكون بدونها الرَّجل صوفيًّا وإن كان زاهدًا وفقيرًا"[3].

ويؤخذ على تعريف السَّهْرَوَرْدِيّ: جعل التَّصوُّف محصورًا بالفقر والزُّهد وهذا يخالف ما عليه حال الصُّوفيَّة في قديم وحديث؛ فكثير ممن ينتسب إلى التَّصوُّف لا يتَّصف بالفقر ولا تظهر عليه مظاهر الزُّهد، كما أنه عرّض تعريضًا لصفاتٍ وإضافات لم يذكرها، أو يمثل لها بمثال على الرغم من أنها أصلٌ في التَّصوُّف عنده، فعبارته مُوهِمة عامة لم تحدد تلك الصِّفات وهذا من الغموض المعيب على التَّعريف.

---

(١) عن عائشة: أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ، فقال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات، بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة» أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الصلاة – باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويُتخذ مكانها مساجد (١/١١٧) رقم (٤٢٧)، ومسلم–كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها (١/٣٧٥) رقم (٥٢٨).

(٢) أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه، البكري الملقب شهاب الدين السهروردي، كان فقيهًا شافعي المذهب، شيخًا صالحًا ورعًا كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة، وتخرج عليه خلق كثير من الصُّوفيَّة، وكان كثير الحج، وربما جاور في بعض حِججه، توفي في مستهل المحرم سنة اثنتين وثلاثين وست مئة ببغداد، وهو غير شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي المقتول. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٣/٤٤٦)، وسير أعلام النُّبلاء (١٦/٢٦٩).

(٣) عوارف المعارف لسهروردي (١/٦٥)، ت: أحمد السايح وتوفيق وهبة، ط: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الثَّانية ٢٠١٣م.

٥- وعَرَّفَ الجُرْجَانِيّ[١] وتبعه التَّهانوي[٢] في تعريف التَّصوُّف: "بالوقوف مع الآداب الشَّرعيَّة ظاهرا فيرى حكمها من الظَّاهر في الباطن، وباطنا فيرى حكمها من الباطن في الظَّاهر فيحصل للمتأدّب بالحكمين كمال"[٣].

ويؤخذ على تعريف الجُرْجَانِيّ: إتيانه بألفاظ مجملة ومُوهِمة في تعريفه تحتمل المعنى الحسن والمعنى القبيح، فإن عنى بالآداب الشَّرعيَّة: كل أمرٍ ممدوح جاء الشَّرع بإقراره فهذا أمرٌ مندوب إليه ومدار الشَّريعة عليه. وإن كان يعني بالآداب الشَّرعيَّة ما يدور على ألسنة الصُّوفيَّة من آداب ما أنزل الله بها من سلطان حيث يقسمونها إلى أنواع ثلاث: أدب الشَّريعة وهو: الوقوف عند رسومها، وأدب الخدمة وهو: الفناء عند رؤيتها مع المبالغة فيها، وأدب الحق هو: أنت تعرف مالك وماله[٤]. فلا دليل من الشَّرع على هذه التَّقسيمات ولم يقل بها أحد من أهل السُّنَّة والجماعة فيما أعلم.

فنجد جُلَّ تعريفات الصُّوفيَّة تحتمل حقًا وباطلًا.

ومن تعاريف أهل السُّنَّة والجماعة لمفهوم التَّصوُّف تعريف ابن الجوزيّ رَحِمَهُ اللهُ:

فقال التَّصوُّف هو: "طريقة كان ابتداؤها الزُّهد الكُلِّيَّ، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسَّماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العَوَامِّ لما يظهرونه من التَّزَهُّدِ. ومال إليهم طلاب الدُّنيا لما يرون عندهم من الرَّاحة واللعب"[٥]. وقد أجاد ابن الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ في تعريفه ببيان حقيقة التَّصوُّف ومراحله، ويُزاد على هذا التَّعريف ما انتهت إليه الصُّوفيَّة في عقائدها وانحرافها وميلها للمذاهب الفلسفيَّة التي أفضت إلى القول بالحلول والاتِّحاد وعقيدة وحدة الوجود[٦].



(١) علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني، ويُعرف بالسيد الشريف، ولد سنة أربعين وسبع مئة اشتغل ببلاده، عالم بلاد الشرق، كان علَّامة دهره، وقدم القاهرة ثم خرج إلى بلاد الروم، ثم لحق ببلاد العجم، وصار إماما في جميع العلوم العقلية وغيرها متفردا بها، مصنفا في جميع أنواعها، وله كتاب التعريفات ومصنفات أُخرى، وتوفي سنة أربع عشرة وثماني مئة بشيراز. انظر ترجمته في: بغية الوعاة للسيوطي (٢/١٩٦) وهدية العارفين (١/٧٢٨).

(٢) محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي: لغوي، مشارك في بعض العلوم، باحث هندي له كتاب (سبق الغايات في نسق الآيات) و(كشاف اصطلاحات الفنون) طبع بمجلدين، فرغ من تأليفه سنة ١١٥٨ هـ، انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٦/٢٥٩) ومعجم المؤلفين (١١/٤٧).

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي، ت: علي دحروج (١/٤٥٦) ط: مكتبة لبنان - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

(٤) انظر: التعريفات (ص: ٧٣).

(٥) تلبيس إبليس (ص: ١٥٦).

(٦) سيأتي مزيد بيان في تعريف هذه المصطلحات وتوضيحها في الفصل الأول؛ في أهم عقائد الصوفية: عقيدتهم بالله ﷻ (ص: ٧١)




المبحث الثَّالث:
نشأة التَّصوُّف ومراحل تطوره

المطلب الأول:
نشأة التصوف

إنَّ الباحث في نشأة التَّصوُّف وابتداء أمره، يرى اختلاف أهل العلم والمؤرِّخين وتعدُّد أقوالهم في نشأته، من جهة سبب وجوده، ودعائم انتشاره، وتشابه العديد من أفكاره بما سبقه من الدِّيانات المنحرفة والثَّقافات السَّائدة في ذلك الوقت. ويمكن حصر تلك الاختلافات في أقوال منها:

القول الأول: أن التَّصوُّف سبق ظهور الإسلام[١]، حيث يتشبه الصُّوفيَّة في زهدهم وانقطاعهم للعبادة بأقوام في الجاهليَّة يقال لهم (صوفة) كما مر معنا سابقًا في تعريف الصُّوفيَّة[٢]. وقد رُدَّ على هذا القول بما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيميَّة ﷺ بعدم صحة هذه النِّسبة[٣].

القول الثَّاني: أن التَّصوُّف نشأ في صدر الإسلام، بل هو من تعاليم الإسلام التي حث عليها ورغب فيها. وما أهل الصُّفَّة[٤] الذين كانوا في عهد النَّبي ﷺ إلَّا دليلٌ على قدم المذهب الصُّوفي وصوابه وعمل العديد من الصَّحابة ﷺ به. ولذا فإنّا نجد كثيرًا من كتب طبقات الصُّوفيَّة تُصَدَّرُ بذكر كبار الصَّحابة ﷺ وتعدهم من أوائل من سلك المسلك الصُّوفي[٥]. ويجاب عن هذا: بأن أهل الصُّفَّة إنما ألجأهم العوز والحاجة إلى المكوث في مسجد النَّبي ﷺ، فما إن يتغير حالهم ويغنيهم الله ﷻ من فضله حتى يخرجوا للسعي في طلب المعاش[٦]. كما أنه

---

(١) انظر: اللمع (ص: ٤٣).

(٢) راجع (ص: ٢٤) مبحث التعريف اللغوي من الرسالة.

(٣) انظر: تلبيس إبليس (ص: ١٤٦)، ومجموع الفتاوى (١١/٧)، ورد ذكره آنفًا في مبحث تعريف التَّصوُّف.

(٤) وأهل الصُّفَّة هم قومٌ فقراء من المسلمين، قال عنهم الصحابي الجليل أبو هريرة -ﷺ-: "وأهل الصُّفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا على أحد، إذا أتته - أي النبي ﷺ - صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها...". انظر: تتمة الحديث في صحيح البخاري، كتاب الرقاق - باب كيف كان عيش النَّبي ﷺ وأصحابه برقم (٦٥٤٢).

(٥) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (١/٥٨) ت: سامي جاهين، ط: دار الحديث - القاهرة ٢٠٠٩م، والطبقات الكبرى للشعراني (ص: ٢٩) ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثَّالثة ٢٠١٨م.

(٦) انظر: تلبيس إبليس (ص: ١٤٦).

لم يعرف عنهم القيام بعبادات تختلف أو تزيد عما كان يقوم به باقي الصَّحابة ﷺ والمسلمون عامةً في ذلك الوقت، بل هم مقتدون ومُتَأَسُّون بما جاء عن النَّبي ﷺ. وإنما اختصوا بملازمة المسجد للفقر والغربة.

القول الثَّالث: أن نشأته كانت في القرن الثَّاني[١]، حين فتحت الدُّنيا على المسلمين وانغمس منهم من انغمس في ملذَّاتها وترفها، وبدأ إعراض النَّاس عن السَّبيل السَّوِيّ، انصرف البعض إلى الزُّهد والانقطاع للعبادة والبعد كل البعد عن الدُّنيا وما فيها كرَدَّةِ فعلٍ[٢].

وهذا أقربُ الأقوال إلى واقع نشأة التَّصوُّف، ويدل عليه:

- **قول الحسن البصري:** "رأيت صوفيًّا في الطَّواف فأعطيته شيئًا فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق يكفيني ما معي"[٣].
- **وقول سفيان الثَّوريُّ:** "لولا أبو هاشم الصُّوفيُّ ما عرفت دقيق الرِّياء"[٤].
- **وقول الشافعي:** "لو أنَّ رجلًا تَصَوَّفَ أوَّل النهار لا يأتي الظهر حتى يصيرَ أحمق"، وقال أيضًا: "ما لزم أحدٌ الصُّوفيين أربعين يومًا فعاد عقلُه أبدًا"[٥].

القول الرَّابع: أن التَّصوُّف -كعِلمٍ مُشْتَهر وله مُنتسِبون- لم يُعرف إلَّا بعد انقضاء القرون الأولى[٦]. ويُقصد بهذا القول كون التَّصوُّف علم منتظم الأركان له علماؤه ومتعلميه ومؤلفاته.

القول الخامس: أن التَّصوُّف هو وليد التَّأثُّر بشتى الثَّقافات التي كانت سائدةً في ذلك الوقت كالدِّيانات الشَّرقيَّة، والنَّصرانيَّة، والإرث اليوناني نتيجة الفتوحات الإسلاميَّة ودخول بعض الأعاجم للإسلام بما يحملون من معتقدات وأفكار، مما أدى إلى تأثر بعض المسلمين بهم وبما ينتهجون[٧].

---

(١) انظر: الرسالة القُشيريَّة (ص: ٣٤).
(٢) انظر: تلبيس إبليس (ص: ١٥٧)، ومجموع الفتاوى (٦/١١).
(٣) اللمع (ص: ٤٢)، وعوارف المعارف (٢٠٨/٢).
(٤) اللمع (ص: ٤٢).
(٥) تلبيس إبليس (ص: ٣٥٩).
(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٦/١١).
(٧) انظر: ما للهند من مقولة للبيروني (ص: ٢٤) ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند، الطبعة الأولى ١٩٥٨م، والتَّصوُّف: المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير (ص: ١٣٨)، ط: بيت السلام - الرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

ومع اختلاف الأقوال والآراء في نشأة التَّصوُّف يتلمس الباحث في مجموعها مدى التأثير الخارجي في تطور التَّصوُّف وانتقاله من مرحلة إلى مرحلة، وكلما زاد البعد عن العهد النبوي زاد الانغماس في الابتداع والضَّلال الصُّوفي، حتى يجد المرء أن ذلك التأثير الخارجي متجذرًا في بعض العقائد والسُّلوك الصُّوفي، بل أصبح ذلك الأثر هو ذاته التَّصوُّف المنشود لدى منتسبي الصُّوفيَّة. ونجمل هذا التأثير في نقاط مختصرة:

التأثير اليوناني:

يظهر أثر الفلسفة اليونانيَّة على التَّصوُّف وتطوره بدخول الفلسفة الإشراقية[١]، والتي تقوم على أن أصل المعرفة هو ما يقذف في النَّفس بالرِّياضة الرُّوحيَّة[٢]، والتَّرويض النَّفسي، والانغماس في التَّأمُّل، والتَّفكُّر دون عملٍ، والتَّرقِّي في مقامات العُبوديَّة حتى يصل الصُّوفيُّ إلى مقام اليقين، ومشاهدة الحقائق على ما هي عليه، والتَّلقِّي من الذَّات العَلِيَّة، وإشراق الأنوار والمعارف عليه مما لا يصل لها بالعقل والحس. وكان لهذا الأثر السَّيِّئ على الصُّوفيَّة، ما حملهم على الاعتقاد بوحدة الوجود، وأن لا وجود إلَّا وجود الرَّبِّ وحدَه، وكل ما في الكون هو من مظاهر وجوده.

التأثير النصراني:

ويظهر أثر النَّصرانيَّة على الصُّوفيَّة منذ نشأة التَّصوُّف الأولى، حيث تميزوا بلباس الصُّوف الذي نسبوا له كما مرَّ معنا آنفًا. وهو ما كان يلبسه رهبان النَّصارى وقساوستهم، والتزامهم بسُكنى الخَلَوَات والخانقاه[٣] المشابهة للصَّوامع والأديرة عند النَّصارى، كما زهدت بعض طوائف الصُّوفيَّة في الزَّواج ودعت إلى هجر النِّساء والأبناء حتى اشتهر لديهم قول: (لا يبلغ الرجل إلى

---

(١) الإشراق: مذهب يوناني مستفاد من النظرية الأفلاطونية المحدثة؛ فهو يعبر عن الذات الإلهية بالنور ويصف العوالم بأنها أنوار مستمدة من الله الذي هو عندهم نور محض –تنزه الله عن ذلك– وهذا مما لم يقل به كتاب ولا سُنة صحيحة. وأول من قال بنظرية الإشراق الصوفي شهاب الدين السهروردي المقتول. انظر: التَّصوُّف والتفلسف الوسائل والغايات لصابر طعيمة (ص: ٢٣٥). ط: مكتبة المدبولي– القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

(٢) عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية، فإن تهذيبها تخفيفها عن خلطات الطبع ونزعاته. انظر: التعريفات (ص: ١٨٣).

(٣) الخانقاه وهي: كلمة فارسية معناها: البيت، وقيل: هو الموضع الذي يأكل فيه الملك، حدثت في الإسلام في حدود سنة الأربعمائة وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى. انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٤/٢٨٠).ط: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م..

منازل الصِّدِّيقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، وأولاده كأنهم أيتام، ويأوي إلى منازل الكلاب)[١]، وشابهوا بذلك رهبان النَّصارى في تَبَتُّلِهم، وهو ما جاء مخالفًا لصريح السُّنَّة النَّبويَّة. وتطور هذا التَّأثُّر حتى وصل بهم القول بالاتِّحاد والحلول الإلهي في النُّفوس الإنسانيَّة وهذا أصل عقيدة النَّصارى[٢].

۞ تأثير الدِّيانات الشَّرقيَّة:

لما كان للدِّيانات الشَّرقيَّة كبيرُ عنايةٍ بالجوانب الرُّوحيَّة، خاضوا في سبيل خلاصها من القيود الجسمانيَّة وذلك بتعذيب الأجساد التي هي سجون لتلك الأرواح، فاخترعوا من الرِّياضات والممارسات والمجاهدات البدنيَّة ما يخلص تلك الأرواح من سجنها وينقيها من الأكدار والعلائق لتَسْمُوَ بها في الملكوت الأعلى، ومن تلك الممارسات التي تأثرت بها الصُّوفيَّة وأصبحت من طقوس التَّصوُّف عند بعض الطَّوائف: التَّجويع بترك الطعام لليالٍ طوال وتعذيب النَّفس بكتم الأنفاس، والسُّكنى في المزابل والحشوش، وتعرية الأجساد ولبس ما اخشوشن من الثياب والسياحة في البراري[٣]. وما كانت هذه الممارسات إلَّا وسائل أفضت إلى ما هو أعظم من عقائدَ منحرفةٍ ضالَّةٍ، حيث يَتَرَقَّى المريد الصُّوفي من خلالها إلى أن يصل به الأمر للاعتقاد بحلول الذَّات الإلهيَّة في الأجساد البشريَّة ووحدة الوجود وغيرها من العقائد الباطلة.



---

(١) طبقات الشعراني (١/٤٦).

(٢) انظر: تلبيس إبليس (ص: ١٧٥).

(٣) انظر: قصة إبراهيم بن أدهم في الطبقات الصُّوفيَّة لأبي عبد الرحمن السلمي (ص: ١٥).

المطلب الثاني:
مراحل تطور التَّصوُّف

عند سبر الأقوال في نشأة التَّصوُّف نجد أنه مر بعدة مراحل حتى وصل إلى ما هو عليه في العصر الحالي. ويمكن إيجازها كالتَّالي:

المرحلة الأُولى: وهي مرحلة المبالغة بالزُّهد وترك الدُّنيا والانقطاع للعبادة.

المرحلة الثَّانية: وهي الانغماس في الرَّهبانية والتَّعلُّق بالبدع والمنكرات، والغلو في الأشياخ والأولياء، واتِّخاذ السَّماع والرَّقص وسائلَ للتَّعبُّد وقربى إلى الله ﷻ.

المرحلة الثَّالثة: الانتقال من الابتداع السُّلوكي إلى الابتداع العقدي، والجنوح نحو الشَّطح والزَّنْدقة والإلحاد، والقول بالاتِّحاد والحلول ووحدة الوجود.

المرحلة الرَّابعة: هي ما عليه الصُّوفيَّة الآن من الرُّكود والجمود والتَّقليد الكُلِّي لِما مرَّتْ به في المراحل الثَّلاث السَّابقة، فنجد من الصُّوفيَّة المعاصرين من اقتصر تصوُّفُه على الزُّهد والانقطاع للعبادة، وصِنفًا جنح للغلوِّ بالأولياء والانقياد لهم كانقياد الشَّاة للراعي، وهم السَّواد الأعظم من مُتصوِّفة العصر، الذين لا يعرفون من التَّصوُّف إلَّا الموالد والسَّماع والذِّكر الجَمَاعيّ والرَّقص، وصِنفًا آخر تلبس بالبدع العقديَّة حتى كان أقرب للكفر منه إلى الإيمان. فجمعت الصُّوفيَّة المعاصرة كل أنواع التَّصوُّف منذ نشأته حتى مراحله الأخيرة[١].



(١) تم الوصول إلى هذه النتيجة من خلال استقراء نشأة وتطور الصُّوفيَّة على مر العصور.



وفيه **مبحثان**:

المبحث الأول: مصادر التَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة.

وفيه **ثلاثة** مطالب:

المطلب الأول: العلم اللدني.

المطلب الثاني: الذوق.

المطلب الثالث: الوجد.

المبحث الثَّاني: أهم عقائد الصُّوفيَّة وأشهرها.

وفيه **خمسة** مطالب:

المطلب الأول: عقيدة الصوفية في الله ﷻ.

المطلب الثاني: عقيدة الصوفية في النبي ﷺ.

المطلب الثالث: عقيدة الصوفية في الأولياء.

المطلب الرابع: عقيدة الصوفية بالقرآن الكريم.

المطلب الخامس: عقيدة الصوفية بالجنة والنار.




المبحث الأول:
مصادر التَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة

إن مصادر التَّلقِّي والاستدلال عند كل طائفة هي العامل الرَّئيس في تكوين الفكر لديها، ومن خلالها يتم تحديد النهج الذي تنتهجه وتحْتكم إليه في جلّ أمورها، ومن نصوصها يستقون آرائهم، فما أحقته فهو الحق وما أبطلته فهو الباطل.

ومصادر التَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة القول فيها كالقول في التَّعريف والنشأة، فقد اختلف العلماء في تحديد مصادر التَّلقِّي والاستدلال، وقد قسمها البعض إلى مصادر خارجيَّة وأخرى داخليَّة، وأدرج بعضهم تأثر بعض الطَّوائف الصُّوفيَّة بالدِّيانات الشَّرقيَّة والفلسفة اليونانيَّة وتأثرهم باليهوديَّة والنَّصرانيَّة ضمن المصادر الخارجيَّة، ولعلَّنا لا نعتبر هذا التَّأثُّر مصدرًا مباشرًا للتَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة، ولكن يمكن القول بأن الصُّوفيَّة لم تسلم من التَّأثُّر الخارجيِّ بما أحاط بها من الدِّيانات، وقد استقت بعض أفكارها من هذه المؤثرات الخارجيَّة بحكم الالتصاق والمخالطة، وجانب من الإعجاب والجهل بحكم محاكاة ما لا يصحُّ تقليده؛ لعدم صحَّتِه من جهة، وعدم اعتباره وسيلة صحيحة للوصول إلى الغايات الشَّرعيَّة المطلوبة من جهة أخرى، كتقليدهم للنَّصارى في رهبانيتهم وخلواتهم في الصَّوامع، كما مرَّ معنا سابقًا(١).

وأما مصادر التَّلقِّي الداخليَّة عند الصُّوفيَّة، فكل مرحلة من مراحل التَّصوُّف تحدثت عن مصادرها في التَّلقِّي والاستدلال، وأتت بأقوالٍ متضاربةٍ، فتارة نجدهم يُنَظِّرون بأهمية الرُّجوع للكتاب والسُّنَّة وعرض الأقوال والأعمال عليها، فما وافقهما فهو حق وما خالفهما فهو باطل مردود، ويقول بذلك من هم في الطَّبقة الأولى من زهاد الصُّوفيَّة كذي النُّون المصري(٢) في قوله: (علامات المحبِّ لله: متابعة حبيب الله ﷺ، في أخلاقه، وأفعاله، وأوامره، وسُنَنِه)(٣).

---

(١) انظر: مبحث نشأة التَّصوُّف في الرسالة (ص: ٣٤).

(٢) ذو النون بن إبراهيم أبو الفيض المعروف بالمصري أصله من النوبة، قيل: إن اسمه ثوبان، وذا النون لقب له. وقد أسند عنه أحاديث غير ثابتة، كان حكيما فصيحا زاهدا، وكان واعظا. وقال الدارقطني: روى عن مالك أحاديثَ فيها نظر، وتستشهد الصُّوفيَّة بكثير من مقالاته، توفي سنة ست وأربعين ومئتين. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٩/٣٧٣). وتاريخ الإسلام (٥/١١٣٦).

(٣) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٤٣).

وأبي سليمان الدَّارانِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)] في قوله: "ربما يقع في قلبي النُّكتة من نُكَتِ القوم أيَّامًا، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسُّنَّة"[(٢)]، ويقول الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ: "من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأن عِلمَنا مُقَيَّدٌ بالكتاب والسُّنَّة"[(٣)]، ويقول أيضًا: "مذهبنا هذا: مقيَّدٌ بأصول الكتابِ والسُّنَّة"[(٤)]. ويشهد لهذه الطَّبقة من الزُّهَّاد الأوائل الذين عُرفوا بلزوم الكتاب والسُّنَّة وأطلق عليهم في ذات الوقت اسم الصُّوفيَّة أو الزُّهَّاد، وعَدَّهم الصُّوفيَّة من شيوخهم وكبرائهم بسلامة المعتقد من قبل أهل العلم وإن لم يَخلُ من بعض المآخذ السُّلوكيَّة التَّعبُّديَّة[(٥)].

بينما عند التَّرقِّي في طبقات الصُّوفيَّة المتأخِّرة عن الصُّوفيَّة الأوائل؛ نجد أن منهم من يجعل العِلم بالكتاب والسُّنة من العلوم التي لا تليق بالصُّوفِيّ، فنراهم قد حادوا عن الأخذ بالكتاب والسُّنَّة، وعدُّوا الأخذ بهما من الجهل الذي لا يَليق بالمريد، فنجد أبا سليمان الدَّارانِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ في قول آخر يُنسب له يقرر خلاف ما قرره آنفًا فيقول: "ثلاثٌ من طَلَبَهُنَّ فقد رغب في الدُّنيا: من طلب معاشًا، أو تزوج، أو طلب الحديث"[(٦)]. فإنها تشغله عن طلب الآخرة والتَّرقِّي في مقامات التَّصوُّف. فيقول أبو الفضل الأحمديُّ[(٧)]: "لا تقطعوا بما عَلِمْتموه من الكتاب والسُّنَّة، ولو كان حقًّا في نفسه"[(٨)]. وكما مرّ معنا آنفًا من مرويَّات الداراني رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من المُتصوّفة

---

(١) عبد الرحمن بن عطية، ويقال: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية وهو من أهل داريا قرية من قرى دمشق، أسند الحديث، قال ابن حبان: من أفاضل أهل زمانه وعبادهم وخيار أهل الشام وزهادهم ما له كثير حديث مسند يرجع إليه، توفي سنة خمس عشرة ومئتين. انظر ترجمته في: الثقات لابن حبان (٨/٣٧٦)، والطبقات الصُّوفيَّة للسلمي (ص: ٧٤).

(٢) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٥٦).

(٣) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٦٤).

(٤) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٦٤).

(٥) انظر: كتاب الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، ت: محمد رشاد سالم، (١/٨٢)، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة ١٩٩١م.

(٦) قوت القلوب لأبي طالب المكي، ت: محمود إبراهيم الرضواني (٣/١٦٢٤). ط: دار التراث – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

(٧) أبو الفضل الأحمدي، صوفي أخذ الطريق عن علي الخواص وبركات الخياط، وصحب عبد الوهاب الشعراني خمس عشرة سنة، ورُويت عنه قصص وحكايات وأباطيلُ كثيرةٌ، وتوفي سنة اثنتين وأربعين وتسع مئة. انظر ترجمته في: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة لنجم الدين محمد بن محمد الغزي (٢/٩٥)، ولواقح الأنوار القدسية للشعراني، (٢/٩٨٦).

(٨) طبقات الشعراني (٢/١٧٣).

في سياقِ ذمِّ الأخذ بالكتاب والسُّنَّة، وهذه الأقوال: إمَّا منسوبة لهم ولا تَصِحُّ نسبتها إليهم، وإمَّا يُقَرِّروها -أي الأخذ بالكتاب والسُّنَّة- في أقوالهم تَقِيَّةً واستتارًا؛ حتى لا يُشنَّعَ عليهم من قِبَلِ أهل العِلْمِ، وترد أقوالهم ويكونوا مَحَلَّ اتِّهامٍ ورَزِيَّةٍ. وإمّا لأنَّهم في حقيقة الأمر لا يأخذون النُّصوص الشَّرعيَّة بظاهر معانيها كما فَهِمَها السَّلف، بل يُؤَوِّلون معانيَها لمعانٍ باطنة يدّعون اختصاصهم بفهمها دون ما سواهم. وعليه كان تقسيمهم للعلم: علم حقيقة، وهو علم الباطن وتختص به الصُّوفيَّة، وعلم شريعة، وهو علم الظَّاهر يَعرفه عامَّة المسلمين.

ويمكن إجمال ما انتهتْ إليه مصادر التَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة بالآتي:

أولًا: العِلم اللَّدُنِّيّ.

ثانيًا: الذَّوق.

ثالثًا: الوَجد.



المَطلب الأوَّل:
العِلم اللَّدُنّي والكشف

جَعلْتُ الصُّوفيَّة للمعرفةِ منهجًا قائمًا على التَّأمُّل والمجاهدات والرِّياضات الرُّوحيَّة، حيث تُوصِلُهم هذه المجاهداتُ إلى الحقائق والمعارف التي تَعجز العقول عن إدراكها والنُّقول عن تسطيرها. والمعرفة لدى الصُّوفيَّة هي الوصولُ لله وإدراك مراده ﷻ من خلال الحدس وما يَقَرُّ في القلب من علم يُوهَب بلا كسبٍ من العبد ولا تَعلُّمٍ. وهو ما يُطلق عليه العِلم اللَّدُنِيّ، ويُقصد به العلم من لَدُنِ الله ﷻ؛ أي من عند الله.

تعريف العِلم اللَّدُنّي عند الصُّوفيَّة:

"هو العلم الذي يَقذِفُه الله في القلب إلهامًا بلا سببٍ من العبد، ولهذا سمي لَدُنيًّا والله ﷻ هو الذي عَلَّمَ العباد ما لا يعلمون ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [سورة العلق: ٥]. هذه هي حقيقة العِلم اللَّدُنِيّ عند الصُّوفيَّة، وقد كثر في عباراتهم وإطلاقاتهم"[١].

قال ابن القيم رحمه الله: "يُشير القوم بالعِلم اللَّدُنِّيّ إلى ما يحصل للعبد من غير واسطة، بل بإلهام من الله، وتعريف منه لعبده، كما حصل للخضر عليه السلام بغير واسطة موسى، قال الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ [سورة الكهف: ٦٥]"[٢].

تعريف العِلم اللَّدُنّي عند أهل السُّنَّة والجماعة:

ويتضح معنى العِلم اللَّدُنِّيّ عند أهل السُّنَّة والجماعة بقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: "وأما العِلم اللَّدُنِّيّ: فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصَّالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتِّباعهم ما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم"[٣].

ويُعرفه ابن القيم رحمه الله بقوله: "العِلم اللَّدُنِّيّ ثمرة العُبوديَّة والمتابعة، والصدق مع الله، والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله ﷺ. وكمال الانقياد له. فيفتح له

(١) معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ للشيخ بكر أبو زيد (ص: ٣٨٥) ط: دار العاصمة – الرياض، ١٩٩٦م
(٢) مدارج السالكين لابن القيم، ت: عامر بن علي ياسين، (٥٣٢/٢)، ط: دار ابن خزيمة – الرياض. الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
(٣) مجموع الفتاوى (١٣١/١٣).

من فهم الكتاب والسُّنَّة بأمر يخصه به، كما قال علي بن أبي طالب ﵁ -وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟- فقال: «لا، والذي فَلَقَ الحبَّة، وبَرَأَ النَّسَمَة. إلا فهما يؤتيه الله عبدًا في كتابه[١]، فهذا هو العِلم اللَّدُنِّيّ الحقيقي...»"[٢].

وبقول هذين الإمامين ﵏ يتبين لنا أن العِلم اللَّدُنِّيّ مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بصلاح العبد، ومدى استجابته لِما جاء بالكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة، وكمال الانقياد والاتِّباع لهما. فبقدر استقامة العبد على الجادَّةِ ولزوم طريق الحق يكون فتح الله ﷻ عليه في الفهم والعلم والعمل.

وعند أهل التَّصوُّف يمكن الوصول إلى هذا العِلم اللَّدُنِّيّ عن طريق الكشف الذي هو معتمد التَّلقِّي والاستدلال لديهم، والذي يتحصل من طُرقٍ كثيرةٍ سأذكرها لاحقًا بعد التَّعريف به، وذكر أقوال أهل العلم فيه.

الكشف:

أولًا: تعريف الكشف لغةً:

- الكاف والشين والفاء أصل صحيح يدل على سَرْوِ الشَّيء عن الشيء، كالثَّوب يُسْرَى عن البدن[٣].
- رفعك شيئًا عمَّا يُواريه ويُغطِّيه، كرفع الغطاءِ عن الشَّيء[٤].

ثانيًا: الكشف في اصطلاح الصُّوفيَّة:

- الاطِّلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغَيبيَّة، والأمور الحقيقيَّة وجودًا وشهودًا[٥].

ثالثًا: قول أهل السُّنَّة والجماعة في الكشف:

قد جاء ذكر الكشف بمعناه الحق، والرد على معانيه الباطلة عند كثيرٍ من أعلام السُّنة، منهم شيخ الإسلام ابن تيميَّة وتلميذه ابن القيم ﵏.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير (٢/٧٤٤) رقم (٣٠٤٧) بنحوه.

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٤٦).

(٣) مقاييس اللغة (٥/١٨١).

(٤) كتاب العين، للخليل الفراهيدي ت: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (٥/٢٩٧) ط: دار ومكتبة الهلال. بدون تاريخ طبعة.

(٢) التعريفات (ص: ٢٦٥) ومعنى الوجود: فقدان العبد بمَحْقهُ أوصاف البشرية ووجود الحق؛ لأنه لا وجود للبشرية عند ظهور سلطان الحقيقة. الشهود هو: رؤية الحق بالحق. انظر:(ص ٣٤٤، ٢٠٤).

فقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في معناه: "فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ فيفعلون ما أَمر به ويَنتهون عمَّا عنه زجر، ويَقتدون به فيما بيّن لهم أن يتبعوه فيه، فيُؤيِّدهم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يُكرم الله بها أولياءه المُتَّقين"(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض حديثه عن مكائد الشَّيطان التي يَكيد بها ابنَ آدم: "ومن كيده: ما ألقاه إلى جُهَّال المُتصوِّفة من الشَّطِح(٢) والطامَّات، وأبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات، فأوقعهم في أنواع الأباطيل والتُّرَّهات، وفتح لهم أبواب الدَّعاوى الهائلات، وأوحى إليهم أن وراء العلم طريقًا إنْ سلكوه أفضى بهم إلى كشف العِيان، وأغناهم عن التَّقيُّد بالسُّنة والقرآن"(٣). وفي ذكره للكشف بمعناه الصَّحيح الموافق للشرع والموجود حقيقةً، وأنه أعظم مطلوب يَزيد العبدَ قُربًا من الله ﷻ، يقول: "...وأما أتباع الرسل، فقد أغناهم الله بما جاءت به الرسل من العلوم النافعة والأعمال الصَّالحة عن هذا كله، فلا يعتنون به -يعني الكشف بمعناه الباطل- ولا يجعلونه من مطالبهم المهمة؛... وهممهم لا تقف عند شيء من ذلك، بل هي طامحة نحو كشف ما جاء به الرَّسول من الهدى ودين الحق في كل مسألة، وهذا أعظم الكشوف وأجله وأنفعه في الدَّارين، مع كشف عيوب النَّفس وآفات الأعمال..."(٤).

والكشف معنًى عامٌّ تندرج تحته معانٍ أُخرى، هي وسائلُ للوصول إليه؛ كالتَّلقِّي عن الله ﷻ مباشرة، ورؤية النَّبي ﷺ بعد موته يقظةً أو منامًا، ورؤية الخَضِر عَلَيْهِ السَّلَامُ، والإلهام، والفراسة، والهواتف، والرُّؤى المناميَّة(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥٢/١١).

(٢) الشطح: عبارةٌ مستغربةٌ في وصف وَجْدٍ فاض بقوته، وهاج بشدة غليانه وغلبته. انظر: اللمع (ص: ٤٥٣). قلت: إنما الشطح هو حالة هذيان تتملك الصُّوفي حين تستحوذ عليه الشياطين، فيصدر منه من الأقوال والأفعال التي تَمُجُّها العقول، فيهذي هذيان السكارى والمجانين. ويعتبر الشطح أحد وسائل وحجج الصُّوفيَّة لتمرير عقائدهم الباطلة وأقوالهم المنكرة.

(٣) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن القيم، ت: علي بن حسن الحلبي، (٢٢٩/١) ط: دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم، (٣٠٣/٢)، ط: زمزم للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

(٥) سيأتي مزيد بيان في تفصيلها لاحقًا انظر: (ص: ٥٩).

رابعًا: منزلة الكشف عند الصُّوفيَّة:

للكشف منزلةٌ عظيمةٌ لدى الصُّوفيَّة، ويُعتبر المصدر الرَّئيس لديهم للتَّلقِّي والاستدلال للعلم والمعرفة، وبه يتوصلون لأعلى درجات اليقين، وإليه يحتكمون في جُلّ أمورهم، بل يجعلونه من مصادر تشريع العبادات أمرًا ونهيًا، فهو ذو قُدسيَّة مَحضةٍ، كان لهم منه النَّصيب الأوفرُ دون الخلائق كما يَزعمون. وقد تناولته الصُّوفيَّة في كتبها وأكثروا في ذلك؛ مُدَلِّلينَ له ومُفَصِّلِينَ في طرائقه وأقسامه، وما ذلك إلَّا لعظيم شأنه في نفوسهم.

وممن أكثر من ذكره وبيانه الغَزَّالي رحمه الله في كتابه الإحياء، حيث يقول بعد أن عدَّد الأسباب في تحصيل الكشف: "... فبواسطة هذه الأسباب يكون سببًا للكشف، بل القلب إذا صفا ربما يمثلُ له الحق في صورة مشاهدةٍ، أو في لفظ منظوم يقرع سمعه؛ يُعبِّر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة، وبالرُّؤيا إذا كان في المنام..."[١].

ومُراد القوم بالمكاشفة: أن تظهر الواردات القلبيَّة ظهورًا جليًّا لا يَعتريه شكٌّ ولا رَيْبٌ، وتتجلى لهم كرؤية العين معتقدين حقيقتها وواقعيتها ومتيقنين بوجودها حقيقةً لا خيالًا[٢].

خامسًا: وسائل الوصول إلى الكشف الصُّوفي:

١- التَّلقِّي عن الله عز وجل مباشرة:

يزعم أهل التَّصوُّف التَّلقِّي مباشرة عن الله عز وجل، سواء مهاتفة أو بما يُلقيه جل جلاله في روع أحدهم، ويختلفون بحقيقة رؤيته عز وجل بعين البصر أم بعين البصيرة[٣]. فنُقل عن طائفة منهم القول بجواز رؤية الله عز وجل في الدُّنيا حقيقةً. ذكر ذلك الكلاباذي قائلًا: "زعم بعض النَّاس أن قومًا من الصُّوفيَّة ادَّعَوْها لأنفسهم، وقد أطبق المشايخ كلهم على تضليل من قال ذلك..."[٤].

وفي قولهم برؤية الله جل جلاله الرُّؤية القلبيَّة –عين البصيرة– من الرِّوايات والمنقولات ما تعجز الأقلام عن تسطيره في الكتب، فهم يتنافسون بحشد كتبهم بروايات الرُّؤية، مما لا زمامَ لها ولا خطامَ، ولم يسلم منها أحد حتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٤٩٤) ط: دار المنهاج – جدة، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٤٥١).

(٣) البصيرة: نورٌ يقذفه الله في القلب، يَرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأي العين، فيتحقق انتفاعه بما دعت إليه الرسل وتضرره بمخالفتهم. انظر: مدارج السالكين، (١/١٩٠).

(٤) التَّعرُّف (ص: ٢٢).

الرد على من قال بجواز رؤية الله ﷻ في الدُّنيا:

وفي إبطال القول برؤية الله ﷻ في الدُّنيا كثير من الأدلَّة النَّقليَّة والبراهين العقليَّة، التي تَمنع الرُّؤية شرعًا وإن كانت مُمكِنَةً عقلًا. وسنقتصر على البعض منها دون استفاضة:

- الدَّليل من القرآن: قال الله ﷻ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣]، في بيان استحالة رؤية الله تبارك وتعالى في الدُّنيا.
- الدَّليل من السُّنة قوله ﷺ: «تَعَلَّموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه حتى يموت»[١].
- الدَّليل من أقوال السَّلف: قال الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد رحمه الله[٢] بعد إيراده لأدلة رؤية الله ﷻ يوم القيامة وعدم رؤيته في الدُّنيا: "...لاجتماع الكلمة من الله ورسوله، ومن جميع المؤمنين أن أبصار أهل الدُّنيا لا تُدركه في الدُّنيا"[٣].
- الدَّليل العقلي: لو كانت رؤية الله ﷻ مُتحقِّقةً بالدُّنيا شرعًا، لكان موسى عليه السلام أَوْلى الخلق برؤيته تبارك وتعالى، فقد سأل الله ﷻ أن يراه، فكان الجواب: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣].

٢- رؤية النَّبي ﷺ بعد موته يقظةً:

إنَّ رؤية النَّبي ﷺ يقظة بعد موته من أوسع مصادر التَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة رواجًا، وأكثرها رواية في تراجمهم ومصنفاتهم، ولا تخلو طائفةٌ من طوائفهم إلَّا كان النَّصيب الأوفر من مرويَّاتها ووصاياها مما يَزعمون تَلَقِّيها من النَّبي ﷺ يقظةً بعد وفاته. بل نجد في طيَّات هذه المرويَّات التي يَزعمون من التَّشريعات والأحكام المخالفة لما جاءت به النُّصوص الشَّرعيَّة ما أنزل الله به من سلطانٍ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه-كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب ذكر ابن صياد (٩/٢٦١) رقم (٧٢٨٣).

(٢) هو الإمام الحافظ عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، المُكنَّى بأبي سعيد، أحد أئمة أهل السنة والجماعة وعلمائهم، وأحد رواة الحديث النبوي، جالس الأمام أحمد بن حنبل، كان جذعا في أعين المبتدعين. وصنف مسندا كبيرا، ومن أشهر كتبه الرد على الجهمية وكتاب الرد على بشر المريسي. توفي في هراة في ذي الحجة سنة ثمانين ومئتين.انظر ترجمته في: تاريخ دمشق (٣٨/٣٦١). وتاريخ الإسلام (٦/٥٧٤).

(٣) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي(٢/٨٢١)، ت: رشيد بن حسن الألمعي، ط: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

وأقوالهم في هذا الباب كثيرةٌ لا حصرَ لها، وهي مما يتباهى بها القوم ويعلنونه، ويرون هذه المنزلة -الاجتماع مع النَّبي ﷺ والأخذ منه يقظةً بعد موته- منزلة رفيعة لا تنال، إلَّا إذا بلغ الصُّوفيُّ فيها مكانًا عليًّا، ومما ينقل في هذا ما ذكره الكلاباذي عن أحدهم فيقول: "...فكانت العادة قد جرت له أنه كان يرى النَّبي ﷺ كل ليلة اثنين وخميس فيسأله مسائلَ فيجيبه عنها..."[(١)].

ويُنقل عن عبد القادر الجيلاني رحمه الله[(٢)] أنه قال: "ما من نبيّ ولا ولي إلَّا وحضر مجلس الأحياء بأجسامهم، والأموات بأرواحهم"[(٣)]. ومن عجائب ما نَقَلَ الشَّعراني[(٤)]: أن جماعةً باليمن يُلقِّنون المريدَ[(٥)] الصَّلاة والسَّلام على النَّبي ﷺ ويشغلونه بها حتى إذا أصبح من المكثرين "يصير يجتمع بالنَّبيّ ﷺ يقظةً ومشافهةً، ويسأله عن وقائعه كما يسأل المريد شيخه من الصُّوفيَّة"[(٦)].

والكشف الذي يحصل بالأخذ عن النَّبي ﷺ له صور عند الصُّوفيَّة، فمن كَمُل في التَّرقِّي وبلغ أعلى مقامات[(٧)] التَّصوُّف، فإن الأخذ عن النَّبي ﷺ يكون يقظة باجتماعه به وتلقي الخطاب منه مشافهة. فيسألونه عن الأحاديث التي ترد عليهم فيُصحح عليه السلام ما يَصِحُّ منها

---

(١) التَّعرُّف (ص: ١١٩).

(٢) ستأتي ترجمته مطولةً لاحقًا في الفصل الثاني عند الحديث عن الطريقة القادرية انظر: (ص: ١٢٥).

(٣) الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة، لأبي الفضل الشاذلي. ت: أحمد السايح وتوفيق وهبة. (ص: ٤٧) ط: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

(٤) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، الأنصاري، الشافعي، الشاذلي، المصري يكنى بأبي المواهب، فقيه، أصولي، محدث، من علماء المتصوفين، مشارك في أنواع من العلوم. ولد في قلقشندة بمصر في ٢٧ رمضان، من تصانيفه الكثيرة: الجوهر المصون والسر المرقوم، لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، المقدمة النحوية في علم العربية، وشرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه، توفي بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة هـ. انظر ترجمته في: الأعلام (٤/١٨٠)، ومعجم المؤلفين (٦/٢١٨).

(٥) تعريف المريد: من انقطع إلى الله عن النظر والاستبصار، وتجرد عن إرادته؛ إذ علم أنه لا يقع في الوجود إلا ما يريده الله لا ما يريده غيره، فيمحو إرادته في إرادته فلا يريد إلا ما يريده الحق. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص: ٣٠٣)، ت: عبد الحميد صالح حمدان. ط: عالم الكتب – القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

(٦) انظر: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصُّوفيَّة للشعراني، ت: عبد الباقي سرور ومحمد الشافعي، (١/٣٢). ط: مكتبة المعارف – بيروت، ١٩٨٨م بدون تاريخ طبعة.

(٧) سيأتي تعريفها في الفصل الثاني من هذه الرسالة، انظر: (ص: **١٠٦**)

ويضعف ما ضَعُف. ولا يقتصر التَّلقِّي على التَّصحيح والتَّضعيف، بل يَتَعَدَّاه إلى رواية ما لم يرو في حياته ﷺ. كما يزعمون تلقيهم للأحكام الشَّرعيَّة منه ﷺ ويستشيرونه فيما يَطرَأُ عليهم من أحداثٍ، بل يبلغ بهم الأمر أن يسألوه ﷺ عن أمورٍ غيبيَّةٍ مستقبليَّةٍ، كما يتلقون عنه ﷺ الأذكار والأوراد اليوميَّة، وفضائل الأشخاص ومثالبهم. وهم في ذلك متفاوتون كلٌّ بحَسَبِ حاله ومقامه. فمنهم من يراه بعين رأسه، ومنهم من يراه بعين قلبه، أو يكون الاجتماع به ﷺ بالأرواح لا بالأبدان. وكل هذه الأمور هي من خرافات الصُّوفيَّة وهرطقتهم، لا من دليل شرعي صحيح يثبت زعمهم.

الرَّد على من قال برؤية النَّبي ﷺ يقظةً بعد موته:

● أنّ ادِّعاء رؤية النَّبي ﷺ يقظة بعد موته مُنافٍ لصريح الأدلَّة القاطعة بموته. كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [سورة الزمر: ٣٠].

● أنه لو كانت رؤية النَّبي ﷺ بعد موته يقظةً مُتحقِّقةً، لكان أولى النَّاس برؤيته هم الصَّحابة ﷺ؛ لأنَّهم أشد النَّاس له حُبًّا، وأكثرهم به اقتداءً، وقد وقع بينهم من الخلافات ما احتيج للفصل فيها، كما اختلفوا في رواية بعض الأحاديث فيما بينهم، ومن أعظم المسائل التي وقع فيها الخلاف بينهم مسألة محل دفن النَّبي ﷺ وكيفيَّة غسله، ومع هذا لم يَدَّعِ أحدٌ منهم بأنَّه رأى النَّبي ﷺ يقظةً بعد موته أو طلب مشورته أو سأله في حديث أصحيح هو أم ضعيف؟ كما تدعي الصُّوفيَّة. والأدلَّة على نقض هذا الأمر كثيرة ومستفيضة[(١)].

● يلزم من القول برؤية النَّبي ﷺ يقظة بعد موته استمرار بقاء الصُّحبة إلى يوم القيامة وفقًا لتعريف الصحابي المشهور. فالصحابي هو كل من لقي النَّبي ﷺ وآمن به ومات على الإسلام.

● لم يحفظ هذا الأمر -القول برؤية النَّبي ﷺ يقظة بعد موته- أو ينقل عن الأئمَّة من الصَّحابة ﷺ وتابعيهم وأهل العلم الثقات. وإنما هو من أباطيل الصُّوفيَّة وخرافاتهم.

٣- رؤية الخضر عليه السلام والتَّلقِّي عنه:

من مصادر التَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة رؤية الخضر عليه السلام يقظةً وفي المنام، ولقد بالغ أهل التَّصوُّف في تصوراتهم ومرويَّاتهم عن الخضر عليه السلام حتى بلغت حد التَّواتر، فلا يخلو سِفر من

(١) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصُّوفيَّة. صادق سليم صادق، (ص: ٢٥٤)، ط: دار التوحيد - الرياض، الطبعة الثَّانية ٢٠١٦م.

أسفارهم من روايةٍ وحكاية عن لقاء الخضر ﷺ أو تعليمه ووصاياه للأولياء والمريدين، فجعلوه مصدرًا من مصادر التَّشريع والإلهام والعقائد، ونسبوا طائفة كبيرة من علومهم التي ابتدعوها إليه. وينسبون إليه كثير من شرائعهم المخترعة فهو حاضرٌ في كل مَنحًى من مناحيهم، فتجدهم تارةً يُسندون إليه أورادهم وأذكارهم، وما يترتب عليها من أجورٍ، وتارةً أخرى ينسبون له تفسير آيِ القرآن الكريم، ولا تخلو مرويَّاتهم عن ثناء الخضر ﷺ على أوليائهم وشيوخهم ومؤلفاتهم.

واختلف أهل التَّصوُّف في حال الصُّوفيَّة مع الخضر ﷺ فمنهم من يجتمع به يقظة وهم العارفون، ومنهم من يراه في المنام وهم الأقل شأنًا كالمريدين. ومنهم من لا يعتقد بوجوده حقيقة، وإنما هو رمز لحالٍ يقع للصُّوفيّ[1]. ومما يروى عن الاجتماع به ﷺ يقظة ما جاء أن سهل بن عبد الله التستري[2]: "أقبل على النَّاس يومًا وتكلم بكلام حسن، فقيل له: لو تكلمت كل يوم مثل هذا كنا قد انتفعنا، فقال: إنما تكلمت اليوم لأنَّه جاءني الخضر ﷺ، فقال لي: أقبل على النَّاس بوجهك وتكلم عليهم..."[3].

قول أهل السُّنَّة والجماعة في الخضر ﷺ:

اختلف أهل العلم في الخضر ﷺ هل هو نبي أم لا؟ والراجح أنه نبي يوحي إليه، قال بذلك القرطبي في تفسيره: "والخضر نبي عند الجمهور. وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي. وأيضًا فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النَّبي من ليس بنبي"[4].

---

(١) انظر: معجم اصطلاحات الصُّوفيَّة، لعبد الرزاق الكاشاني، ت: عبد العال شاهين، (ص١٧٩)، ط: دار المنار – القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

(٢) سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى التستري وكنيته أبو محمد، الزاهد، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص وعيوب الأفعال، أسند الحديث، صحب خاله محمد بن سوار وشاهد ذا النون المصري سنة خروجه إلى الحج بمكة، توفي سنة ثلاث وثمانين وقيل سنة ثلاث وثمانين ومئتين. انظر ترجمته في: الطبقات الصوفية للسلمي (ص:٦٦). وطبقات الأولياء (ص:٢٣٢).

(٣) انظر: الكواكب الزاهرة (ص: ٣٧٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ت: عبد الله التركي وآخرين، (٣٢٥/١٣) ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠٦ م.

وتدعي الصُّوفيَّة القول بحياة الخضر ﷺ إلى قيام الساعة، وفي هذا القول جناية على الأدلَّة الصَّحيحة التي تنفي الحياة عن أحد من البشر وديمومته إلى قيام الساعة -خلا رفع عيسى ﷺ إلى السَّماء-ومن أدلة نفي القول بحياة الخضر ﷺ ما يلي:

• قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ۝٣٤﴾ [سورة الأنبياء: ٣٤].

• قال ﷺ: «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو على الأرض أحدٌ»[١]. وهذا على فرض حياة الخضِر ﷺ في عهد النَّبي ﷺ. والذي تنفيه الأدلَّة والشَّواهد الكثيرة.

• قال ابن القيم ﷺ: "الأحاديث التي ذكر فيها الخضر وحياته، كلُّها كذبٌ، ولا يصح في حياته حديثٌ واحدٌ"[٢].

٤- الهواتف:

إنّ للهواتف شأنًا عظيمًا عند الصُّوفيّة، وتكاد تكون مصدرًا معتمدًا لدى جميع طوائف الصُّوفيَّة؛ فالهواتف كانت وما زالت أحد مصادر التَّشريع والعقائد والمعاملات منذ عهد الصُّوفيَّة الأوائل إلى يومنا هذا، وعليها درجت الصُّوفيَّة وبين ألفاظها تَرَبَّتْ ونشأت، فبالهواتف يَحْيَونَ ويتعاملون، وإليها يتحاكمون، وبسببها تتبدل أحوالهم وينقلبون، وبحكاياتها يتندرون، فلا يخلو مجلسٌ من مجالسهم، ولا مُصَنَّفٌ من مُصنَّفاتهم، ولا جيلٌ من أجيالهم؛ إلَّا وكانت الهواتف مُتصدِّرةً عندهم. وحكاياتهم المتعلقة بالهواتف كثيرة لا عدد لها ولا حصر، ولا أعجب من قصة توبة إبراهيم بن أدهم التي تتصدر جلَّ كتب التَّراجم لديهم، والتي قوام ذكرها وحقيقتها وتغيُّر حالِ صاحبِها وتوبته قائمٌ على هاتفٍ سمعه من قربوس -مقدمة- سرجه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه-كتاب العلم - باب السمر في العلم، (٤٩/١) رقم (١١٦). ومسلم- كتاب فضائل الصحابة - باب: قوله ﷺ: "لا تأتي مئة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم" (٣٠٧/١٦)، رقم (٦٤٢٦).

(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، ت: يحيى الثمالي، (ص: ٦٣). ط: دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى.

(٣) انظر: القصة بتمامها في الطبقات الصُّوفيَّة، لأبي عبد الرحمن السلمي (ص:١٥).

تعريف الهاتف لغةً:

الهاء والتاء والفاء: كلمة واحدة، هي الهتف: الصوت[١].

وقيل: "كل متكلم خَفِيَ عن الأبصار عَيْن كلامه فهو هاتف"[٢].

وجاء في معناه أيضًا: "الصَّوت يُسمع دون أن يرى شخصٌ الصَّائحَ أو مَن يَتكلَّمُ به"[٣].

الهاتف في اصطلاح الصُّوفيَّة:

لم أقفْ على تعريفٍ منضبطٍ لمعنى الهاتف لدى الصُّوفيَّة، إنَّما هي حكايات تدور حول صوتٍ يُسمع دون أن يُعلَمَ مصدرُه. وفي معناه يقول الجيلي[٤]: "وهو ما يرد على قلبك من طريق الخاطر الرباني والملكي فهذا لا سبيل إلى رده ولا إنكاره"[٥]، ويُشير الغزَّالي إلى معنى الهاتف لدى الصُّوفيَّة بقوله: "...القلب إذا صفا ربما يُمثّل له الحق في صورة مشاهدةٍ، أو في لفظٍ يقرع سمعه، يُعَبَّرُ عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة..."[٦]. ويعد بعض الصُّوفيَّة سماع الهواتف من الكرامات، فقد ذكر القُشَيْرِيّ بعد أن عَدَّدَ جملة من كرامات الأولياء: أن من علامة صدق الولي ظهور الكرامات على يديه ومن هذه الكرامات هي سماع الهواتف[٧].

ومن مرويَّاتهم المشتهرة على ألسنة كبرائهم في الهواتف:

● ما ذَكَرَه القُشَيْرِيّ في رسالته: أنَّ شابًّا تَعَلَّقَ بأستار الكعبة تائبًا يَلهَجُ بالدُّعاء ويُلِحُّ في دعائه، حتى أقسم على الله ﷻ بأن يغفر له، فسمع هاتفًا يقول: الفتى عتيقٌ من النَّار[٨]. ففي

---

(١) مقاييس اللغة (٦/٣٢).

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب الكفوي، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، (ص٩٥١) ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثَّانية ١٩٩٨م.

(٣) المعجم الوسيط (ص: ٩٧١).

(٤) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني: من علماء المتصوفين وأحد أقطابها. له كتب كثيرة، منها: "الإنسان الكامل" و"تفسير القرآن" و"الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم". توفي في زبيد في اليمن سنة اثنتين وثلاثين وثماني مئة. انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٤/٥٠)، وطبقات المفسرين للأدنه وي (ص: ٣١٠).

(٥) الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي، ت: صلاح عويضة (ص: ١٢) ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٧م.

(٦) الإحياء (٤/٤٩٣).

(٧) انظر: الرسالة القُشيريَّة (ص: ٥١٣).

(٨) انظر: الرسالة القُشيريَّة (ص: ٤٠٠).

هذه الرِّواية تَوسُّعٌ وتساهُلٌ في مسألة الإقسام على الله ﷻ، وأنها لكل أحد، فلم يَرِد فيها ما يبيّن حال هذا الشَّاب ومدى صلاحه الذي يَستوجب إجابة دعائه، فالمُقسم لا بد أن تكون منزلتُه عظيمة عند الله ﷻ، كما فيه شهادة للحي بالعتق من النار وهو في الدُّنيا، وهذا مما لا يُسَلَّمُ له ولا يجوز الشَّهادة لمعيَّنٍ بجنة أو نار أو نحو ذلك، إلا لمن شهد الله ﷻ له بذلك في كتابه الكريم أو شهد له رسوله ﷺ.

- وفي رواية أخرى يتضح فيها أهمية الهاتف عند القوم، وهي ما رُوي عن أبي سعيد الخراز[(١)]: "بينا أنا عشيَّة عرفةَ قطعني قُرب الله ﷻ عن سؤال الله، ثم نازعتني نفسي بأن أسأل الله تعالى، فسمعت هاتفًا يقول: أبعد وجود الله، تسأل الله غير الله"[(٢)]. وفي هذه الرِّواية أمرٌ يُتعجب منه، فالقُرب من الله ﷻ لا يكون إلا بما يُحبه الله ﷻ، والدُّعاء في دين الله ﷻ من أجلِّ العبادات ومعلوم قدره وفضله، وهو مما يُحبه الله ﷻ ويَرتضيه من عباده. فقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [سورة غافر: ٦٠]. فكيف يكون القرب من الله ﷻ مانعًا لما يحبه ويَرضاه ولا يجتمع معه.

قول أهل السُّنَّة والجماعة في الهواتف:

إن الهواتف من الأمور المقبولة عند أهل السُّنَّة والجماعة، ولم يشتهر عنهم إنكار لها، بل هي مما يُروى في كتبهم ومجالسهم؛ إلَّا أنهم لا يُحلُّون بها حرامًا ولا يُحرِّمون بها حلالًا، وإنما هي مما يُستأنس به. ولا يقولون بصحَّة ادِّعاء مَن قال بمُهاتفة الله ﷻ له بصوتٍ مسموعٍ يقظةً، فهذا من مراتب الوحي الذي اختص به الأنبياء عليهم السلام ولا يشاركهم فيها غيرهم، كما أنهم يُبطلون الهاتف المنسوب للخضر عليه السلام لثبوت الأدلَّة القائلة بأنَّه متقادم الموت. وكل هاتفٍ ثبتت حقيقته وتُيُقِّنَ منه فهو على الكتاب والسُّنَّة معروضٌ، فما وافقهما فهو الحق وما عداه فهو باطل. وكان ممن جمع بعض هذه الرِّوايات ابن أبي الدُّنيا رحمه الله في كتابه "الهواتف".

---

(١) أبو سعيد الخراز: أحمد بن عيسى، ويسمى بقمر الصُّوفيَّة، وهو من أهل بغداد صحب ذا النون المصري وسريًّا السقطي وبشر بن الحارث وغيرهم، وهو من أئمة الصُّوفيَّة وجلة مشايخهم، كان أحد المذكورين بالورع والمراقبة، وحسن الرعاية والمجاهدة. وأسند الحديث، قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء توفي سنة تسع وسبعين ومئتين. انظر: الطبقات الصُّوفيَّة للسلمي (ص: ٧٣). وتاريخ بغداد للبغدادي (٥/٤٥٤).

(٢) التَّعرُّف (ص: ١١٦).

كما أشار ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى ما يقع عند كثير من أرباب الرِّياضات -وهم الصُّوفيَّة- من سماع الخطاب والهواتف، بأنَّه لا يتعدى إحدى الصور الآتية:

- خطابٌ ملكيٌّ: بأن يخاطبه الملك خطابًا جزئيًا، وهذا يقع لغير الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، كما كان الحال مع الصَّحابي الجليل عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وسلام الملائكة عليه[١]. وهذا الخطاب الملكي لا يكون إلَّا لعباد الله المتقين. فإما يكون خطابًا مسموعًا وهذا مما يندر حدوثه للمؤمنين، وإما يكون مما يلقى في الروع.
- خطابٌ شيطانيٌّ: وهو خطاب مسموع ويعبر عنه بهاتف الجن فيكون إمَّا مسموعًا حقيقةً أو مما يلقى في الروع. وهو من الأمور المشتهرة منذ العهد الجاهلي. ويكثر لدى الصُّوفيَّة.
- خطابٌ خياليٌّ: وهو أقرب لحديث النَّفس يتعاظم في نفس صاحبه حتى يخال بأنَّه سمع صوتًا يهتف به، أو رأى شخصًا يخاطبه. وكل ذلك لا حقيقة له إنما هو من نفسه خرج ولنفسه يعود[٢]. قلت: وهذا الأخير مُتحقِّق لدى بعض الصُّوفيَّة، ممن يجهدون أنفسهم بالرِّياضات الشَّاقَّة والجوع والعزلة والصَّمت وقلة النوم، مما يجعلهم في حالةٍ من الهذيان فيقعون في خيالاتٍ متوهمةٍ لا حقيقة لها.

٥- الإلهام:

والحديث في الإلهام كالحديث في الهواتف؛ حيث علو شأنه ومنزلتِه العظيمة عند الصُّوفيَّة، ومنه تستمد الشَّرائع والمعتقدات، وبه تكون المعاملات، وعن طريقه تعرف أحوال القوم ومآلاتهم الدنيوية والأُخرويَّة، وجاء في كثير من عباراتهم ومرويَّاتهم ما يحث على الأخذ بالإلهام مطلقًا والعمل بمقتضى الوارد القلبي والتَّسليم له دون أدنى اعتراض.

تعريف الإلهام لغة:

"اللام والهاء والميم أصل صحيح يدل على ابتلاع شيء، ثم يُقاس عليه. تقول العرب: التهم الشيء: التقمه. ومن هذا الباب الإلهام، كأنه شيء أُلقي في الروع فالتهمه"[٣].

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الحج - باب جواز التمتع، (٨/٤٣١) رقم (٢٩٦٤).

(٢) انظر: مدارج السالكين، (١/١١٠ وما بعدها).

(٣) مقاييس اللغة (٥/٢١٧).

والإلهام: "أن يُلقيَ اللهُ في النَّفس أمرًا يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص الله به من يشاء من عباده"(١).

الإلهام في اصطلاح الصُّوفيَّة:

"ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل، من غير استدلال بآيةٍ ولا نظر في حُجة، وهو ليس بحُجةٍ عند العلماء إلَّا عند الصُّوفيّين"(٢).

قال القُشَيْرِيّ في حديثه عن الخواطر التي تَرِدُ على القلب وأقسامها: "...فإذا كان من الملك فهو الإلهام، وإذا كان من قبل النَّفس قيل له: الهواجس، وإذا كان من قبل الشَّيطان فهو الوسواس، وإذا كان من قِبَلِ الله ﷻ وإلقائه في القلب فهو خاطر حق..."(٣).

وقال الغَزَّالي رحمه الله في بيان أنواع المكاشفات التي تكون نتيجةً لانشغال المرء بمراقبة خَطَرات قلبه، فيَأتيه العلم من حيث لا يَحتسب، ومن غير كسبٍ منه: "... فاعلم: أن أرباب القلوب يُكاشفون بأسرار الملكوت تارةً على سبيل الإلهام، بأن يخطر لهم على سبيل الوُرود عليهم من حيث لا يعلمون..."(٤). ومزاعمهم في الإلهام كثيرة لا حصرَ لعددها.

قول أهل السُّنَّة والجماعة في الإلهام:

قال ابن الجوزيّ رحمه الله في بيان منزلة الإلهام عند أهل السُّنَّة والجماعة: "أنَّ الإلهام للشَّيء لا يُنافي العلم ولا يتسع به عنه، ولا ينكر أن الله ﷻ يُلهم الإنسانَ الشَّيء كما قال النَّبي ﷺ: "إن في الأمم مُحَدَّثين، وإن يكن في أمتي فعمر"(٥) والمراد بالتحديث إلهام الخير، إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه... وليس الإلهام من العلم في شيء إنما هو ثمرة للعلم والتَّقوى، فيوفق صاحبهما للخير، ويُلهم الرشد. فأما أن يترك العلم، ويقول إنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشيء..."(٦). فالإلهام مرتبطٌ بالعلم ارتباطًا وثيقًا؛ وهو بمثابة

---

(١) لسان العرب (١٢/٥٥٥).
(٢) التعريفات (ص: ٩١).
(٣) الرسالة القُشيريَّة (ص: ١٥٢).
(٤) الإحياء (١/٣٠٢).
(٥) ونص الحديث كما جاء في صحيح البخاري: «إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحَدَّثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب» كتاب أحاديث الأنبياء - باب حدثنا أبو اليمان، (٢/٨٥٥) رقم (٣٤٦٩).
(٦) تلبيس إبليس (ص: ٣١٢).

الوحي إلى غير الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ولولا ما لدينا من العلم الصَّحيح ما عرفنا صحيح الإلهام من سقيمه، ولا الحق فيه من باطله، ولا مدى اعتباره والأخذ به، فلا يكون للإلهام اعتبارًا إن خالف ما جاء في صحيح النُّصوص الشَّرعيَّة من الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة.

وفي حُكم الأخذ بالإلهام في الأمور الشَّرعيَّة، وغيرها في حال عدم ترجح أحد طرفيْها على الآخر يقول ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: "إذا اجتهد السَّالك في الأدلَّة الشَّرعيَّة الظَّاهرة فلم ير فيها ترجيحًا، وألهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حُسن قصده وعمارته بالتَّقوى فإلهام مثل هذا دليل في حقه"[١]. وعليه؛ فيكون مناط الأخذ بالإلهام مرجعه إلى أمرين:

الأول: عدم ترجح شيء في مسألة ما.

والثَّاني: اتصاف المُلْهَم بحُسن القَصدِ والنِّيَّة والعِلم والتَّقوى ليُقبَل منه ادِّعاؤه.

فإن لم يتوفر هذان الأمران في الإلهام فلا حجة فيه ولا يؤخذ به ولا يكون له أي اعتبار.

وبالنَّظر إلى الإلهام الذي تُسَلِّم له الصُّوفيَّة، فإنَّا نجدهم يأخذون به في كل أحوالهم، ويعملون بمقتضى ما يدور في نُفوسهم منه، سواء وافق الأدلَّة الشَّرعيَّة أو خالفها. ويَعملُ به صادقُهم وكاذبُهم. ويلخص العلَّامة الشِّنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ مسألة حُجِّيَّة الإلهام حيث قال: "إن المقرر في علم الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به، لعدم العصمة ولعدم الدَّليل على الاستدلال به، بل ولوجود الدَّليل على عدم جواز الاستدلال به، وما يزعمه بعض المُتصوِّفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره... جاعلين الإلهام كالوحي المسموع، كله باطل لا يعول عليه لعدم اعتضاده بدليل، وغير المعصوم لا ثقة بخواطره؛ لأنَّه لا يَأمن من دسيسة الشَّيطان، وقد ضُمنت الهداية في اتِّباع الشَّرع، ولم تضمن في اتِّباع الخواطر والإلهامات"[٢].

٦- الفراسة:

تعريف الفراسة لغة:

"الفاء والراء والسين أصيل يدل على وطء الشَّيء ودَقِّه. ومن الباب: التَّفرُّس في الشَّيء، كإصابة النَّظر فيه"[٣]. "وتفَرَّس فيه الشيء: تَوَسَّمَه. والاسم الفِراسة، بالكسر. قال ابن الأثير:

---

(١) جامع الرسائل لابن تيميَّة ت: محمد رشاد سالم، (٢/٩٤) ط: دار المدني – جدة الطبعة: الثَّانية ١٩٨٤م.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة الشنقيطي (٤/٢٠٣). ط: مجمع الفقه الإسلامي – جدة. بدون تاريخ طبعة.

(٣) مقاييس اللغة (٤/٤٨٥).



يُقال بمعنيين: أحدهما: ما يُوقعه الله ﷻ في قلوب أوليائه، فيعلمون أحوال بعض النَّاس بنوعٍ من الكرامات وإصابة الظَّنِّ والحدس، والثَّاني: نوع يتعلم بالدَّلائل والتَّجارِب والخلق والأخلاق، فتعرف به أحوال الناس"(١).

وقيل عن الفراسة هي: "استدلالٌ بهيئات الإنسان وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقِه وفضائله ورذائله..."(٢).

الفراسة في الاصطلاح:

الفراسة هي: "نورٌ يقذفه الله في القلب يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب"(٣).

الفراسة في اصطلاح الصُّوفيَّة:

هي: "مُكاشفة اليقين، ومُعاينة الغيب، وهي من مقاماتِ الإيمان"(٤).

الفراسة عند الصُّوفيَّة تختلف عنها في معناها المشتهر، فهي عندهم مكاشفة ومعاينة للأمور الغَيبيَّة، وهي منهجٌ تربويٌّ يُقوِّمون به سلوك أتباعهم، يَعتمدون فيه ملاحظة الشَّيخ لُمريديه فيَعتبرونه جاسوسًا على القلوب يَطَّلِع على الخَطَرات وما يَرِدُ عليها. وبالفراسة يحكمون على الأشخاص وبها يستدلون على بواطنهم ومآلاتهم، وهذا محض ظنٍّ لا دليلَ عليه. كما أنها مستدامة عندهم ولكل أحد، فلا يختص بها أحد دون غيره، ويؤخذ بها وإن كان صاحبها مجهولًا.

فقد قال ذو النُّون المصري: "رأيت فتًى عليه أطمارٌ رَثَّةٌ، فتَقَذَّرْتُه، وشهد له قلبي بالولاية، فبقيت بين نفسي وقلبي أَتَفَكَّرُ، فاطلع الفتى على ما في سِرِّي، فنظر إليَّ، فقال: يا ذا النون! لا تُبصرني لكي ترى خلقي، وإنما الدُّرُّ داخل الصَّدف..."(٥). ولا يخفى ما في هذه الرِّواية من مَناهٍ: كالحُكم على الأشخاص بأشكالهم وما يلبسون واستقذارهم، ومنها تزكية النَّفس صراحة، وتزكية الإنسان لنفسه منهيٌّ عنها، إلا ما تحققت فيه المصلحة واحتيج إليه، قال الله تعالى:

---

(١) لسان العرب (٦/١٦٠).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشَّريعة، للراغب الأصفهاني، ت: أبو اليزيد العجمي، (١/١٤٥).ط: دار السلام – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

(٣) مدارج السالكين (١/١٩٥).

(٤) الموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني (ص: ١١٨٤). ونسب ابن القيم رحمه الله هذا القول في مدارجه للداراني (٢/٥٤١).

(٥) التَّعرُّف (ص: ١١٧).

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [سورة النجم: ٣٢]. ومرويّاتهم كثيرة في هذا الباب منها ما يُصدَّق ومنها ما يُكذَّب ولا يقبله عقلٌ، ساق طرفًا منها القُشَيْرِيّ في رسالته[١].

قول أهل السُّنَّة والجماعة في الفراسة:

الفراسة عند أهل السُّنَّة علمٌ مُعتبر ومعروفٌ، وهي: الاستدلال بالأحوال الظَّاهرة على الأخلاق الباطنة. حيث اتصف كثير منهم بالفراسة، ولهم فيها روايات مبثوثة في كُتبهم، وذكر بعضها الإمام ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين عند الحديث عن منزلة الفراسة.

وقال ابن القيم رحمه الله في معناها: "وهي نور يقذفه الله في القلب، فيخطر له الشَّيء، فيكون كما خطر له، وينفذ إلى العين، فيرى ما لا يراه غيرها"[٢].

ومما يروى عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: "خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة، حتى كتبتها وجمعتها"[٣] وكان رحمه الله ممن عُرفَ بشدة فراسته. والفراسة تنشأ في قلب العبد نتيجة القرب من الله وتخلُّصه من العلائق، ومن الذنوبِ والمعاصي التي تكون حاجزًا بينه وبين معرفة الحق وإدراكه. فكُلّما قرُب العبد من ربه ﷻ رأى من نور الحق ما لا يكون لغيره، ويَصْدُق على ذلك ما جاء في الحديث الصَّحيح: «ما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحَبُّ إليَّ مما افترضتُ عليْهِ، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الَّذي يسمعُ بِهِ وبصرَهُ الَّذي يبصرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتي يبطشُ بِهَا، ورجلهُ الَّتي يمشي بها، ولئن سألني لأُعطينَّهُ ولئنِ استعاذني لأُعيذَنَّهُ...»[٤].

ولا يُسلم للقول بالفراسة إلَّا بعد عرضها على الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة، فما وافقهما أخذ به، وما خالفهما لا يلتفت إليه.

---

(١) انظر: (ص: ٣٥١ وما بعدها).

(٢) الروح لابن القيم، ت: كامل عويضة (ص: ٢٨٠)، ط: دار العنان – القاهرة، سنة ٢٠٠٠م بدون تاريخ طبعة.

(٣) آداب الشافعي ومناقبه، لأبي حاتم الرازي، ت: عبد الغني عبد الحق، (٣٥/١). ط: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الثّانية ١٩٩٣م.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق – باب التواضع (١٦٣٩/٤) رقم (٦٥٠٢).

وذكر ابن القيم ﷺ ثلاثة أنواع للفراسة:

أ- الفراسة الإيمانيَّة:

وهي نور يقذف في القلب يفرق به بين الحق والباطل، وأصل هذه الفراسة حياةٌ ونورٌ يَهَبُه الله لمن يشاء من عباده الصَّالحين، فلا تكاد تخطئ فراستهم لما في قلوبهم من صلاح وتقوى. وهي بحسب إيمان العبد، فمن قَوِيَ إيمانه كان أَحَدَّ فراسةً من غيره. ولا تكون هذه الفراسة إلَّا لأهل الإيمان.

ب- فراسة أهل الرِّياضة والجوع والسَّهر والتَّخلِّي:

وهي فراسة يستوي فيها المؤمن والكافر، ولا يستدل به على حقٍّ ولا يعرف بها باطل، وإنما تَحصُلُ لمن خَلَا من العلائق والـمُنغِّصات، فيصفو ذهنه ويكون شديدَ التَّركيز والتَّمييز لما يعرض له لعدم انشغاله. ولا تثبت بها ولاية ولا صدق إيمان وهي مما يغتر به كثير من الجُهَّال.

ت- الفراسة الخَلْقِيَّة:

وهي التي يُستدل بها على الخُلُق بالنَّظر للخَلْق لما بينهما من ارتباط جعله الله فيهما، وفيها أَلّفَ الأطبَّاء وتمرَّس بها آخرون، فهي فراسة مكتسَبة ناتجةٌ عن إدامة النَّظر والخبرة والرَّبط بين الأسباب ومسبباتها[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة ﷺ في بيان الفراسة المعتبرة في الشَّرع وما يُضادُّها: "ومن زعم الإشراف على الخلْق حتى يعلم مقاماتهم، ومقدارهم عند الله بغير الوحي الـمُنَزَّل من قول الرَّسول ﷺ فهو خارج عن الملَّة... ومن ادَّعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم، وأنهم على ماذا يموتون ويختم لهم، بغير الوحي من قول الله وقول رسول ﷺ فقد باء بغضب من الله"[(٢)].

٧- الرُّؤى المناميَّة:

تعريف الرُّؤى لغةً:

ومعنى الرُّؤى معروف مُشْتَهر، فالرُّؤى جمع رؤيا والرُّؤيا: (ما رأيته في منامك)[(٣)].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/٥٤١ وما بعدها).

(٢) الفتوى الحموية الكبرى لابن تيميَّة، ت: حمد التويجري. (ص: ٤٦٤/٤٦٥)، ط: دار الصميعي – الرياض، الطبعة الثَّانية ٢٠٠٤م.

(٣) لسان العرب (١٤/٢٩٧).



تعريف الرُّؤى اصطلاحًا:

أفضل مَنْ عرَّف الرُّؤيا بتعريفٍ شاملٍ يبين حقيقتها هو القاضي أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله حيث قال: "الرُّؤيا إدراكات عَلَّقَها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملَك أو شيطان، إما بأسمائها أي حقيقتها، وإما بكناها أي بعبارتها، وإما تخليط..."[١]، ويقول ابن القيم رحمه الله في معنى الرُّؤيا: "فالرُّؤيا أمثالٌ مضروبةٌ يضربها الملَك الذي قد وكلَهُ الله بالرُّؤيا ليستدلَّ الرَّائي بما ضرب له من المثل على نظيره..."[٢].

الرُّؤى المناميَّة عند الصُّوفيَّة:

إنَّ للرُّؤى المناميَّة شأنًا عظيمًا ومنزلةً كبيرةً لدى الصُّوفيَّة، فهي مصدر مهم من مصادر التَّشريع والعقائد والعلاقات والمعاملات، وإليها يرجعون في شتى أمورهم وهي حاضرة في جميع مصنَّفاتهم، فإمّا أن تُفرد ببابٍ كاملٍ وإمّا أن تدرج ضمن غيرها، ولا تكاد تخلو مجالسهم من مرويَّاتهم في الرُّؤى وهي مما يفخر القوم به. والرُّؤى عند الصُّوفيَّة علمٌ يقينيٌّ لا يتطرق إليها الشك ولا يقبلون فيها رد وعليها يستندون بنشر ضلالتهم وترويج بضاعتهم الكاسدة. وأكثر ما تدور عليه رؤاهم المناميَّة رؤية النَّبي ﷺ، ورؤية الخضر عليه السلام، وكذلك رؤية مشايخهم وكبرائهم الأحياء منهم والأموات. ويستمدون من هذه الرُّؤى ما يعرفون به أحوال الموتى، ومآلاتهم، ومنزلة شيوخهم وفضائلهم، كما يجعلون رؤية النَّبي ﷺ مما يصححون به ما ضعف من أدلَّتهم، ويستمدون منه ﷺ شرائعهم، وأورادهم، وما ابتدعوه من أحزابٍ وأورادٍ، بغير ما جاءت به السُّنة الصَّحيحة.

والرُّؤى عند الصُّوفيَّة هي نوعٌ من أنواع الكرامات التي لا تعطى لأحد، بل لا بد لها من شروط ذكروها من خلال ما يرونه من رؤاهم منها؛ إطالة السهر، ومجافاة الفرش، وتعذيب النفس، فالنوم عندهم ينقسم إلى نوم غفلة ونوم عادة وهو مذموم عندهم، فهذا النوم يجلب لهم الحسرات. والنوم الذي يعقب هذا السهر هو نوم غلبة، تغلبهم عليه أنفسهم؛ وهو ما يجلب لهم

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ت: محب الدين الخطيب (٣٦٩/١٢) ط: المكتبة السلفية – القاهرة، الطبعة الثَّالثة ١٤٠٧هـ.

(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، ت: عبد الرحمن الوكيل، (٢١٢/١). ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، سنة ١٩٦٩م بدون تاريخ طبعة.

تلك الرُّؤى التي يزعمون. ومن عجيب ما تكرر في مرويَّاتهم قول الشبلي[١]: "اطلع الحقُّ على الخلق، فقال: من نام غَفَل، ومن غَفَل حُجب، فكان الشبلي يكتحل بالملح بعدها حتى كان لا يأخذه النوم"[٢]. ولا يخفى ما في هذا القول من غلوٍ وتَنطُّعٍ ومغالطات تخالف الفطرة التي فطر الله ﷻ عليها الخَلْق، وأن النوم من حاجاتهم الأساسية التي لا يستقيم حالهم إلا بها بلا إفراط ولا تفريط. ولا أعظم من محبة النَّبي ﷺ لربه ومحبته القرب منه ﷻ وهو من هو في عبادته، ومع ذلك صح عنه ﷺ أنه قال في حديث الثَّلاثة النفر الذين سألوا عن عبادته ﷺ وكأنهم تَقَالُّوها: «أما واللهِ إنِّي لأخشاكم لله وأتْقاكم له، لكنِّي أصومُ وأفطرُ، وأصلِّي وأرقدُ، وأتزوَّجُ النِّساء»[٣].

والرُّؤى مَرتَعٌ خصب للصُّوفيَّة في استمداد مرويَّاتهم فهم يدعون فيها رؤيتهم لله ﷻ ورؤية النَّبي ﷺ وكذلك رؤية صحابته ﷺ والسَّلف الماضين، فيسألونهم ما يشاؤون ويَتَلَقَّوْن منهم الوصايا[٤].

قول أهل السُّنَّة والجماعة في الرُّؤى:

إنَّ للرُّؤى عند أهل السُّنَّة منزلةً عظيمةً لا يُنكرها إلَّا جاهل، فقد اعتنى القرآن بقصِّ رؤى الأنبياء وتأويلاتها. وما قصَّة رؤيا نبيا الله ﷻ إبراهيم ويوسف عليهما السلام إلَّا خير دليل على عناية القرآن الكريم بالرُّؤى. وهي أول ما بُدئ الوحي به، وكان من عادة نبينا الكريم ﷺ سؤال أصحابه عن رؤاهم فيؤولها لهم. وقد بيّن ﷺ المنهج النَّبوي في التَّعامل مع الرُّؤى بقوله ﷺ: «الرُّؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدُكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فلْيَتعَوَّذْ بالله من شرِّها، ومن شرِّ الشَّيطان، وليَتْفُلْ ثلاثًا، ولا يُحدِّث بها أحدا، فإنها لن تَضُرَّه»[٥]، وقال ﷺ: «إذا اقترب الزَّمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النُّبوَّة»[٦].

---

(١) أبو بكر الشبلي الصوفي واسمه دلف بن جحدر ويقال ابن جعفر ويقال اسمه جعفر بن يونس، وهو خراساني الأصل بغدادي المنشأ والمولد، صحب الجنيد ومن في عصره من المشايخ، وصار أوحد وقته حالا وعلما، وكان عالما فقيها على مذهب مالك عاش سبعا وثمانين سنة، وتوفي في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة. انظر: طبقات الصُّوفيَّة للسلمي (ص: ١١٥)، وتاريخ بغداد (٥٦٣/١٦).

(٢) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٥٥٩).

(٣) سبق تخريجه في المبحث الأول (ص: ٣٠).

(٤) انظر: الرسالة القُشيريَّة (ص: ٥٦١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير – باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، (١٧٦٩/٤) رقم (٧٠٤٤).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير – باب القيد في المنام، (١٧٦٣/٤) برقم (٧٠١٧).

وقيل في حقيقة الرُّؤى: "والصَّحيح ما عليه أهل السُّنَّة أن الله يخلق في قلب النَّائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، فإذا خلقها فكأنه جعلها علما على أمور أُخرى..."[(١)].

والرُّؤى تنقسم إلى ثلاثة أقسام، منها: ما هو حق من الله ﷻ فتأتي كبشارة أو تنبيه للمؤمن كرؤيا الأنبياء والصَّالحين وهي ما جاء في الحديث بأنها من المُبشِّرات قال ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»[(٢)]، وجاء أنّ: «الرُّؤيا ثلاث: حديث النفس، وتخويف الشَّيطان، وبشرى من الله، فمن رأى شيئًا يكرهه فلا يَقُصَّه على أحدٍ وليقمْ فليصلِّ»[(٣)]، فمنها: ما هو من تلاعُب الشَّيطان بابن آدم ليُحزِنَه ويُوَسْوِسَ له ويُنَكِّدَ له معيشته إن اتبعها، ومنها: ما هو حديثُ نفسٍ يَكون في اليقظةِ، ويُرى في المنام، فلا يُلتفت له ولا يبحث عن تعبيره[(٤)].

والرُّؤى عند أهل السُّنَّة يُستأنس بها ولا يُعول عليها، ولا تُبْنى عليها أحكام، ولا يُتَّخذ منها تشريع. وهي تُعرض على الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة وما جاء عن السلف الصَّالح في تعبيرها، فما وافق الحق أخذ به بما يناسبه، وما خالف الحق نُبِذ كأن لم يكن ولا يلتفت إليه.

وعليه: فإنا نجد أنَّ الرُّؤى عند الصُّوفيَّة مغايرةٌ في حُكمها وثمراتها عند أهل السُّنَّة والجماعة. فهي عندهم مصدر من مصادر التَّشريع، مصدرًا يقينيًا لا يقبل ردًّا ولا شكًّا ولا ارتيابًا، وإليه يَتحاكمون وفيه يتخاصمون، ويتعاملون معها كتعاملهم مع الوحي من حيث الاستدلال والتَّشريع.

٨- الإسراءات والمعاريج:

تعريف الإسراء والمعراج لغة:

الإسراء: من (السُّرى: سَيْرُ اللَّيلِ، وكلُّ شيءٍ طَرَقَ ليلًا فهو سارٍ. وسَرَى به وأَسْرَى به سواءٌ)[(٥)].

---

(١) فتح الباري (١٢/٣٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب المبشرات، (٤/١٧٥٦) رقم (٦٩٩٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير - باب القيد في المنام (٤/١٧٦٣) رقم (٧٠١٧).

(٤) انظر: الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، لسهل بن رفاع العتيبي (ص: ١١١ وما بعدها). ط: دار كنوز أشبيليا - الرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

(٥) العين (٧/٢١٩).

المعراج: من (المعارج: المصاعد والدَّرج. وعرج في الدَّرجة والسُّلَّم يعرج عروجًا؛ أي ارتقى)[١].

تعريف الإسراء والمعراج اصطلاحًا:

الإسراء والمعراج معروفٌ، وهو: إشارة لِما وقع للنَّبيِّ ﷺ قبل الهجرة حيث أُسريَ به من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى، ومن ثَمَّ عُرِجَ به إلى السَّماء السَّابعة إلى سِدرة المنتهى، مِصداقًا لقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [سورة الإسراء: ١].

الإسراء والمعراج عند الصُّوفيَّة:

لم يَأتِ ذِكرُ الإسراء الصُّوفي في كتبِ ورواياتِ الصُّوفيَّة كمعنى الإسراء في حادثة الإسراء عند النَّبي ﷺ، وإنما كان مدار الحديث عندهم على عروج المُتصوِّفة إلى السَّماوات، وإن جاء لفظ الإسراء في مَرويَّاتهم فهم يقصدون به العروج للسَّماء لا السير ليلًا كما هو معروف.

والمعراج عند الصُّوفيَّة هو معراجٌ روحيٌّ، يُحاكون فيه معراج النَّبي ﷺ، بل ويَقتبسون منه ألفاظَه ومعانيَه، وهو عندهم يُصوِّر حركة التَّرقِّي ولا يَقتصر على التَّرقِّي الحِسِّيِّ في السَّماوات، بل يدخل فيه التَّرقِّي النَّفسيُّ والتَّدرُّج في تطهير النَّفس من العلائق حتى تصل للمقام الأسمى[٢]، ومنهم من يَدَّعي المعراجَ الجسديَّ والرُّوحيَّ معًا.

والمعراج أحد مصادر التَّشريع عند البعض منهم، حيث لا يقول به البعض. ومن هذا المعراج يَستلهمون تفسير الآيات ومعرفة الأسماء والصِّفات، وأسماء الأنبياء وصفاتهم، كما يُدلِّلون من خلاله على فضائلهم وعلوِّهم على غيرهم من العباد؛ فالمعراج لا يكون إلَّا لمن وصل منهم لمنزلةٍ عظيمةٍ يختص بها دون غيره. ومن أشهر رواياتهم في المعاريج ما يَتداولونه جيلًا بعد جيلٍ: معراجُ أبي يَزيدَ البِسْطامِيّ وهو أوَّل المُصرِّحين بالمعراج الصُّوفِيّ، فقد كان يقول بأنَّ له معراجًا كمعراج النَّبي ﷺ[٣]. وممن تبع البِسْطامِيّ بهذا الافتراء المنكر شرعًا وعقلًا الجيليُّ

---

(١) لسان العرب (٢/٣٢١).

(٢) انظر: مقدمة كتاب الإسرا إلى المقام الأسرى لابن عربي، ت: سعاد الحكيم (ص: ٢٨). ط: دندرة للطباعة والنشر – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

(٣) انظر: تلبيس إبليس (ص: ١٦٢).

وابنُ عربي[١]، وغيرهما من الصُّوفيّة. ومن مرويّاتهم في المعراجِ السَّماويِّ قول أحدهم: "كثيرًا ما كان يعرج بي فوق العرش المجيد... وأعلم أنِّي كلما أريد العروج يَتيسَّر لي، وربما يَقع من غير ما أقصد"[٢].

قول أهل السُّنَّة والجماعة في الإسراء والمعراج:

عَدَّ كثيرٌ من أهل العلم الإسراء والمعراج من خصائص النَّبي ﷺ ومعجزاته الباهرة. فقال ابن أبي يعلى الفَرَّاء[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اعتقاد أهل السُّنَّة في معجزة الإسراء والمعراج، وأنَّها مما اختصَّ الله ﷻ بها نبيَّه ﷺ مُظهرًا بها إعجازَه للخلْق: "وله ﷺ الآية العظمى التي ظهرت له في الأرض والسَّماء، التي لم يَشركه فيها بشر، ولم يبلغ الذي بلغه أحد من النُّذُرِ،...أن الله قد جمع له فيها شرف المنازل والرتب، ما فضله بها على الأوَّلين والآخرين"[٤]. وقيل: "من خصائصه ﷺ... بما اختصه الله ﷻ بـ ((المعراج)) إلى السَّماوات العُلى إلى سِدرة المنتهى إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام..."[٥]. وقد ثبت الإسراء والمعراج للنبيِّ ﷺ بأدلةٍ متواترةٍ لا يَسعُ المقامُ لسردها.

ومما مضى معنا يتضح: أن مفهوم المعراج الصُّوفي الذي يقوم على ما يتناقل من خرافاتِ القوم وأوهامهم لا دليل صحيح عليه، بل الأدلَّة الصَّحيحة كلها تنفي أن يكون الإسراء والمعراج لأحد من الخلق بعد النَّبي ﷺ وأنه مختص به وهي إحدى مُعجزاته؛ فكيف يكون ما هو معجزة للنبي ﷺ ومع ذلك يشاركه بها غيره من الخلق، فادِّعاء ذلك يَنفي عِلَّة الإعجاز، فالمعجزة: أمرٌ خارقٌ للعادة يظهره الله ﷻ على يد أنبيائه لبيان صدقهم.

---

(١) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الصوفي المشهور، ولقبه محيي الدين كما يلقب بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر. ولد بالأندلس سنة ستين وخمس مئة وقرأ القراءات، صاحب كتاب الفتوحات المكية وفصوص الحكم وغيرها من المؤلفات المليئة بآراء الصُّوفيَّة الغالية قيل: كان ظاهري المذهب في العبارات، باطني النظر في الاعتقادات، توفي سنة ثماني وثلاثين وست مئة بدمشق. انظر: تاريخ أربل (٢/٦٤٠). وفوات الوفيات (٣/٤٣٥).

(٢) المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية لمحمد الأمين الكردي (ص: ١٨٤)، ط: السعادة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٢٩هـ

(٣) محمد بن محمد بن الفراء أبو الحسين ابن القاضي أبي يعلى الفقيه الحنبلي، الإمام، العلامة، الفقيه، القاضي، ولد سنة إحدى وخمسين وأربع مئة، صنف في الأصلين والخلاف والمذهب، كان يبالغ في السُّنة، ويلهج بالصفة، وكان كثيرا ما يتكلم في الأشاعرة ويُسمعهم، وجمع طبقات الفقهاء الحنابلة. وتوفي سنة ست وعشرين وخمس مئة. انظر: وسير أعلام النُّبلاء (١٩/٦٠١)، والوافي بالوفيات (١/١٣٦).

(٤) الاعتقاد لابن أبي يعلى الفراء، ت: محمد عبد الرحمن الخميس،(١/٣٧) ط: دار أطلس الخضراء – الرياض الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

(٥) لوامع الأنوار البهيَّة لأبي العون محمد السفاريني (٢/٢٨٠) ط: مؤسسة الخافقين – دمشق الطبعة: الثَّانية ١٩٨٢م

ومدار رواياتهم في المعاريج إما أن تكون منامًا، أو حالة هي بين اليقظة والنوم، وهذه الأحوال لا يعول عليها، ولا يسلم للقائل بها؛ فهي مَحَلُّ اضطراب لا استقرار، كما أنها لا تُبين كيفيَّة العروج التي يدعونها. ولا يعلم مدى صدق القائلين بها أصلًا.

وفي ختام وسائل الحصول على العِلم اللَّدُنِّي عند الصُّوفيَّة يُوجِز لنا ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ حقيقة العِلم اللَّدُنِّي بقوله: "والعِلم اللَّدُنِّي الرَّحماني: هو ثمرة هذه الموافقة والمحبَّة التي أوجبها التَّقرُّب بالنَّوافل بعد الفرائض، واللَّدُنِّي الشَّيطاني: هو ثمرة الإعراض عن الوحي وتحكيم الهوى والشَّيطان"[(١)].



(١) مدارج السالكين (٢/٥٣٤).

المطلب الثاني:
الذَّوق

أولًا: تعريف الذَّوق لغةً:

(الذال والواو والقاف أصل واحد، وهو اختبار الشَّيء من جهة تَطعُّمٍ)(١).

ثانيًا: تعريف الذَّوق اصطلاحًا:

(نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره)(٢).

ثالثًا: الذَّوق عند الصُّوفيَّة:

الذَّوق مصدرٌ أصيل عند الصُّوفيَّة في استدلالاتهم، وتشريعاتهم، وإليه يتحاكمون فيما يَرِدُ عليهم من المعارف والعلوم، ولا يُميِّزون بين العلوم المأخوذة من الكتاب والسُّنَّة، وبين سائر العلوم، فكلها تعرض على ذَوقهم. فهم يجعلون الذَّوق مصدرًا لإدراكاتهم، وحاكمًا على أحوالهم، ومُصَحِّحًا لمعتقداتهم، فالذَّوق مرتبطٌ لديهم بالتَّجلِّي الإلهيّ، وهو إحدى ثمراته؛ ولذلك لا يَعتدُّون إلَّا بالمعارف والعلوم التي يُصدِّقها، ويُؤيِّدُها الذَّوق لديهم. وهو أمرٌ قلبيٌّ لا دخلَ للحَوَاسِّ به، بعكس ما يَعنيه لفظُه. ويمكن تسميتُه بأنَّه: حالةٌ وجدانيَّةٌ داخليَّةٌ نفسيَّةٌ تَنتاب الصُّوفيَّ في بعض أحواله نتيجةَ التَّجلِّي الإلهيِّ الذي يَدَّعونه، تَخلق لديه أحاسيسَ تُشعِرُه بمدى صدق الشَّيء ومدى تأثيره عليه. وهو حالٌ يَفجَأُ الصُّوفيَّ لا جهدَ ولا كسبَ له فيه(٣). والذَّوق لدى الصُّوفيَّة مُتغيرٌ بحَسَبِ الذَّائق، فهو تابعٌ للأهواء والأحوال وليس أمرًا ثابتًا يعول عليه.

ونقل الشَّعراني عن ابن عربي قوله: "جميع علومنا من علوم الذَّوق لا من علمٍ بلا ذوقٍ، فإن علوم الذَّوق لا تكون إلَّا عن تجلٍّ إلهيٍّ"(٤). مُدَلِّلًا على مكانة الذَّوق في عقائد الصُّوفيَّة واعتباره أساسًا للعلم والمعرفة؛ وذلك لعصمة الذَّوق عندهم، فهو لا يعتريه شك ولا خطأ. وقال الغَزَّالي رحمه الله في معرض حديثه عن الذَّوق: "أما الذَّوق، فهو كالمشاهدة والأخذ باليد، ولا يوجد إلَّا في طريق الصُّوفيَّة"(٥).

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٣٦٤).

(٢) التعريفات (ص: ١١٠).

(٣) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصُّوفيَّة لصادق سليم (ص: ٣٨٢).

(٤) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشعراني (١/٥٢). ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ طبعة.

(٥) المنقذ من الضلال للغزالي ت: عبد الحليم محمود (ص: ١٨٧).ط: دار الكتب الحديثة –مصر. بدون تاريخ طبع.

رابعًا: قول أهل السُّنَّة والجماعة في الذَّوق:

إن الذَّوق عند أهل السُّنَّة أمرٌ معتبر، ولكنَّه لا يوافق معنى الذَّوق عند الصُّوفيَّة. فالذوق: هو ما يجده العبد في نفسه بعد العبادة، أو في أثنائها من سكينةٍ، وانشراحِ صدرٍ، وإقبالٍ، ولذَّةٍ وسرورٍ. وهو أثر تلك العبادة في النَّفس بعد إدراك حقيقتها، ويُعبِّرون عنه بحلاوة الإيمان، وهو فضل من الله ﷻ يُؤتيه من يشاء من عباده الصَّالحين المخلصين. ودليله قوله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ رسولًا»[١]، وقوله ﷺ: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما...»[٢]، ومع اعتبارهم لهذا الذَّوق، إلَّا أنَّهم لا يبنون عليه عقائدَ ولا يَأخذون منه تشريعاتٍ، ويُستأنس به ولا يُعوَّلُ عليه في شيءٍ، وهو ذوقٌ موافقٌ للكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة بفهم سلف الأُمَّة[٣].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في بيان مكانة الذَّوق الصُّوفِيّ، وأنَّه أمرٌ مُحدَثٌ وطريقٌ للبدعة: "وهؤلاء قد يُسمُّون ما أحدثوه من البدع: حقيقة... وطريقُ الحقيقة عندهم هو السُّلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه، ولكن بما يراه ويذوقه ويجده في قلبه، مع ما فيه من غفلة عن الله ﷻ"[٤].

فالذَّوق الصُّوفي لم تأتِ به نصوصُ الشَّرع، ولم يَقُلْ به أحدٌ من الصَّحابة رضي الله عنهم ولا التَّابعين ولا أحد من أئمَّةِ السَّلفِ رحمهم الله، بل جاء ما يَنقُضُه، وذلك بضرورة الالتزام بالكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة، وعرض كل ما يختلج بالنَّفس عليهما، ورد الخواطر النَّفسيَّة إليهما، وأنَّ اتِّباع الهوى وما تُمليه النَّفس على العبد بغير هدًى، إنما هو الضَّلال المبين. قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۝٥٠﴾ [سورة القصص: ٥٠].



(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان – باب: الدليل على أن من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا... (٢/١٩٣) رقم (٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان – باب: حلاوة الإيمان (١/٢٤) رقم (١٦)، ومسلم كتاب الإيمان – باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٢/٢٠٣) رقم (٦٧).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/٥٤ وما بعدها).

(٤) العبودية لابن تيميَّة، ت: محمد زهير الشاويش، (ص: ٦٦/٦٧)، ط: المكتب الإسلامي – بيروت. الطبعة السابعة ٢٠٠٥م.

المطلب الثالث:
الوجْد

أولًا: تعريف الوجد لغة:

(الوَجْد: الحُزن)[١]. (وجد مطلوبه والشيء يَجِدُه وُجودًا، ووَجَدَ الرَّجُلُ في الحزن وَجْدًا)[٢].

ثانيًا: تعريف الوَجْدِ اصطلاحًا:

(ما يصادف القلب ويَرِدُ عليه بلا تَكَلُّفٍ وتَصَنُّعٍ، وقيل: هو بروقٌ تلمع، ثم تخمد سريعًا)[٣].

ثالثًا: الوجد عند الصُّوفيَّة:

إنَّ للوجد منزلةً عظيمةً في أحوال الصُّوفيَّة، وبه يَقيسون مدى القُرب من الله ﷻ. قال الكلاباذي في الوجد: "هو ما صادف القلبَ من فزعٍ أو غمٍّ أو رؤيةِ معنًى من أحوال الآخرة، أو كشف حالة بين العبد وبين الله ﷻ"[٤]. والوجد عند الصُّوفيَّة حالة شعوريَّة تَنتاب الصُّوفيَّ تضطربُ لها الجوارحُ، وهي بشاراتٌ للمُتوجّدِ بتَرَقّيه في مقاماتِ المشاهدةِ التي تُوصِلُه إلى معرفةِ الحقِّ ﷻ ومشاهدته، وفيه يقول التهانوي: "مصادفة الباطن من الله تعالى واردًا يورث فيه حزنًا أو سرورًا أو يُغيّره عن هيئته ويُغَيّبُه عن أوصافه بشهود الحق"[٥]. وقد كَثُرَتْ تعاريف الصُّوفيَّة للوجد، واختلفوا في تعريفه وطبيعته. ويَرجع سببُ اختلافهم إلى أن كلًّا منهم يُعَبّرُ عنه بما يَجِدُه في نفسِه وما يَحكي حالَه. إلَّا أنَّ الغَزَّالي ﵀ يَعزو حدوثَ الوجد وطبيعته إلى أمرين: إمّا أن يكون الوجدُ راجعًا إلى مكاشفاتٍ ومشاهداتٍ هي من قبيلِ العلوم والمعارف، وإمَّا يرجع إلى تغيُّراتٍ تَطْرَأُ على المتوجِّد نتيجة تَهَيُّجِه بالسَّماع[٦]. ويرتبط الوجدُ عندهم بالسَّماع[٧]، فكلما زاد أثرُ المسموع كان تأثيرُه أكبرَ على حالة الوجد. ولهم مرويَّات كثيرةٌ تُشير إلى حال المتواجدين

---

(١) العين (٦/١٦٩).

(٢) لسان العرب (٣/٤٤٥).

(٣) التعريفات (ص: ٣٤٤).

(٤) التَّعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف (ص: ٨٢).

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون (٢/١٧٥٧).

(٦) انظر: الإحياء (٤/٤٩١).

(٧) ويقصد بالسماع: الغناء والكلام الملحن ينشد بالصوت الحسن فيُطرب له. انظر: الرسالة القُشيريَّة (ص: ٤٩٠ وما بعدها)، وسر الأسرار لعبد القادر الجيلاني ت: عبدالرحيم السايح وتوفيق وهبه (ص: ١٧٥).ط: مكتبة الثقافة-القاهرة؛٢٠١٦م.

وما يَعتريهم من اضطرابٍ حالَ سماعهم للأصوات الحسنة. منها: ما رُوي عن رُوَيْمٍ[(١)] في وصف حال المتواجدين أنه قال: "يشهدون المعانيَ التي تَعْزبُ عن غيرِهم، فتُشير إليهم: إليَّ إليَّ فيَتنَعَّمون بذلك من الفرح، ثم يقطع الحجاب، فيعود ذلك الفرحُ بكاءً، فمنهم من يخرقُ ثيابَه، ومنهم من يَصيحُ، ومنهم من يَبكي، كل إنسان على قَدْرِه"[(٢)]. وعند تلبُّسِهم بهذا الحال تَمتلئ عقولُهم بهذيان الشَّطحاتِ، وتنطق أفواههم بما لا تُدركه عقولُهم، وتَعتريهم سكرةُ السَّماع وتغشيهم، ويَظنُّون بأنفسهم ما ليس فيها.

والوجد من الأحوال الشَّريفة التي يعتزُّ بها القوم، ولا يبلغون أعلاها إلا بالفناء[(٣)] عن النَّفس وعن الآخرين، وهذا أقصى ما يَصبو إليه الصُّوفيُّ. وعبَّر بعضهم عن معنى الوجد الذي يَعتريهم ويُفضي بهم إلى الفناء عن مشاهدةِ الخلْق بقوله: "أول الوجد: رفع الحجاب، ومشاهدة الرَّقيب، وحضور الفهم، وملاحظة الغيب،... وهو فناؤك من حيث أنت"[(٤)].

ويمكن اعتبار الوجد مصدرًا غير صريح من مصادر التَّلقِّي عند الصُّوفيَّة في حال كان راجعًا للمكاشفات[(٥)]، ونتيجة لها ومرتبطًا بالسَّماع، فالغَزَّالي رحمه الله لا يستبعد كون السَّماع نفسه سببًا للكشف لمن لم يكن مكشوفًا قبل. فمن أسباب حصول الكشف عنده: التَّنَبُّه وصفاء القلب وتغيُّر الأحوال، وانبعاث النَّشاط في النَّفس، وهذه الأمور تَتَحَصَّلُ بالسَّماع. والوجد هو ثمرةُ ذلك السَّماع، فيَحصُلُ به نوعٌ من المعرفة والعلم[(٦)].

والوجد هو السَّبيل للتَّرقِّي والعلوِّ في المقاماتِ، حتى يصل الصُّوفي لمبتغاه وهو الفناء. ويجعل آخرون الوجدَ هو الحالة التي يَصِلُ فيها الصُّوفيُّ إلى معرفة حقيقته الإلهيَّة، فتغيب حقيقته

---

(١) رويم بن أحمد بن يزيد البغدادي كنيته أبو محمد، وقيل: أبو الحسين الصوفي، وهو من أهل بغداد من جلة مشايخهم، كان فقيها على مذهب داود الأصبهاني، وكان عالما بالقراءات توفي سنة ثلاث وثلاث مئة. انظر: الطبقات الصُّوفيَّة للسلمي (ص: ٥٧). وتاريخ بغداد (٩/٤٢٨).

(٢) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٤٩٨).

(٣) الفناء هو: أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له في شيء من ذلك حظ ويسقط عنه التمييز، لانشغاله بما فنى فيه. انظر: التعرف (ص٩٢). ويعرفه القشيري بسقوط الأوصاف المذمومة. وفناؤه عن نفسه وعن الخلق: بزوال إحساسه بنفسه وبهم. انظر: الرسالة القُشيريَّة (ص: ١٣١).

(٤) اللمع (ص: ٣٧٦).

(٥) انظر: اللمع (٣٧٥).

(٦) انظر: الإحياء (٢/٤٩٢).

الإنسانيَّة بحقيقته الإلهيَّة. وهذا كله من خرافات الصُّوفيَّة التي يُصوِّرُها لهم الشَّيطان ويَتلاعب بهم فيها حتى يُخيَّلَ لأحدهم أنه الله –تعالى الله عن ذلك– كما كان الحال مع أبي يزيد البِسْطامِيّ وهذيانه في مقولته المشهورة: (سبحاني سبحاني)[١] –تنزه الله عما يقولون– فإنهم يعتذرون له بأن ما قال ذلك إلَّا من شدة ما يَجِدُ، وقد تَغَشَّتْه سكرةُ الوجدِ، فلما فَنِيَتْ نفسُه الإنسانيَّة في الحق، نَطَقَ بهذه الشطح. وهم يعتبرونه من كلام العُشَّاق في حالة السُّكر الذي يُطوى ولا يُروى.

رابعًا: قول أهل السُّنَّة والجماعة في الوجد:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى الوجد المعتبر عند أهل السُّنَّة وفي بيان حقيقته: "هو ثمرة أعمال القلوب: من الحب في الله والبغض فيه، كما جعله النَّبي ﷺ ثمرة كون الله ورسوله أحبَّ للعبد مما سواهما..."[٢]. فإن العبد متى ما أعمل سمْعَه وبصره مُتأمِّلًا ملكوتَ الله جَلَّ جَلَالُهُ، ومُتدبِّرًا آياتِه الكونيَّةَ والشَّرعيَّةَ، ومُرْخِيًا سمْعه لمواعظ القرآن والسُّنة الصَّحيحة؛ أثمر ذلك في قلبه وروحه إقبالًا وانكسارًا وافتقارًا لله، فيكون مؤتمرًا بما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ مُنتهيًا عمَّا نُهِيَ عنه. ويظهر أثر ذلك الوجد: بوجل القلب، واقشعرار الجلد، وفيض الدمع؛ وهذا هو الوجد المحمود الذي يكون باعثًا للعمل والعبادة، وفيه حياة القلوب. فينظر المُتوجِّدُ بنور الله عَزَّ وَجَلَّ، مُقبلًا على آخرتِه عاملًا لها، زاهدًا بالدُّنيا منصرفًا عن زخرفها. وهذا ما كان عليه النَّبي ﷺ وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم أخشع النَّاس وأتقى الخلق، ولم يَبْدُرْ منهم فعلٌ يخالف النُّصوص الشَّرعيَّة، كما لم يحفظ عنهم أنَّ أحدهم صُعق أو غُشي عليه أو ذَهب عقلُه، أو مات من سماع كلام الله عَزَّ وَجَلَّ. كما هو حال الصُّوفيَّة في وجدهم، فإنَّ الوجدَ وثيقُ الصِّلة عندهم بالسَّماع الذي تَطرَبُ له النَّفسُ، فتتمايل الأجسادُ وتَهتَزُّ تعبيرًا عن ذلك الوجد وانتشاءً بالمسموع، حتى يَخالَ النَّاظرُ إليهم أنهم سُكارى، ويبلغ بهم الوجد مبلغًا عظيمًا فيصعق أحدهم ويغشى عليه وقد يموت من شدة ما وجد في نفسه. وهذا مما ابتدعه القوم وأحدثوه في دين الله عَزَّ وَجَلَّ.



(١) انظر: كتاب اللمع (ص: ٤٧٢).

(٢) مدارج السالكين (٣/٣٤).




المبحث الثَّاني:
أهم عقائد الصُّوفيَّة وأشهرها

العقيدة هي الأساس الذي تَنبني عليه حياة الإنسان، فهي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بكل جانب من جوانب حياته، وهي أُولى دعوى الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأساس الدين وقوامه، وفطرة الله عَجَّلَ التي فطر الخلق عليها. والعقيدة هي ما ينعقد عليه قلب العبد يقينًا فلا يَقبل فيه شكًّا ولا ريبًا. وهي ما يَتحاكم إليه الخلق وفيها يُوالون، وعليها يعادون وبها يَتخاصمون.

والمتتبع لعقائد الصُّوفيَّة يجد فيه اختلافًا كبيرًا، وأنها ليست على حالٍ واحد، وهذا الأمر يعود إلى التطور الذي صاحب نشأة الصُّوفيَّة، كما أن المصدر الرئيس في المعرفة لديهم هو ما تمليه عليهم أهوائهم وينكشف في بواطنهم. فبَيْن عقيدة الصُّوفيَّة الأوائل، وعقيدة متأخري الصُّوفيَّة إلى عصرنا الحالي بونٌ شاسع، واختلافٌ ملحوظ لا يُنكره أحد.

وهذا الأمر ينطبق على كل فرقة انقسمتْ عن الإسلام، وحادَتْ عن الصراط المستقيم. فكلما بَعُدَتْ هذه الفرقُ عن العهد النَّبويِّ زاد الاختلاف فيها، وزاد الانحراف عن الحقِّ والانغماس في الضَّلال والزَّيغ في أتباعها.

ويمكن تقسيم الأطوار العقديَّة عند الصُّوفيَّة إلى ثلاثة أقسام؛ بحسب منتسبي كل قسم ومدى تمسكهم بالكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة ومدى قُربهم من العهد النَّبويِّ:

١- صوفيَّة أهل الحديث: وهم الصُّوفيَّة الأوائل، وهم خيار الصُّوفيَّة، وأعلاهم، وهم على معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، وإن جرت على ألسنتهم مقولاتٌ مُحدَثَة، ونقل عنهم من الأقوال، والأفعال ما يُستشنع ويُنكر، وهذه المقولات هي نتاج وقوعِهم في الغلوِّ، والمبالغة في الزُّهد أو عن جهل منهم.

٢- صوفيَّة أهل الكلام: وهم من يلي الطَّبقة الأولى في الاعتقاد، إلَّا أنهم تلبَّسوا ببعض أقوال وعقائد أهل الكلام، فخلطوا الحق بالباطل. وتبنَّوا بعض العقائد المنحرفة الضَّالَّة المخالفة لما جاء في الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة.

٣- صوفيَّة الفلاسفة: وهم أبعد أهل التَّصوُّف عن الحق، وأكثرهم نأيًا عن الصواب، واستشرى فيهم الضَّلال حتى درست عن قلوبهم، وعقولهم، وأقوالهم العقيدةُ الصَّحيحة التي جاء بها النَّبي ﷺ. وهم غلاة الصُّوفيَّة؛ ومنهم خرج القول بوحدة الوجود والاتِّحاد والحلول والحقيقة

المحمَّديَّة، وغيرها من العقائد الفاسدة التي ما أنزل الله بها من سلطان[١].

وبناءً على هذه الأقسام كَثُرت عقائد القوم وتنَوَّعت، وكفَّر بعضُهم بعضًا، وضَلَّلَ بعضهم البعض الآخر، كلٌّ بحسب مَبلغه من العلم، والتَّصوُّف. وسأوجز في ذكر عقائد الصُّوفيَّة على ما اشتهر منها، وسأقتصر على ما انتهت إليه الصُّوفيَّة في عقائدها.



(١) انظر: الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، ت: محمد رشاد سالم، (١/٢٦٧). ط: مكتبه ابن تيميَّة – مصر، الطبعة: الثَّانية ١٤٠٦هـ.

المطلب الأول:
عقيدة الصُّوفيَّة في الله ﷻ

تنوعت عقائد الصُّوفيَّة في الله ﷻ وكثرت أقوالهم فيه، فمنهم معتدل ومنهم غالٍ منحرف، كلٌّ بحسب ما أُشرب قلبه من التَّصوُّف. فالمعتدل منهم آثر الحق وقال بقول أهل السُّنَّة والجماعة في توحيد الله ﷻ وتنزيهه سبحانه عن الشبيه، والمثيل، والشريك وعن الولد والصاحبة، واعتقادهم بأن لا معبود بحق إلَّا الله ﷻ. ومنهم من تَلَبَّسَ بالغلوِّ وجَعَلَه دليله في معتقده، قائلًا بالعقائد الفاسدة كالاتِّحاد والحلول ووحدة الوجود. وفيما يَلي بيان هذه العقائد لدى الصُّوفيَّة:

أولًا: الاتِّحاد والحُلول:

الاتِّحاد: (هو تصييرُ الذَّاتين واحدةً، وقيل: الاتِّحاد امتزاجُ الشَّيئينِ واختلاطهما حتى يَصيرا شيئًا واحدًا)[١].

الحلول: (حَلَّ بالمكان يَحُلُّ حُلولًا: نَزَلَ به)[٢] وقيل أيضًا في معنى الحلول: (عبارة عن اتِّحاد الجسمين، بحيث يكون الإشارة إلى أحدهما إشارةً إلى الآخر)[٣].

وللتَّفريق بينهما: فإنّ الاتِّحاد: يقتضي التَّمازج والاختلاط حتى يصير الشَّيئين شيئًا واحدًا كامتزاج الماء باللَّبن. بينما الحلول: لا يكون فيه اختلاط، بل يكون أحدهما ظرفًا للآخر كحلول الماء في الكأس. فيبقى للخالق خصائصه وصفاته وربوبيَّته وألوهيَّته، ويَبقى للمخلوق خصائصه وعبوديته وإنسانيَّته -تعالى الله علوًّا كبيرًا- كما أن الحلول فيه إثباتٌ لوجودين، أمّا الاتِّحاد فإثباتُ وجودٍ واحدٍ.

وينقسم الاتِّحاد إلى:

• **اتِّحادٌ عامٌّ**: أن الخالق هو عين وجود الكائنات. وهو حقيقة قول القائلين بوحدة الوجود والتي سيأتي بيانها لاحقًا.

---

(١) التعريفات (ص: ٦٤).

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى، (١/١٩٥) ط: المكتبة العتيقة ودار التراث، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

(٣) التعريفات (ص: ١٧٥).

• **اتِّحاد خاص:** هو أن الخالق والمخلوق قد اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء.

كما ينقسم الحلول إلى:

• **حلولٍ عامٍّ:** وهو القول بحلول الرَّبِّ بذاته في كلِّ مكانٍ وفي كلِّ شيءٍ. وهو عين قول الجهميَّة[١].

• **حلولٍ خاصٍّ:** وهو القول بحلول الرَّبِّ في بعض خلقه. كحلولِه في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عند النَّصارى، وفي عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الرَّافضة[٢]، وكحلوله في بعض الأولياء والعارفين والمُردان والصُّور الجميلة عند الصُّوفيَّة[٣].

وقيل: إنَّ أول من تكلَّم وصرَّح بالحلول من الصُّوفيَّة أبو منصور الحَلَّاج[٤]، فقد جاء عنه أنه كان يقول: أن من هذَّب نفسه بالطَّاعات ارتقى إلى مقام المقربين، ولا يزال يَرتقي حتى تَصفُوَ نفسُه، وتزول عنه الصِّفات البشريَّة ولا يبقى لها حظ فيه، حلّت فيه روح الإله التي حلت في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويكون ما يريد، وفعله فعل الله[٥] -تعالى الله عن ذلك-، كما يذكر عنه أنه: (ادَّعى للنَّاس أنه إله وأنه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف من الناس)[٦]. ويظهر من هذا القول أنَّ عقيدة الحلول مأخوذةٌ من حلول اللَّاهوت بالنَّاسوت التي يعتقد به النَّصارى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ويتبرأ بعض الصُّوفيَّة المتأخرين وغيرهم من كل كلام يشير إلى عقيدة الاتِّحاد والحلول، ويَرُدُّون على هذه العقيدة، مدافعين عمن قال بها، ويزعمون أن هذه الأقوال: إمّا مدسوسة

---

(١) الجهمية: إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهم أصحاب الجهم بن صفوان، وافق المعتزلة في نفي الصفات والقول بخلق القرآن، والإيمان عنده هو المعرفة فقط. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/١٠١).

(٢) سموا رافضة: لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ١٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢/١٠٧ وما بعدها).

(٤) الحسين بن منصور الحلاج يكنى أبا مغيث، وكان جده مجوسيا، نشأ الحسين بواسط، وقدم بغداد، فخالط الصُّوفيَّة، وصحب من مشيختهم الجنيد وعمرو المكي. والصُّوفيَّة مختلفون فيه، فمنهم من يبالغ في تعظيمه، ومنهم من يكفره. أفتى العلماء بإباحة دمه لزندقته وكفره، فضُرب ألف سوط، ثم قُطعت أطرافه، وحُز رأسه وعلق ببغداد، وحرق جسده، وكان ذلك سنة تسع وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٨/٦٨٨)، ووفيات الأعيان (٢/١٤٥).

(٥) انظر: الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد (ص: ٢٦٧)، ط: مكتبة دار التراث – القاهرة، ٢٠٠٧م بدون تاريخ طبعة.

(٦) وفيات الأعيان لابن خلكان ت: إحسان عباس(٢/ ١٤٢)، ط: دار صادر – بيروت،١٩٩٤م.

عليهم، أو هي مما لها تأويل صحيح لا يعرفه إلَّا المحقِّقون العارفون، وجَهَّلَت من رماهم بالكفر والزَّندقة لجهله، وقصور فهمه عن المعاني المقصودة في كلامهم. ومن ذلك ما ينقله الطُّوسي في كتابه اللمع في ترجمة بعض رجال الصُّوفيَّة المتقدِّمين ممن اتُّهم بالحلول والزندقة، كقول أبي الحسين النوري[(١)]: لبيك وسعديك عند سماعه لنباح الكلاب، وآخر يقول: لبيك؛ كلما سمع هبوب الرياح وخرير الماء، وصياح الطيور. وحين سأل أبو الحسين النوري عن قوله أجاب: (بقول الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [سورة الإسراء: ٤٤]. فالكلب، وكل شيء يذكرون الله بلا رياء ولا سمعة ولا طلب عوض؛ فلذلك قلت ما قلت)[(٢)].

كما أن الصُّوفيَّة القائلين بوحدة الوجود ينفون عقيدة الاتِّحاد والحلول، ويرون بُطلانها لمخالفتها لعقيدتهم الباطلة القائلة بالوحدة؛ وذلك لاقتضاء الحلول: لحالٍ ومحلٍّ، واقتضاء الاتِّحاد وجود شيئين يتَّحدان ببعضهما البعض. إلَّا أننا نجد انتصارًا صريحًا ومنافحةً علنيَّةً لدى بعض المتأخرين لعقيدة الاتِّحاد والحلول، والذين اجتهدوا في بيان كيفيَّة هذ الاتِّحاد وتبرير حدوثه وأنه أمرٌ طبيعيٌّ ومستساغ في أعلى مراحل التَّصوُّف وهو أسمى مقاماته[(٣)].

رد أهل السُّنَّة والجماعة على القائلين بعقيدة الاتِّحاد والحلول:

إن القول بعقيدة الاتِّحاد والحلول هو قول فاسد تُبطله نصوص الشَّرع ويُعلَم فساده بالعقل، وهو كفر وضلال. فإنَّ القائل بهذه العقيدة الفاسدة يزعم بأنَّ الله يحل في كل شيء ويتحد بكل شيء -تنزه الله عن ذلك- وهذا مخالف لصريح القرآن الكريم الذي جاء بعلو الله ﷻ فوق السَّماوات ومباينته لخلقه كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك: ١٦]. وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه: ٥].

(١) أبو الحسين النوري: أحمد بن محمد، بغدادي المولد والنشأة، خرساني الأصل، يعرف بابن البغوي، شيخ الصُّوفيَّة في وقته، كان مذكورا بكثرة الاجتهاد، وحسن العبادة. كان من علماء القوم وأسند الحديث، صحب سريا السقطي. توفي سنة خمس وتسعين ومئتين. انظر: الطبقات الصُّوفيَّة للسلمي (ص: ٥١)، وتاريخ بغداد (٦/٣٣٠).

(٢) اللمع (ص: ٤٩٢و٤٩٥).

(٣) انظر: شطحات الصُّوفيَّة لعبد الرحمن بدوي، (ص: ٩ وما بعدها). ط: وكالة المطبوعات - الكويت. بدون تاريخ طبعة.

وأمّا بطلان هذه العقيدة عقلًا:

فأكثر ما يدل عليه التَّباين بين الخالق والمخلوق، فالاتِّحاد بين المخلوقين محال؛ للتَّباين بينهما فلا مخلوق يشبه الآخر من كل جهة، فيكون التَّباين أعظم بين الخالق والمخلوق ومن بابٍ أولى؛ فكيف يكون الخالق هو عين المخلوق، والخالق قديم والمخلوق حادث؟ كأبسط مثال على هذا التباين. والقول بالاتِّحاد والحلول مناقض لعقيدة التَّوحيد التي جاءت بها الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. فالتَّوحيد يقتضي الإفراد؛ ولا إفراد بالاتِّحاد والحلول فهما اجتماع شيئين لا واحد. كما أن القول بالاتِّحاد والحلول يُصَيِّر الشَّيئين شيئًا واحدًا مهما اختلفا، وهذا يعني أنهما يصيران حقيقة واحدة لا فرق بينهما كامتزاج اللبن بالماء، فيكون الكفر والفسق والفجور والكذب وغيرها من الأمور القبيحة المستنكرة على قولهم مُتَّحدةً في ذات الله العَلِيَّة -تنزَّه الله عن ذلك- ولا يقول بذلك من كان يملك ذرَّة عقل.

ومع بيان ما في هذه العقيدة من ضلالٍ وكفرٍ وأمورٍ مُنكرةٍ، إلَّا أنَّ للاتِّحاد معنًى سائغًا شرعًا ذكر في بعض كتب أهل السُّنَّة؛ وهو: موافقة العبد لله عَزَّوَجَلَّ في محبوباته ومكروهاته وما يتبع من الأمر والنهي؛ فيُحبُّ ما يحبه الله عَزَّوَجَلَّ ويبغض ما يبغضه، ويكون عطاؤه ومنعه لله وفي الله، ويكون مؤتمرًا ومنتهيًا وفق مراد الله عَزَّوَجَلَّ. فتكون هذه الموافقة بمثابة الاتِّحاد بين مراد الله عَزَّوَجَلَّ واتباع العبد لمراده. وأمّا الحلول في معناه المحمود: فهو ما يكون من أثر ونعت في قلب العبد المؤمن نتيجة معرفته بالله جَلَّ جَلَالُهُ والعلم به، فَيَحل أثر العلم والمعرفة في قلبه ويظهر على لسانه وجوارحه[١]، فيُشابه الحلول من جهة ظهور أثره على العبد؛ لا بمعنى حلول ذات الله جَلَّ جَلَالُهُ في العبد.

ثانيًا: وحدة الوجود:

ويقصد بها: "أن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى، ليس لوجودها غيره ولا شيء سواه البتَّة"[٢].

وأصل هذه العقيدة قديمٌ يعود للفلسفات الهندية واليونانيَّة، وظهر تأثُّر الصُّوفيَّة في هذه الفلسفات في مرحلة التَّصوُّفِ الفلسفيّ بشكلٍ جليّ سُطِّر في مقولاتهم ومصنَّفاتهم. إلَّا أن هذا القول ليس قولًا حديثًا فيهم، بل إنّ واضعوا أسس هذه العقيدة الفاسدة عند الصُّوفيَّة هم من

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢/٢٣١ و٢٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٩٠).

الصُّوفيَّة الأوائل، وإن لم يصرحوا بلفظ (وحدة الوجود). بل كانوا كالرَّاعي يرعى حول الحمى بمقولاتهم، التي باطنها وحدة الوجود وظاهرها شطحٌ لا يلتفت إليه وهذيان كهذيان السُّكارى، ومنها قول أبي يَزِيدَ البِسْطامِيّ في خطابٍ يزعم أنَّ الله ﷻ قد خاطبه فيه حين رَفَعَه إليه في معراجه المزعوم، وأنّ الخلق يحبون أن يروه حتى قال: "زيِّنِّي بوحدانيَّتك، وأَلْبِسْني أنانيَّتَك، وارفعني إلى أَحَدِيَّتِك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هناك"[١]، وقوله المشهور: "سبحاني سبحاني، وما في الجُبَّة إلا الله"[٢]. وغيرها من ألفاظ الضَّلال والزَّيغ التي رُويت عنهم ونُسبت إليهم في كتبهم وسَطَّرَتْها أشعارهم.

ويُمكن إرجاع عقيدة وحدة الوجود إلى القول بالفناءِ؛ والذي هو مبتغى ومنتهى التَّصوُّف، وإليه يَصبو الصُّوفيَّة. وتَفَنَّنَ القومُ بذِكر الفناء، وتسطير السُّبُل المُوصِلة إليه، وزادوا فيه ما زادوا، حتى وصلوا إلى القول بوحدة الوجود، والتي تَزَعَّمَ القول بها ابنُ عربي، وملأ بها مصنَّفاته مدلِّلًا عليها بالأحاديث الضَّعيفة والموضوعة والأقوال الشَّاذة المكذوبة.

ردُّ أهل السُّنَّة والجماعة على القائلين بوحدة الوجود:

كَثُرَتْ ردود أهل السُّنَّة على القائلين بوحدة الوجود، وملأت مصنَّفاتهم فيها لعظيم خطرِها على الإسلام وسُوء منقَلَب القائلين بها. فقد حكموا على مَن قال بها بالكفر والزندقة. وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيميَّة ﵀ عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الله ﷻ، وذلك في معرض الرَّد على من قال بوحدة الوجود كابن عربي ومن وافقه من الصُّوفيَّة، فقال: "وقد اتَّفق سلف الأمة وأئمتها على أن الخالق تعالى بائن من مخلوقاته، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته"[٣]. كما قال في حُكم القول بوحدة الوجود والاتِّحاد المطلق: (وأما الاتِّحاد المطلق الذي هو قول أهل وحدة الوجود الذين يَزعمون أنَّ وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، فهذا تعطيل للصَّانع وجحود له، وهو جامع لكل شرك)[٤].

(١) انظر: اللمع (ص: ٤٦١).
(٢) اللمع (ص: ٤٧٢).
(٣) مجموع الفتاوى (ج٢/ص٨٢).
(٤) أمراض القلوب وشفاؤها لشيخ الإسلام ابن تيميَّة. (ص: ٣٦) ط: المطبعة السلفية – القاهرة. الطبعة: الثَّالثة ١٤٠٢هـ.

والقول بوحدة الوجود يستلزم القول بأن المخلوق هو عين الخالق، وأنَّ كل ما في الكون هو الله -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- وهذا فيه تكذيب صريح للقرآن الكريم، الذي سُطرت آياته من أولها إلى آخرها في بيان أنَّ هناك خالقًا ومخلوقين، وأن هناك وعدًا ووعيدًا وموعودًا، كما أنَّ هناك حسابًا ومُحاسِبًا ومُحاسَبًا، وآمرًا ومأمورًا وأمرًا، وغيرها من معاني الآيات الكريمة التي تدلُّ دَلالةً واضحةً على التَّباين بين الخالق والمخلوق. قال تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥﴾ [سورة الطور: ٣٥]. وقال تعالى في بيان تفرُّدِه ووحدانيَّته عن خلقه: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ ١٦٤﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤]. وفي كُفر من قال بهذه العقيدة الفاسدة عقيدة وحدة الوجود يقول تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ١٥﴾ [سورة الزخرف: ١٥]. هذا حُكم من جعل له جزءًا، فكيف بمن جعله عين الكل -تنزه الله عن ذلك-؟!

وقولهم بوحدة الوجود يستلزم منه استواء الحقِّ والباطل والخير والشَّر، والإيمان والكفر، وعليه فلا تكون هناك حاجة للعمل والبذل، فالطَّاعة والمعصية سيَّانِ لا فرق بينهما، وهذا تعطيل لدين الله ﷻ.



المطلب الثَّاني:
عقيدة الصُّوفيَّة في النَّبي ﷺ

يعتقد الصُّوفيَّة في النَّبي ﷺ عقائدَ شتَّى، ويتباينون في أقوالهم واعتقادهم فيه، وهم منقسمون في عقيدتهم بالنَّبيّ ﷺ انقسامًا جليًّا، فنجدهم على طرفي نقيض، وقليلٌ من نجى منهم، وكان وسطًا. فمن الصُّوفيَّة من يَغلو في النّبي ﷺ حتى يسميه بقبَّة الكون، معتقدًا أن مدار العالم والمخلوقات كلها قائم على ما يسمى بالحقيقة المحمدية: وهي صورة لحقيقة الحقائق، ويعنون بها: "باطن الوحدة وهو: التعين الأول الذي هو أول رتب الذات الأقدس... وذلك لكليته وكونه أصلاً جامعاً لكل اعتبار تعين، باطناً لكل حقيقة إلهية وكونية وأصلاً انتشى عنه كل ذلك"[(١)].

بينما نجد منهم من لا يُقدِّر النَّبي ﷺ حق قدره، ولا يُنزله مَنزلته التي أنزله الله ﷻ به؛ بل ينغمس في غيّه حتى يصل به الأمر للقول بأن النَّبي ﷺ لم يصل إلى مرتبتهم ولا إلى عِلمهم، ولم يبلغ في التَّرقِّي ما بلغ أولياء الصُّوفيَّة. ووصل الحال بأبي يزيد البِسْطامِيّ أن يقول: "خُضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحلِه"[(٢)]، وقول آخر: "معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تأتوه"[(٣)]. وأي علم ينتفع به إن لم يكن من مشكاة النبوة. واشتهر عن ابن سبعين[(٤)] أنه قال: "لقد تحجّر ابن آمنة واسعًا بقوله: لا نبي بعدي"[(٥)]، وهذا القول على ما فيه من سوء أدبٍ مع النَّبي ﷺ فهو تكذيبٌ لصريح القرآن الكريم، قال الله تعالى في محكم التَّنزيل: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

ومن شدَّة غلوهم بالنَّبيّ ﷺ وانحراف عقيدتهم فيه قولهم: بأنَّه خلق ﷺ من نور، وأنه أول ما خُلق، وأنّ الخلائق كلها خُلقت من نوره الذي زعموه، وأضفوا عليه من صفات الله ﷻ كالنفع والضر والرزق وغيرها من الصِّفات. ولهذا اشتهر عنهم الاستغاثة بالنَّبيّ ﷺ من دون الله ﷻ.

---

(١) لطائف الأعلام للقاشاني (٣٤٨/١).

(٢) شطحات الصُّوفيَّة (ص: ٣١).

(٣) جواهر المعاني لعلي حرازم، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن (٢٧٦/٢). ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثَّالثة ٢٠١٨م.

(٤) عبد الحق بن إبراهيم بن سبعين، كان صوفيا على قاعدة زهد الفلاسفة وتصوفهم. وله كلام كثير في العرفان على طريق الاتحاد والزندقة، وإليه تنسب طائفة السبعينية وقد مات مُنتحرًا بفصد يديه وترك الدم يخرج حتى تصفى سنة تسع وستين وست مئة وله خمس وخمسون سنة. انظر: تاريخ الإسلام (١٦٨/١٥) والوافي بالوفيات (٣٧/١٨).

(٥) انظر فوات الوفيات لمحمد الكتبي، ت: إحسان عباس (ج٢/٢٥٤). ط: دار صادر - بيروت، بدون تاريخ طبعة.

ومن أقوالهم الفاسدة وعقائدهم الضَّالَّة في النَّبي ﷺ ما قاله ابن سبعين: "إن نور السَّماوات والأرض رسول الله ﷺ مظهره، ومشكاة مصباحه، ووحيه زيتونة زيتها ثم هو نفسه نور الله"(١).

وسطر فريتهم في مسألة أصل خلق النَّبي ﷺ من نور، عبد العزيز الدباغ(٢) فقال: "إن أول ما خلق الله تعالى نور سيدنا محمد ﷺ ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها..."(٣). واسترسل في أباطيله حتى جعل أن جميع المخلوقات قد خلقت من هذا النور وأن هذا النور عائد للنور الإلهي.

ويظهر جليًّا غلوُّهم فيه ﷺ:

- بجعله ﷺ أصل الخلق وقبة الكون.
- وأنه ﷺ هو المتصرف بالأكوان.
- بالتَّوجُّه إليه ﷺ بالدُّعاء والاستغاثة من دون الله ﷻ.
- بتَعداد أسماء النبي ﷺ يضاهون فيه أسماء الله ﷻ الحسنى.
- في ادِّعائهم علمه ﷺ بالغيب.

الرد على الغلوِّ بالنَّبيّ ﷺ:

يَعتقد أهل السُّنَّة والجماعة بالنَّبيّ ﷺ عقيدةً وسطًا، بلا إفراط ولا تفريط. فنحن نُؤمن بأن الله ﷻ قد بعث النَّبي ﷺ بالإسلام، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الزمر:١١-١٢]، وهو عبد الله ورسوله قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [سورة الفرقان:١]. وصَفيُّه من خلقه وفي هذا قال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش

---

(١) رسائل ابن سبعين/ رسالة النورية، ت: عبد الرحمن بدوي (ص: ٢٠٢). ط: الدار المصرية للتأليف. بدون تاريخ طبعة.

(٢) عبد العزيز بن مسعود، أبو فارس، الدباغ: متصوف من الأشراف الحسينيين. مولده ووفاته بفاس. كان أُميا لا يقرأ ولا يكتب، ولأتباعه مبالغة في الثناء عليه ونقل الخوارق عنه. من آثاره: كتاب الابريز في التَّصوُّف. توفي سنة اثنتين وثلاثين ومئة بعد الألف. انظر: الأعلام للزركلي (٤/٢٨)، معجم المؤلفين (٥/٢٦٢).

(٣) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ لأحمد بن المبارك (ص: ٣٧٦ وما بعدها). ط: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثَّالثة ٢٠٠٢م.



بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم»[١]، وقد اختصَّه الله ﷻ بخصائصَ لم يُؤتَها أحدٌ غيره؛ فهو خاتَم النّبيين ورسول الله للعالمين؛ قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [سورة الأحزاب:٤٠]، وأنه أول من يُبعث وهو صاحب الشَّفاعة الكبرى يوم القيامة، وأول من تفتح له أبواب الجنان، قال ﷺ: «قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»[٢]. ونؤمن بأنَّه ﷺ بشر لا يعلم الغيب إلَّا ما أطلعه الله ﷻ عليه في حياته، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾ [سورة الأعراف:١٨٨].

وعُرِفت الصُّوفيَّة بالغلو بالنَّبيِّ ﷺ، والغلو هو: "الارتفاع في الشَّيء ومجاوزة الحدِّ فيه ومنه قوله ﷻ: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾، أي لا تجاوزوا المقدار"[٣]. وغلو الصُّوفيَّة بالنَّبيِّ ﷺ هو مجاوزتهم حدود ما شرع الله ﷻ لنا في محبته ﷺ ورفعهم إيَّاه إلى منزلة الرُّبوبيَّة والألوهيَّة. والغلو هو سبب هلاك الأُمم، وهو أوَّل سبيلٍ وَقَع الشِّرك فيه. وقد جاء النَّهي عن الغلو بجميعِ صورِه، سواءً الغلو في الدين، أو الغلو في الأشخاص، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ۝٧٧﴾ [سورة المائدة: ٧٧]. وأخبر ﷺ أن أول الشِّرك وقع في قوم نوح حين غلوا في رجالٍ صالحين حتى عبدوهم من دون الله ﷻ[٤]. وما كان هذا النهي الشديد إلا سدًّا لذريعة الشِّرك وحمايةً لجناب التَّوحيد. وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النَّصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه –كتاب الفضائل– باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (١٥/٣٨) رقم (٥٨٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه– كتاب الفضائل– باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (١٥/٣٩) رقم (٥٨٩٩).

(٣) جمهرة اللغة لابن دُرَيْد الأزدي، ت: رمزي منير بعلبكي (٢/٩٦١). ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود: كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع: كانت لهذيل، وأما يغوث: فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ ، وأما يعوق: فكانت لهمدان، وأما نسر: فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم عبدت. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن – باب: (ودًّا ولا سواعًا..) (٣/١٢٥٧) رقم (٤٩٢٠).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء– باب قول الله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم)، (٢/٨٤٩) رقم (٣٤٤٥).

وأما زعمهم أن النَّبي ﷺ خُلق من نور، فهذا زعم باطل لا أصل له، تبطله نصوص الشَّرع الصَّحيحة، وكل معتمدهم فيه على أحاديثَ، وهي مكذوبةٍ على النَّبي ﷺ وروايات توارثوها مليئة بالخرافات التي تَمُجُّها العقول والأنفس. فالنّبي ﷺ بشرٌ خُلق كباقي البشر من بني آدم من ماءٍ مهين، من أبوين بشريين، وقد نصت آيات القرآن الكريم على هذه الحقائق، وجاء في قول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۞﴾ [سورة السجدة: ٧-٨]. وقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [سورة فصلت: ٦]. وهذا ما يُكَذّب زعمهم ويُبْطل عقيدتهم بالنَّبيّ ﷺ ونقض قولهم بالحقيقة المحمَّديَّة[(١)].

وأما ادعاؤهم أن الخلائق قد خلقت من نوره الذي يزعمون، وأنه ﷺ المتصرف في الأكوان خلقًا وتدبيرًا، فهذا باطلٌ مردودٌ عليه، فقد سطرت النُّصوص الشَّرعيَّة الصَّحيحة كيفيَّة بدء الخلق، وأصل كل مخلوقٍ من المخلوقات، وأنَّ لا مالك ولا متصرِّف ولا خالقَ إلا الله ﷻ. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىۡءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا ۞﴾ [سورة الفرقان: ٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

وأمّا ما ابتدعوه من التَّوجُّه بالدُّعاء والاستغاثة بالنَّبيّ ﷺ بعد موته من دون الله ﷻ فهو شركٌ منهيٌّ عنه، ومتوعَّدٌ فاعله بالعقاب. قال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ ۞﴾ [سورة الأحقاف: ٥]. وقال ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النَّار»[(٢)]. وهذا الحديث عامٌّ في كل ما يُدعى من دون الله ﷻ، ولا خصيصة لا لنبيٍّ ولا لملك ولا لرجلٍ صالح، ولا غيرهم مما يُدعى.



(١) انظر: رد شيخ الإسلام ابن تيميَّة في مجموع الفتاوى على القائلين: أن النَّبي ﷺ خُلق من نور. (٦٥/١١)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن - باب قوله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا)، (١٠٩٩/٣) رقم (٤٤٩٧).



المطلب الثّالث:
عقيدة الصّوفيّة في الأولياء

تُعَرّف الولاية بأنها: (ضد العداوة، وأصلها من المحبَّة والقرب)[(١)]. والأولياء: جمع ولي، وتنقسم الولاية إلى قسمين: ولاية الله ﷻ وولاية الشّيطان. وولي الله هو: "الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه"[(٢)]. وضابط الولاية المحمودة الشّرعيَّة هو الإيمان والتّقوى، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [سورة يونس: ٦٢-٦٣].

وأمّا الوِلايَة الصُّوفيّة فهي من أهم الرّكائز التي تقوم عليها عقيدة الصُّوفيّة، وهي من أعظم مقامات التّشريع لديهم لا يُحاد عنها ولا تُرد أقوالها، والولاية ملازمة للتّصوُّف في جميع مراحله، فهي عندهم ولاية وهْبيّة من الله ﷻ ومنحٌ ربَّانيَّة بلا كسبٍ، وبغير حِكمة تؤتى، اختص الله ﷻ بها أقوامًا دون آخرين، فالولاية تكون للخاصَّة دون العامَّة. قال الهجويري: "اعلم أن أصول التّصوُّف ومعرفة الله تعالى مبنيَّة على الولاية، وقد أثبتها كل المشايخ، رغم أنهم عبروا عنها بعبارات مختلفة"[(٣)].

ويعتقد الصُّوفيَّة في الأولياء عقائدَ متباينةً، فمنهم من يُفضل الوليَّ على النَّبيّ لاعتقادهم أن النبوة لم ترفع مطلقًا وإنما ارتفعت نبوة التَّشريع فقط[(٤)]، ومنهم من يساوي الوليَّ بالنَّبيّ وأن كل ما أعطي الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من معجزات أعطاه الله ﷻ لأهل التَّصرُّف من الصُّوفيَّة وزيادة كالأقطاب والأبدال؛ إلّا أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أظهروا المعجزات والأولياء سَتَرُوها[(٥)]، ومنهم من يُنزل الولي مَنزلة بشرية دون النبوة، ويشترط الحفظ له كشرط العصمة للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعلامة صدق الوليّ عندهم ظهور الكرامات عليه[(٦)].

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيميَّة. ت: عبد الرحمن اليحيى. (ص: ١١) ط: دار المنهاج – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: ١٢).

(٣) كشف المحجوب (ص: ٢٤١).

(٤) انظر: الفتوحات المكية لابن عربي ت: أحمد شمس الدين (٣/ ٦).ط: دار الكتب العلمية– بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٥) انظر: الإبريز (ص: ٢٩٢).

(٦) انظر: الرسالة القُشيريَّة (ص: ٣٨٧ و٥١٠). والكرامة هي: ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة. انظر: التعريفات (ص: ٢٦٥).

ومنهم من يطغى في اعتقاده بالولي حتى يجعل الولي مساويًا لله ﷻ في كل صفاته؛ فالوليُّ رازقٌ ومحيي ومميت ومتصرِّف في الكون، وغيرها من الصِّفات والأفعال.

ولعظم شأن الولاية عند الصُّوفيَّة، ولأنها مَحَطُّ اهتمامهم وعنايتهم، فقد جعلوا لها مراتبَ ودرجاتٍ وأكثروا فيها التَّصانيف والمؤلَّفات. فهناك الغوث والقطب والأوتاد والأبدال وغيرها من المسمَّيات التي خالفت فيها الصُّوفيَّة أهل السُّنَّة والجماعة. ولكلٍّ مسمًّى عندهم صفاتٌ وعلاماتٌ تدل عليه. وأعظم منزلة في الولاية الصُّوفيَّة هي منزلة القطب: "وهو الغوث: باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان... فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل"[(١)]. وسُمي قطبًا كالنجم؛ الذي تدور حوله الكواكب، وشُبه بقطب الرَّحى أيضًا، في توسطه ودوران حجر الرحى حوله[(٢)].

ومن خصائص هذا القطب أنه يعلم ما يعلمه الله ﷻ ويقدر على ما يقدر عليه[(٣)]، وبيده نواصي الملوك والأولياء يولي من يشاء ويعزل من يشاء وأنَّه مَددُ الخلائق كلهم والمتصرِّف فيهم[(٤)]، فهو بشرٌ بصفاتٍ إلهيَّةٍ وهو من الرجال الكُمَّل، ولا تَجري على يديه الخوارق كباقي الأولياء لعدم حاجته لذلك[(٥)]، وهو الذي يَنفرد به الحقُّ دون غيره من الخلْق، والقطب هو: الخليفة الإلهيُّ الذي تتجلَّى فيه صورةُ الحقِّ بأسمائه وأحكامه[(٦)]، وهذا عين القول بوحدة الوجود الذي مرّ بنا قريبًا[(٧)].

ويلي مرتبة القطب، الأوتاد: "وهم أربعة رجال، منازلهم على منازل الأربعة أركان من العالم، شرقٌ وغربٌ وشمالٌ وجنوبٌ"[(٨)] والأوتاد ينوبون عن الأقطاب في تصريف الكون من جهاته الأربع، وبهم يحفظ الله ﷻ تلك الجهات، وسُمُّوا بالأوتاد تشبيهًا بأوتاد الخيمة في التثبيت، فهم قوام العالم ومصدر ثباته[(٩)]، كما تزعم الصُّوفيَّة.

---

(١) التعريفات (ص: ٢٥٨).

(٢) انظر: غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلَّام (٤/٩٧). ط: دائرة المعارف العثمانية. الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

(٣) انظر: الرد على الشاذلي لابن تيميَّة، تحقيق: عليّ العمران (ص: ٥١). ط: دار عالم الفوائد، الطبعة الثَّانية ١٤٣٧هـ.

(٤) انظر: الرد على الشاذلي (ص: ٢٠٠).

(٥) انظر: الفتوحات المكية (٤/٣٠٣ وما بعدها).

(٦) انظر: الفتوحات المكية (٤/٢٧٥ وما بعدها).

(٧) انظر: المبحث الثَّاني: عقيدة وحدة الوجود (ص: ٧١).

(٨) التعريفات (ص: ٩٧).

(٩) انظر: الموسوعة الصُّوفيَّة (ص: ٧٦٣ و٨١٩).

ويأتي الأبدال بعد الأوتاد: والأبدال: "واحدهم بديل، وسموا أبدالًا؛ لأنَّه إذا مات الواحد منهم أبدل الله مكانه آخر"[١]. ومستندهم في هذا الأمر حديث يرْوونه ويحيكون حوله كثيرًا من الخرافات والقصص المكذوبة، وهو حديث لا يصح يروى عن علي ﷺ قال سمعت رسول ﷺ يقول: «الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلًا، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا، يُسْقَى بهم الغيثُ، ويُنْتصر بهم على الأعداء، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب»[٢]. ومن صفات الأبدال عند الصُّوفيَّة أنهم يعطون قوة روحانيَّة مأخوذةً من روحانيَّات الأنبياء عليهم السلام، وهم سبعةٌ -خلاف ما جاء في الحديث أنهم أربعون- يتصرفون في القارات السبع وتُحفظ بهم، لكل بدلٍ قارة، ولديهم عِلْمُ ما يعرج من الأرض، وما ينزل من السَّماء بحسب ما يقع في قلوبهم ويكشف لهم[٣]. ويمكن الوصول إلى مرتبة الأبدال كما تزعم الصُّوفيَّة بالمحافظة على بعض الأوراد والأذكار، والتزامها في اليوم واللَّيلة ومنها الاستغفار للمؤمنين خمسين مرة[٤].

ولما كانت هذه المسميات والشخوص هي من وحي الخيال الصُّوفي الذي لا دليل عليه؛ ذلك الخيالُ الباطني الذي يَخْفَى على كثير من عامَّة المسلمين، صار بدهيًّا تعدد طبقاتهم، وتنوع درجاتهم، وتباين مقالاتهم، فكلما جاء قومٌ أثبتوا ولايتهم وغُلُوَّ شَأْنِهم بإسهامهم في باب الولاية زيادةً ونقصًا.

وترتبط الولاية عند الصُّوفيَّة ارتباطًا وثيقًا بالكرامات، والتي لا تخلو مصنَّفاتهم من ذكرها وذكر ما فيها من روايات وأساطير لا يقبلها العقل، تُحكى عن أوليائهم أو من التقى بهم. وكلما عَظُم شأن الوليّ وذاع أمره كانت الكرامات في حقه أعظم وأعجبُ وأكثر غرابة[٥]. ومن أعجب كرامات الأولياء لديهم: استجابة الأولياء للمريدين والأتباع وهم في قبورهم، فهم يُجيبون على تساؤلاتهم، ويُجيبون دعاءهم، ويعلمونهم أمورًا غُيّبت عنهم، وما ذلك إلَّا لصدقهم؛ فهي كرامة للولي وللمريد معًا[٦].

(١) جمهرة اللغة (١/٣٠٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الخلفاء الراشدين، مسند علي ابن أبي طالب (ص: ٩٧) رقم (٨٩٦).ط: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٤م بدون تاريخ طبعة. قال ابن القيم: لا يصح؛ فإنه منقطع، انظر المنار المنيف (ص: ١٣٢). وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٢٩٩٣).

(٣) انظر: الفتوحات المكية (١/٢٣٦ وما بعدها).

(٤) انظر: قوت القلوب (١/١٢٧).

(٥) انظر: كشف المحجوب (ص: ٢٥٩ وما بعدها).

(٦) انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (ص: ٤٩٤).

رد أهل السُّنَّة والجماعة على الولاية الصُّوفيَّة:

إنَّ الولاية عند أهل السُّنَّة والجماعة هي منزلة عظيمة ودرجة رفيعة تهفو الأنفس للوصول إليها، وهي غاية عباد الله المتقين ومنتهى آمالهم. قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة يونس: ٦٢-٦٤].

ونجد الولاية التي تدعيها الصُّوفيَّة مخالفة للولاية المحمودة، التي ينشدها العبد المسلم في تقربه إلى الله ﷻ، فولاية المسلمين أساسها، وعمودها الدين والتَّقوى، ومراقبة الله ﷻ، والقيام بالأعمال الصَّالحة، والعُبوديَّة الكاملة المأمور بها؛ والتي تدعو لها النُّصوص الشَّرعيَّة الصَّحيحة. كما أنَّ الوليَّ الصَّالح محمود الحال والمقال مهما بلغ من الولاية، وهذا لا يُخرجه عن بشريَّته، وأنَّه عبدٌ لله مفتقرٌ إليه في كل شأنه، وأنَّه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عن أن يملكه لغيره. والنَّبي ﷺ هو أعظم أولياء الرَّحمن منزلةً وأرفعهم درجة ومع ذلك قال الله تعالى عنه: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الجن: ٢١].

كما جاءت ردود كثيرة لأهل العلم في إبطال عقيدة الصُّوفيَّة في القطب والغوث وغيرها من المسمَّيات، ومن تلك الردود قول شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله في تفنيد قولهم وإبطاله في معرض ردِّه على سؤال بيّن فيه حقيقة القول بالقُطب والغوث فقال: "فهذا قد يقوله طوائف من النَّاس ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام: مثل تفسير بعضهم: أن "الغوث" هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم، ورزقهم حتى يقول: إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته. فهذا من جنس قول النَّصارى في المسيح عليه السلام والغالية في علي رضي الله عنه. وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قُتل"[(١)].

وقال رحمه الله في عدم جواز التَّسمية بالغوث وأنه من خصائص الله جل جلاله وهو غياث المُستغيثين: "فأمَّا لفظ الغوث والغياث: فلا يستحقه إلَّا الله فهو غياث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره، لا بملك مقرب ولا نبي مرسل"[(٢)]. وهذا فيمن هم أعظم الخلْق منزلة عند

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٥٧ و٦١). ويقصد بالغالية: غلاة الشيعة الذين غلو في علي رضي الله عنه وأضفوا عليه صفات إلهيه.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٢٣٩).

الله ﷻ فكيف بمن هم أقلُّ منزلةً، وخلطوا عملًا صالحًا بغيره. ويَرُدُّ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأحاديث الواردة في درجات الولاية عند الصُّوفيَّة، وألقاب الأولياء ويقول ببطلانها جميعا: "حديث الأبدال، والأقطاب، والأغواث، والنُّقباء، والنُّجباء، والأوتاد، كلها باطلةٌ على رسول الله ﷺ"(١).

وقد جاء لفظ الأبدال في أقوال بعض السَّلف من أهل السُّنَّة والجماعة، وتراجمهم، وفي رواية بعض الأحاديث، وشرح مقتضاها، كما مر معنا في حديث: «الأبدال يكونون في الشَّام...»، وهو لا يصحُّ ولم يثبت عن النَّبي ﷺ، إلَّا أن معنى الأبدال في أقوال السلف يَختلف عما جاءت به الصُّوفيَّة في طبقات أوليائها، فأبدال الصُّوفيَّة تقع على يديهم الخوارق، وتُضْفَى عليهم صفات إلهيَّة تمكنهم من التَّصرُّف في الكون. وهذا مما لا يقول به عاقل؛ فضلًا على أن يكون المعنى المراد في أقوال أهل السُّنَّة والجماعة. وإنّما فُسر معنى البدل بمعانٍ عدة عند أهل السُّنَّة؛ منها: بأنهم أبدال الأنبياء، وهم من يقيمون شرع الله ﷻ في كل زمان، ويدعون إليه فهم متشبهون بالأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ومنها: أن الله يبدل كل رجلٍ منهم مات برجلًا آخر، ومنها: أنهم بدلوا سيّئاتهم بحسنات في أخلاقهم وعقائدهم وعباداتهم. ولا تختص هذه المعاني بأربعين رجل دون ما سواهم، بل هي معانٍ قد تكون شائعةً في كثيرٍ من البشر وفي كل زمان ومكان(٢).

ومما مضى يتبيّن لنا بطلان عقيدة الصُّوفيَّة بالأولياء، وعدم استنادها لأدلَّة صحيحةٍ.



(١) المنار المنيف (ص: ١٣٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤١/١١).

المطلب الرَّابع:
عقيدة الصُّوفيَّة بالقرآن الكريم

تزعم الصُّوفيَّة تمسُّكها بالقرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة؛ كباقي الطَّوائف الضَّالَّة والمنحرفة عن الجادة، قال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ربما تنكت الحقيقة قلبي أربعين يومًا فلا آذن لها أن تدخل قلبي إلَّا بشاهدين من الكتاب والسُّنَّة"[١]. كما تدعي الصُّوفيَّة أن جميع ما سطَّرته أقلامهم من خرافات، ودعاوى باطلة في كتبهم، هو نابعٌ من تعاليم القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، واختصاصهم دون غيرهم بما أوتوه من كشف، وإلهام، وفيوضات إلهية، والتي أعانتهم على فهم المعنى الباطني لنصوص الشَّرع وصرفها عن ظاهرها.

وأشتهر الصُّوفيَّة بتقسيم الشَّرع إلى باطن، وظاهر، وحقيقة وشريعة. وجعلوا هذا التَّقسيم في كل جوانب الإسلام حتى طال تقسيمهم القرآن الكريم، فقالوا: إن لمعاني القرآن ظاهرًا معلومًا للعامَّة والخاصَّة، وباطنًا لا يُدرِك معناه إلَّا الخاصَّةُ من أهل المعرفة والتَّصوُّف، مُستدلِّين على قولهم بحديث: «أُنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن»[٢]. فكان لهذا التَّقسيم الأثر البالغ في تأويلاتهم الباطلة للقرآن الكريم، والتي لم ترد في النُّصوص الشَّرعيَّة الصَّحيحة ولا في أقوال السلف من أهل السُّنَّة والجماعة.

واعتمدوا في تأويلاتهم للقرآن الكريم إمّا على أحاديثَ مكذوبةٍ باطلة، أو على ما تُمليه عليهم أهواؤهم، وما وصل لأفهامهم القاصرة، بما ادعوه من كشف وفيضٍ إلهي. وقالوا بالتَّفسير الباطنيّ والإشاريّ الذي لا يَعرِفه ولا يصل إليه إلَّا أهل المعرفة من الصُّوفيَّة. والذي يزعمون بأنَّ الله ﷻ خصّهم به، وحصل لهم بكشوفهم المزعومة ووهبهم إياه دون ما سواهم.

ويُقصد بالتَّفسير الإشاري: "تأويل القرآن على غير ما يظهر منه بمقتضى إشارات خفية ونكات لطيفة تظهر لأهل السُّلوك والأحوال"[٣]. ولم يقف تأويلهم للقرآن لحدٍ معين؛ بل كلما جاء قوم أتوا بالأباطيل، والعجائب التي لم يسبقهم إليها أحد. وتجعل الصُّوفيَّة الإشارة حاضرة في جميع تأويلاتهم لمعاني القرآن، وفي كل حرفٍ من حروفه، وينقل الطُّوسي بعض أقوالهم في

---

(١) اللمع (ص: ١٤٦).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب العلم - باب ذكر العلَّة التي من أجلها قال النَّبي ﷺ: «وما جهلتم منه فرُدُّوه إلى عالمه» (١/١٣٤) رقم (٧٥). وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٢٩٨٩).

(٣) التعريفات (ص: ١٢٦).

التَّفسير الإشاري فيقول: "قيل للشبلي: إيش الإشارة في الباء من بسم الله -يعني: بسم الله الرحمن الرحيم في بداية المصحف-؟ فقال: أي: بالله قامت الأرواح، والأجساد، والحركات، لا بذواتها"[١]. ويُخَطِّئ الطُّوسي بعض الصُّوفيَّة في تأويلاتهم الإشاريَّة واستنباطاتهم المستنكرة؛ كقول أحدهم حين سُئل عن معنى قول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [سورة فصلت: ٦]. بأن معناه: "أنا بشر مثلكم عندكم"، وفي هذا الاستنباط دَلالة صريحة أن بشريَّة النَّبي ﷺ هي فيما يظهر للنَّاس وأنّ حقيقته غير ذلك. فقال الطُّوسي: "فهذا وأشباه ذلك -يعني التَّفسير بما يخالف ظاهر اللفظ القرآني- خطأ، وبهتان وخسارة على الله تعالى، وجهل، وقلَّة المبالاة؛ وهو تحريف الكلام عن مواضعه"[٢]. ويُبين الطُّوسيُّ أن سبب اختلاف الصُّوفيَّة في فهمهم لنصوص القرآن الكريم، واختلاف تفسيرهم لآياته وتناقضهم في الإشارات التي تَرِدُ عليهم، أن ذلك: "لأنَّ كل واحد يتكلم من حيث وقته، ويُجيب من حيث حاله، ويشير من حيث وجده"[٣].

ولم يقتصر التَّفسير الإشاري على المتقدِّمين من الصُّوفيَّة، بل طالت هذه العقيدةُ -القول بأن للنُّصوص ظاهرًا وباطنًا- كتاباتِ المعاصرين وأخذ كلٌّ منهم يدلو بدلوه وبما يعنُّ له، وما يمليه عليه هواه، ويظهره كشفه. فنجد أحد المنتسبين للتَّصوُّف من المعاصرين يحاول جاهدًا تفسير آيات القرآن تفسيرًا، عصريًّا، موافقًا لعقائدِ الصُّوفيَّة، ويَقول في معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ [سورة طه: ١٢]. "أن المقصود بالنعلين هي النَّفس والجسد، هوى النَّفس وملذَّات الجسد، فلا لقاء بالله إلا بعد أن يخلع الإنسانُ النَّعلين: نفسه وجسده بالموت أو بالزُّهد، والله يُصوِّرُهما كنعلين؛ لأنَّهما القدمان اللَّتان تَخوضُ بهما الرُّوح في عالم المادَّة وعن طريقهما نزلت من سماواتها إلى الأرض"[٤]. وفي هذا التَّفسير جنوحًا إلى الإشارة، والرمز والتي لا تمت للمعنى الظَّاهر بصِلة، بل هي بعيدة كل البعد عن سياق القصة. وفيه اتِّهامٌ صريحٌ للقرآن الكريم بمخاطبة النَّاس بما لا يعقلون.

---

(١) اللمع (ص: ١٢٤).
(٢) اللمع (ص: ١٢٦).
(٣) اللمع (ص: ١٥٠).
(٤) القرآن ومحاولة لفهم عصري للقرآن لمصطفى محمود (ص: ١٠٤)، ط: روز اليوسف – القاهرة، بدون تاريخ طبعة.



ويلجأ الصُّوفيَّة للتأويل الباطني والإشاري لسببين:

• **الأول:** أنهم "لم يجدوا في القرآن والسنة ما يمكن أن يكون سندًا لهم على منهجهم ومسلكهم، ودليلا على طرقهم التي اختاروها، والمناهج التي اخترعوها للوصول إلى الله... فالتجئوا لعلم الباطن والتَّأويل الباطني"(١).

• **الثَّاني:** "أنهم لما كفَّرهم العلماء بكلماتهم الكفريَّة ورموهم بالزَّندقة لم يسعْهم حينها إلَّا أن يقولوا بالباطن والظَّاهر ليهربوا إلى التَّأويل الباطني..."(٢). فيوهمون من يستمع لهم بأن ما يقولونه حقٌ وهو المراد؛ إلَّا أنَّ فهمَه قاصرٌ عنه؛ لأنَّه ليس من أهل التَّصوُّف.

رد أهل السُّنَّة والجماعة على عقيدة الصُّوفيَّة في القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المصدر الأوَّل للتَّشريع وهو أصدق الكتب وأحفظها، حوى تِبْيان العلوم كلِّها، ومنه يعرف العبد ربه ﷻ، ويعرف أوامره، ونواهيه، فيه خبر السَّابقين واللاحقين، وهو الذِّكر المأمور بتعلمه وتعليمه وتدبره والعمل به، وبه حياة القلوب والأبدان. والقرآن الكريم هو: كلام الله المنزَّل على نبيه ﷺ، المتعبَّد بتلاوته والمعجز بحروفه، والمنقول إلينا بالتَّواتر. قال الله ﷻ في وصفه ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [سورة المائدة: ١٥]. وتكرر وصف القرآن كثيرًا بأنَّه مبيّن وهدًى، ونورٌ، ومحكَمٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وأنَّه أحسنُ الحديث، وأُنزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [سورة الشعراء: ١٩٥]. حتى تُدرك العقول معانيَه ومراد الله ﷻ منه؛ فيَسهُل عليها العملُ به، ولا يُتصوَّر أن يَتَعَبَّدَ اللهُ العباد بما لا تُدركه عقولهم. وهذا يبطل قول الصُّوفيَّة: أن المعنى الباطن لنصوص القرآن الكريم لا يعلمه إلَّا أهل المعرفة والتَّصوُّف، فكيف يُنزل الله ﷻ الآيات، وما فيها من أمرٍ ونهيٍ، ويتعبد بها عباده، وهي لا تُفهم إلَّا من قِبَل فئةٍ معيَّنةٍ؟ ولا يصل إلى معرفتها إلَّا من كان له نصيبٌ من الإلهام، والكشف، والفيض الإلهي؟ قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يجب أن يُعلم أنّ النَّبي ﷺ بيَّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [سورة النحل: ٤٤]. يتناول هذا وهذا"(٣).

---

(١) التَّصوُّف المنشأ والمصدر (ص: ٢٧٤).

(٢) ابن عربي عقيدته وموقف المسلمين منه لدغش العجمي (ص: ٢١٦). ط: مكتبة أهل الأثر – الكويت، الطبعة الثَّانية ٢٠١٣م.

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/١٧٧).

وأمّا حديث: "لكل آية منها ظهر وبطن" الذي يستدل به الصُّوفيَّة على منهجهم في فهم نصوص القرآن الكريم، على ما فيه من ضعفٍ؛ فيُجاب عنه: أنَّ المراد بالظَّاهر في هذا الحديث: "هو ما تَعرفه العرب من كلامها، وما لا يُعذر أحدٌ بجهالته من حلال وحرام. والباطن: هو التَّفسير الذي يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه. ولم يَرُدَّ الطَّبريُّ -في بيان معنى الظَّاهر والباطن في شرح الحديث- ما تفعله طائفة الصُّوفيَّة وأشباههم في التَّلعُّب بكتاب الله وسنة رسوله، والعبث بدَلالات ألفاظ القرآن، وادِّعائهم أن لألفاظه ظاهرًا هو الذي يعلمه علماء المسلمين، وباطنًا يعلمه أهل الحقيقة، فيما يزعمون"[1].

كما أن القول بالتَّفسير الإشاري التي تنتهجه الصُّوفيَّة في فهم كلام الله ﷻ، قولٌ باطل من جهة عدم ثباته، فلكلِّ متأوِّلٍ منهم تفسير خاصٌّ به، يغاير تفسير من سبقه ومن يأتي بعده في الآية الواحدة. ويفسر كل منهم القرآن الكريم بما يَعِنُّ له، ويستقر في خاطره من كشوفات، وما يتلقَّاه من فيضٍ إلهيٍّ يدعيه، دون ضوابطَ، أو أُسِّسٍ علميَّة معتبرة، أو التزام بأصول التَّفسير التي استقر الأمر على تلقِّيها بالقبول والعمل، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة ؒ: "لا بد أن يكون مع الإنسان أصولٌ كليَّة ترد إليها الجزئيَّات، ليتكلم بعلمٍ وعدلٍ، ثم يعرف الجزئيَّات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيَّات، وجهل وظلم في الكليَّات، فيتولد فساد عظيم"[2]. وهذا ما لا نجده في التَّفسير الإشاريِّ الفيضيِّ لدى الصُّوفيَّة، فهو يفتقر للأصول والقواعد الأساسيَّة التي يبني الاستنباط والفهم عليها، ويشهد بذلك؛ الاختلاف الشديد في تفسير معاني القرآن الكريم فيما بينهم، والذي أفضى إلى فساد قولهم في كتاب الله ﷻ.

كما أنه لم يَرِد عن الصَّحابة ﭫ -وهم من هم في الإيمان والتَّقوى، وصلاح القلوب والأعمال وقد اصطفاهم الله من جميع خلقه لصُحبة نبيِّه ﷺ وائتمنهم على وحيِه- ولا الأئمَّة الثِّقات من علماء المسلمين من قال بالتَّفسير الإشاري الفيضي، وكانوا يتهيَّبون ويتورعون عن القول في كتاب الله ﷻ بغير علم. ولم يصلنا أن منهم؛ من قال بكتاب الله بفهم يخالف ظاهر النص القرآني بلا قرينة صارفه، وبمعانٍ بعيدة كل البعد عن المعنى الظَّاهر، أو مخالف للغة

---

(١) جامع البيان (٧٢/١) انظر: تعليق الشيخ محمود شاكر على قول الطبري في تفسيره في معنى الظاهر والباطن في حاشية الكتاب.

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ص١١٠).

العرب، معتمدًا على خاطرٍ يرد عليه. قال الإمام الشافعي رحمه الله: "والقُرَآن على ظاهره، حتى تأتي دَلالةٌ منه أو سُنَّة أو إجماع بأنَّه على باطن دون ظاهر"(١).

ولا يَرُدّ أهل السُّنَّة التَّفسير الإشاري بالكُلِّية، وإن كان الأوْلى تسميته بالتَّفسير الاستنباطي –نسبة لاستنباطات المفسرين– ليتوافق مع أهل السُّنَّة في أصولهم، وعقائدهم، ومناهج التَّفسير لديهم؛ إلَّا أنه يستلزم توفر جُملة من الشروط لقبول هذه الاستنباطات – مع استصحاب القاعدة الكلية: أن النص يبقى على ظاهره ما لم تأتِ قرينة تصرفه عن المعنى الظَّاهر– وقد اخْتُصرت هذه القاعدة فيما يلي:

- أن يصح –التَّفسير الإشاريُّ– على مقتضى الظَّاهر المقرر في لسان العرب.
- ألا يكون له معارضٌ من نُصوص القرآن والسُّنة.
- أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.
- ألا يُدَّعى أنَّه المراد وحده دون الظَّاهر(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله في حُكم القول بالعلم الباطن الذي يَبْطُن عن أكثر النَّاس أو بعضهم الناس: "فمن ادَّعى علمًا باطنًا أو علمًا بباطن، وذلك يُخالف العلم الظَّاهر كان مُخطئًا؛ إمَّا ملحدًا، أو زنديقًا، وإمَّا جاهلًا ضالًّا"(٣).

وقال رحمه الله أيضًا: "من فسر القرآن والحديث، وتأوَّله على غير التَّفسير المعروف عن الصَّحابة والتَّابعين فهو مفترٍ على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه... وهو معلومُ البطلان بالاضطرار من دين الإسلام"(٤).

ونجد أنَّ معنى التَّأويل الصَّحيح والمقبول شرعًا عند أهل السُّنَّة هو: "صرف اللَّفظ عن الاحتمال الظَّاهر إلى احتمال مرجوح به لاعتضادِه بدليلٍ يَصير به، أغلب على الظن من المعنى الذي دلَّ عليه الظَّاهر"(٥).

---

(١) الرسالة للإمام الشافعي، ت: أحمد شاكر (ص: ٥٨٠) ط: مكتبه الحلبي – مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٤٠م.

(٢) الاتجاهات المنحرفة في التفسير لعادل الشدي (ص: ٧٠)، ط: مدار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

(٣) مجموع الفتاوى (١٢٦/١٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١٣٠/١٣ و١٣١).

(٥) روضة الناظر وجُنَّة المناظر لابن قدامة، ت: شعبان إسماعيل (٥٠٨/١)، ط: التدمرية – الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

وقال ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شأن من يُوهب فهمًا وعلمًا بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ولا يكون لغيره: أن ما يتحصل للمرء من فهمٍ للنصوص هو: فتحٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده الصَّالحين لا يفتح به على غيرهم، نتيجةً لتزكية نفوسهم واتباعهم لما يحب الله عَزَّ وَجَلَّ ويرضاه وتجنبهم لما يكره، وعملهم بما علموا[١].

ويذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى تفاوت أفهام النَّاس في فهم نصوص الشَّريعة أنَّ: "المقصود تفاوُت النَّاس في مراتبِ الفهم في النُّصوص، وأنَّ منهم من يفهم من الآية حُكما أو حُكمين، ومنهم من يفهم منها عشرةَ أحكامٍ أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرَّد اللَّفظ دون سياقِه، ودون إيمائه وإشارته وتنبيهه واعتباره"[٢].



(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ١٣١).

(٢) أعلام الموقعين (١/ ٣٩٧)

المطلب الخامس:
عقيدة الصُّوفيَّة في الجنَّة والنَّار

يعتقد الصُّوفيَّة في الجنَّة والنَّار عقائدَ شتَّى متباينة فيما بينها، أدَّت إلى أنْ يُخَطِّئ بعضُهم البعض الآخر فيما يقول ويعتقد. فمنهم من وافق أهل السُّنَّة والجماعة في قولهم، واعتقادهم، وأدلَّتهم في عقيدتهم في الجنَّة والنَّار، ومنهم من جاء بعقائدَ باطلةٍ شاذَّةٍ لم يَسبقهم بها أحد –فيما أعلم– وما أنزل الله ﷻ بها من سلطانٍ. وأسوق فيما يلي بعضًا من أقوالهم التي استقرَّ عليه مذهبهم:

• فمن غريب أقوالهم في خلق الجنَّة والنَّار قول ابن عربي بعد أن ذكر الخلاف في المسألة: "وأمّا عندنا وعند أصحابنا أهل الكشف والتَّعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين، فأمّا قولنا مخلوقة: فكرَجلٍ أراد أن يبني دارًا، فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصَّة؛ فيقال: قد بنى دارًا. فإذا دخلها لم ير إلَّا سورًا دائرًا على فضاء وساحة... وخلقها الله من تجِّلي قوله: جُعت فلم تطعمني، وظمئت فلم تسقني، ومرضت فلم تعُدني"[١]، وهذا فيما قصده بقوله مخلوقة، وأما ما عناه في قوله غير مخلوقتين: أن ما فيهما من العذاب والنَّعيم لم يخلق بعد، فهما معطَّلتان الآن. وبهذا القول يُخلي ابن عربي جهنم من العذاب الحاصل فيها وكل ما فيها، فهي خاوية من كل شيء عدا أسوارها، فهو يزعم أن عذابها يُخلق فيما بعد بحسب حال الدَّاخلين فيها، فهم والحجارة وقودها، فيُخلق العذاب تبعًا لأحوالهم وعقوباتهم. وزعم ابن عربي أن صورة النَّار كالجاموس –الحيوان– لأنَّ الله ﷻ خلقها بطالع الثور فوافقت صورتها ذلك الطَّالع[٢]. وهذه أمورٌ غيبيَّة وصلت لابن عربي وطائفته من خلال الكشف، والرُّؤى، والمعراج الصُّوفي للسموات[٣]. وهذا الأمر ينطبق تمامًا على خلْق الجنَّة والنَّعيم فيها، فهي خالية من النَّعيم الآن

---

(١) الفتوحات المكية (٤٤٩/١ وما بعدها). وهو طرف من حديث أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل عيادة المريض (٣٤١/١٦) رقم (٦٥٠١)، قال ﷺ: «إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

(٢) يقصد بطالع الثور: النجم السماوي المسمى الثور (برج الثور).

(٣) انظر: الفتوحات المكية (٤٤٩/١).

عند ابن عربي، ويأتي نعيمها تبعًا لأعمال الخلق في الدُّنيا وأحوالهم، وهي جنتان: جنَّة محسوسة: خلقت بطالع الأسد. وأخرى معنويَّة: خلقت من الفرح الإلهي[١].

أولًا: عقيدة الصُّوفيَّة في الجنّة:

يقسم ابن عربي الجنَّة إلى ثلاث جنّات:

١- جنّة الاختصاص الإلهي: وهي الجنَّة التي يدخلها الأطفال ممن لم تجر عليهم التَّكاليف، وأهل الفترة، والمجانين.

٢- جنّة الميراث: وهي الجنَّة التي يرثها المؤمنون وهي الأماكن التي خصصت لأهل النَّار لو دخلوا الجنّة.

٣- جنّة الأعمال: وهي التي يتفاضَل سُكَّانها بالدَّرجات كلٌّ بحسب حاله وأعماله[٢].

ومن الصُّوفيَّة من يعتقد أن الجنَّة هي: ثماني طبقات خُلقت من تجلِّي الله ﷻ عليها باسمه اللّطيف وهي مخلوقةٌ على الصورة المحمديّة؛ وفي كلِّ طبقة جنَّات كثيرة، وفي كلِّ جنَّة عددٌ لا يحصى من الدَّرجات. ومن أسمائها: جنَّة المجازاة، جنَّة المكاسب، جنَّة المواهب، جنَّة الاستحقاق والفطرة، جنَّة الفردوس، جنَّة الفضيلة، جنَّة الدَّرجة الرَّفيعة، جنَّة المقام المحمود[٣].

ومن أبطل ما جاءوا به في عقيدتهم قولهم: بأن إحدى طبقات الجنَّة الثَّمانية التي يسمونها: جنَّة المواهب؛ هي طبقة لا تتناهى فيها مواهب الله ﷻ وعطاياه، وهذه الجنَّة أُعدت لمن لا عمل له ولا عقيدة، ويوهب من فيها أكثر مما يوهب أهل الأعمال الصَّالحة والعقائد الصَّحيحة، وهي الجنَّة التي يدخلها أصحاب الملل والطَّوائف الأخرى من غير المسلمين، وجنّة المواهب هي أعلى من جنَّة المجازاة والتي تكون جزاء الأعمال الصَّالحة، وأعلى من جنَّة المكاسب وهي جنَّة الخُلد، والتي يكون دخولها واستحقاقها فضل محض من الله لأهل العقائد والظُّنون الحسنة[٤].

---

(١) انظر الفتوحات المكية (٤٧٨/١). وهنا نلحظ: عناية ابن عربي الشديدة بمطالع النجوم وربط كل مطلع نجم بحدث عرفاني إلهي يزعمه. انظر: كتاب مواقع النجوم لابن عربي – المقدمة.

(٢) انظر: الفتوحات المكية (٤٧٩/١).

(٣) الإنسان الكامل للجيلي (ص: ١٩٠وما بعدها). ذكر فيها أهل كل جنّة والنعيم المعد لهم.

(٤) انظر: الانسان الكامل للجيلي (ص: ١٩١).

ومن عقائدهم في الجنّة: أنها لا تطلب ولا يُرغب فيها ولا يُسعى لها، فهذا نقصٌ لا يليق بالصُّوفي، فإن غاية مراده وجُلّ سعيه هو في حصول مطلوبه الأعظم: وهو الفناء في الله ﷻ. قال أبو يزيد البِسْطامِيّ: (الجنَّة لا خطر لها عند أهل المحبَّة...)[1] بمعنى أي: لا قيمة لها عند الصُّوفي المحب، ولا تخطر على باله، ويشير الهجويري إلى معنى هذه القول: بأن الجنَّة مخلوقة وكل شيء مخلوق يحجب عن الله ﷻ فلا فائدة منه. وإنما المطلوب هو فناء المحب في محبوبه لا دخول الجنَّة وطلبها[2].

ثانيًا: عقيدة الصُّوفيَّة في النَّار:

للصُّوفيَّة في مسألة النَّار أقوالٌ كثيرة لا خطام لها ولا زمام، إنما هي أساطير وخرافات ادَّعَوْا معرفتها بالكشف، والإلهام، والرُّؤى، والمعاريج. فقد سطر الجيلي في حقيقة النَّار أقوالًا لا دليل من الشَّرع عليها، ولم تَرِد في أقوال أهل السُّنَّة والجماعة، ولا يقبلها العقل؛ ومنها:

• قوله بزوال النَّار، وأنها أمر عارض: "اعلم أنه لما كانت النَّار غير أصليَّة في الوجود زالت آخر الأمر..."، ثم شَرَعَ في وصف النَّار إلى أن قال: "ثم اعلم أن النَّار لما كان أمرها عارضًا في الوجود جاز زوالها، وإلاّ لكان مستحيلًا، وليس زوالها إلَّا إذهاب الإحراق عنها، وبذهاب الإحراق عنها تذهب ملائكتها وبذهاب ملائكتها تُرَدُّ ملائكة النَّعيم"[3].

• اعتقاده بأن النَّار تكون نعيمًا آخر أمرها. فنجده يسترسل –الجيلي– في خياله وأساطيره المختلقة، حتى يصل إلى أن النَّار تصير نعيمًا بعد أن كانت جحيمًا، وينتقل أمر عذاب أهلها إلى راحة. ويرد على عقيدته في النار من الصُّوفيَّة عبد القادر الجيلاني في مسألة فناء الجنَّة والنَّار بقوله: "وهما –أي الجنَّة والنَّار– منذ خلقهما الله تعالى باقيتان لا تفنيان أبدًا"[4]. وبقاؤهما هو بقاءٌ لطبيعة كلِّ واحدةٍ منهما، ففي الجنَّة النَّعيم المقيم، وفي النَّار العذاب الأليم.

---

(١) كشف المحجوب (١٣٧).

(٢) انظر: كشف المحجوب (١٣٧).

(٣) الإنسان الكامل للجيلي (ص: ١٨٤).

(٤) الغُنية لطالبي الحق ﷻ لعبد القادر الجيلاني (١/ ٩٤). ط: دار صادر – بيروت، بدون تاريخ طبع

• وللجيلي قولٌ آخرُ في عذاب النَّار: وهو أنَّ الله ﷻ يشمل أهل النَّار برحمته وفضله وهم فيها بعد انقضاء حسابهم: "فيفقدون الإحساس بالآلام في نفس النَّار؛ لأنَّهم ليسوا بخارجين من النَّار أبدًا، فلا يموتون ولا يحيون، فتتخدر جوارحهم بإزالة الرُّوح الحسَّاس منها"[١].

• كما تدّعي الصُّوفيَّة أنّ أهل الله -العارفين- لا يَنالهم عذاب النَّار ولا يَدخلونها، كما أنّهم لا يَرِدونَ عليها أدنى وُرودٍ، مُخالفين ما جاء في مُحكَم التَّنزيل في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾ [سورة مريم: ٧١]. ويعلّلون ذلك بأن الله لا يجمع لعبد من عباده عذابين ولا هولين، فالصُّوفيَّة قد نالوا المشقَّة والعذاب في الدُّنيا، حين كانوا يُكابدون المجاهدات، والرِّياضات في تخليص أنفسهم من حظوظ الدُّنيا، وللارتقاء في مقامات التَّصوُّف، فتلك المشقة عُوِّضَ فيها العارفُ عن عذاب الآخرة[٢]. ويخالفهم الغزَّالي رحمه الله في هذا القول مُقِرًّا بالورود على النَّار لكلِّ أحد بعد أن ذكر الآية السَّابقة، فقال: "فأنت من الوُرود على يقين، ومن النَّجاة في شك"[٣].

• يعتقد الصُّوفيَّة أن لأهل النَّار أحوال في جهنَّم: فإنهم ينتقلون بين دركات النَّار في طبقاتها، وعلى المعذب بالنَّار أن يخوض في جميع دركات الطَّبقة التي هو فيها، فالنَّار عندهم هي طبقات نتجت عن تجلِّي الله ﷻ عليها كما نتجت طبقات الجنَّة من هذا التَّجلِّي. وجعلوا النَّار سبع طبقاتٍ نتجت عن سبع تجلِّياتٍ لله ﷻ، وكل تَجلٍّ نتج عنه بابٌ لها. ويخالف أيضًا هذا القول الغزَّالي رحمه الله في كتابه الإحياء بقوله: "إنّ الله لا يظلم مثقال ذرة، فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النَّار كيفما كان، بل لكل واحد حدٌّ معلوم على قدْر عصيانه وذنبه"[٤].

• ومن عقيدتهم في النَّار: أنَّ العذاب قد يُخفَّف وقد يُشدَّد على المعذب بعد دخوله في النَّار، ومَرجع ذلك إلى إرادة الله ﷻ. وهم يُقسِّمون أهل النَّار إلى قسمين: قسمٌ يلتذُّ بعذابه كالتذاذِ المحارب في محاربته وما يجده من ألم فيها، وقسمٌ عذابه محضٌ لا لَذَّةَ فيه. وأمّا الحديث عن مآل أهل النَّار وصيرورة الجحيم إلى نعيمٍ؛ فيخبر به الجيلي في رواية معراجه السَّماوي؛ وأنّه

(١) الفتوحات المكية (١/٤٥٧).
(٢) انظر: الإنسان الكامل للجيلي (ص: ١٨٥).
(٣) الإحياء (٩/٥٨٥).
(٤) الإحياء (٩/٥٨٩).

اجتمع في معراجه الذي اختلقه بجماعةٍ من أهل النَّار، كانوا ممن يتلذذون بالعذاب فيها وتعرض عليهم الجنَّة في حالتهم تلك وهم لها كارهون -أي الجنة-[(١)]. وتَعظُم فريته على الحقِّ فيقول: "أنّ الله كلما خلق لأهل النَّار عذابًا خلق لهم قوة على تحمل ذلك العذاب"[(٢)]، وأمّا ابن عربي فيلغي مسألة العذاب بالكلية؛ نتيجة ما يعتقده في وحدة الوجود، فالنَّعيم والعذاب شيء واحد، لا فرق بينهما، فيقول في ذلك: "بل مآل الخلق جميعًا إلى النَّعيم المقيم، سواء منهم من قُدِّرَ له الدُّخول في الجنَّة، ومن قُدِّرَ له الدُّخول في النَّار، فإنّ نعيم الجميع واحد وإن اختلفت صوره وتعددت أسماؤه"[(٣)].

● ومن عجيب عقائدهم في النَّار: أنّ من أهل النَّار من هو أفضل من أهل الجنّة، وذلك لاختصاصهم بنظر الله ﷻ أثناء تجليه على النَّار[(٤)]. ويؤكد هذا الأمر قول الشبلي حين سمع قارئًا يقرأ: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٨]. "فقال: ليتني كنت واحدًا منهم" ويعلل الطُّوسي هذا القول للشبلي: بأنَّه يتمنى أن يكلمه الله ﷻ ولو كان من أهل النَّار -نسأل الله السَّلامة والعافية- فيَكفيه القرب)[(٥)].

● وأشهر عقائدهم في النَّار: أنّ العارف لا يخاف من النَّار، وإنّما يخاف الحجب عن مشاهدة الله ﷻ بدخوله النَّار[(٦)]، ولا وزن للنار عند الصُّوفيَّة؛ فمنهم من يقول: "إنّ لله عبادًا لو بزقوا على جهنَّم لأطفأوها"[(٧)]. وهذا الاعتقاد باطلٌ مخالفٌ لما جاء في نصوص الشَّرع، فهم يرون أنَّ الفرار من النَّار والخوف منها لا يناسب الصُّوفيَّ الكامل الواصل لأعلى المقامات، وأعلى درجات العرفان، فالخوف من صفات العبيد لا الأحرار. فهم يَعبدون الله ﷻ حبًّا فيه لا كما يعبده الخائفون من النَّار، الرَّاجون الجنّة.

---

(١) الإنسان الكامل للجيلي (ص: ١٨٩).
(٢) الإنسان الكامل للجيلي (ص: ١٩٠).
(٣) فصوص الحكم لابن عربي بشرح عبد الرزاق القاشاني (ص: ٤٢) ط: دار آفاق – القاهرة، ٢٠١٦م.
(٤) انظر: الإنسان الكامل للجيلي (ص: ١٨٣ وما بعدها).
(٥) اللمع (ص: ٤٩٠).
(٦) انظر: الإحياء (٥٢٦/٧).
(٧) اللمع (ص: ٤٩١).

وبهذا تقول رابعةُ العدويَّة[١] في مناجاتها لله ﷻ: "إلهي إنْ كنت عبدْتُك خوف النَّار فأحرقني بها، أو طمعًا في الجنَّة فحرّمها عليّ، وإنْ كنت لا أعبدك إلَّا من أجلك، فلا تَحرمني من مشاهدةِ وجهِك"، وقالت أيضًا حين سُئلت عن حقيقة إيمانها: "ما عبدته خوفًا من ناره، ولا حبًّا لجنَّته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا إليه"[٢]، ويُعلِّقُ الغَزَّالي رحمه الله على هذه الأقوال وما شابهها بقوله: "فمقصد العارفين كلِّهم وَصْلُه ولقاؤه، فهي قُرَّة العين... فإذا حصلت؛ انمحقت الهموم والشَّهوات كلها... فلو ألقي في النَّار لم يحس بها لاستغراقه، ولو عُرض عليه نعيم الجنَّة لم يلتفت إليه"[٣].

رد أهل السُّنَّة والجماعة على عقائد الصُّوفيَّة بالجنَّة والنَّار:

بناءً على ما ذكرنا من عقائدَ فاسدةٍ لدى الصُّوفيَّة في الجنَّة والنَّار، وما يترتب عليها من ضلالٍ وزيغٍ؛ فقد أنكر أهل العلم على القائلين بها، ورَدُّوا عليها بما يبطلها، ويبين فسادها مُستدِلِّين بنصوص الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة، ومن أقوالهم:

• قال الطَّحاوي رحمه الله في مسألة خلق الجنَّة والنَّار وعدم فنائهما: "والجنَّة والنَّار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فإنَّ الله تعالى خلَق الجنَّة والنَّار قبْل الخلْق، وخلَق لهما أهلًا، فمن شاء منهم إلى الجنَّة فضلًا منه، ومن شاء منهم إلى النَّار عدلًا منه، وكلٌّ يَعمل لما قد فُرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشَّر مُقدَّران على العباد"[٤]. وأما مسألة فناء الجنَّة والنَّار فقد جاء في الحديث الصَّحيح ما يبطل هذا الزعم؛ قال ﷺ: «يُقال لأهل الجنَّة: يا أهل الجنَّة! خلودٌ لا موت، ولأهل النَّار: يا أهل النَّار! خلودٌ لا موت»[٥]. فكيف يجتمع فناء النَّار مع خلودِ أهلها

---

(١) أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، الصالحة المشهورة، كانت من أهل البصرة وكانت مولاة لآل عتيك، من أعيان عصرها، وقد أفرد ابن الجوزي أخبارها في جزء، وكان الثوري يسألها عن مسائل ويُرغِّب في موعظتها ودعائها، توفيت سنة ثمانين ومئة، عن نحو ثمانين سنة. انظر: وفيات الأعيان (٢/٢٨٥) وتاريخ الإسلام (٤/٦١٧).

(٢) شهيدة العشق الإلهي – رابعة العدوية لعبد الرحمن بدوي (ص: ٩١). ط: النهضة المصرية – القاهرة، الطبعة الثَّانية ١٩٦٢م.

(٣) الإحياء (٨/٤١٨ وما بعدها).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٤٢٠)، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٦م.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق – باب يدخل الجنّة سبعون ألفًا بغير حساب (٤/١٦٤٨) رقم (٦٥٤٤).

فيها كما يزعم الجيلي بأنها تفنى وتصير دار نعيم؟

• وأمّا القول بأن الجنَّة والنَّار موجودتان الآن بالنَّعيم والعذاب المقدر فيهما؛ فتدلُّ عليه نصوص الشَّرع كحديث: «إنّ أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إنْ كان من أهل الجنَّة فمن أهل الجنّة، وإنْ كان من أهل النَّار فمن أهل النَّار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[1]، فهذا دليلٌ صريحٌ؛ بأنّ نعيم الجنَّة وعذاب النَّار مخلوقان وموجودان الآن، لا كما يزعم ابن عربي بأنّ الجنَّة والنَّار لم تخلق الجزاءات فيهما بعد؛ حتى يأتي الجزاء الفعلي لكل عمل.

• وأمّا قولهم بأنّ الجنَّة ذات عددٍ معيَّن من الطَّبقات، خُلقت كلُّ طبقةٍ من تجلِّي الله ﷻ عليها، وأنّ هذه الطبقات لها أسماءٌ معلومة، وحددت صفات ساكنيها وأحوالهم فهذا باطلٌ لا دليلَ عليه، فقد جاءت النُّصوص الشَّرعيَّة عامَّة، ولم يرد فيها ذاك التَّحديد الدَّقيق المفصَّل كما زعموا، قال الله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة: ١٦-١٧]. فهذا خبرٌ عام، وفيه دليلٌ على أنَّ العمل مطلوب ومرَغَّبٌ فيه وأنَّ لكل عمل جزاءً معلومًا، وإنْ جَهل المرء كيفيته ومقدار مضاعفة الله ﷻ لهذا الجزاء. وقال النَّبي ﷺ في الحديث القدسي: «قال الله ﷻ: أعددتُ لعبادي الصَّالحينَ ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلب بَشَر»[2]. وجاء كذلك في الحديث الصَّحيح أنّ درجات الجنَّة مئة، قال النَّبي ﷺ: «إنَّ في الجنَّة مئة درجة أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيل الله، ما بيْن الدَّرجتيْن كما بيْن السَّماء والأرضِ...»[3]. وهذه درجات المجاهدين فقط، ولا يعلم مدى عِظَم ما خلق الله ﷻ لعباده من نعيم الجنَّة ودرجاتها إلَّا هو ﷻ. كما جاءَتْ نصوص الكتاب الحكيم بتسمية بعض الجنان كالنَّعيم وعدن والفردوس وجنَّة المأوى وغيرها دون تفصيلٍ. وإنما جاء ذكر بعض النَّعيم المعد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز - باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (٣٢٦/١) رقم (١٣٧٩)، ومسلم، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها - باب عرض مقعد الميت من الجنَّة أو النَّار (١٩٧/١٧) رقم (٧١٤٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: يُريدون أن يبدلوا كلام الله (١٨٧٨/٤) رقم (٧٤٩٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير - باب درجات المجاهدين في سبيل الله (٦٨٤/٢) رقم (٢٧٩٠).

للمؤمنين، وأنَّهم درجات فمنهم الأبرار، والسَّابقون والمقربون وغيرهم؛ لا كما ساق الجيلي في كتابه من تفصيلاتٍ لا دليل عليها سوى ما خطر في قلبه، وكشف له في معراجه السَّماوي المزعوم[(١)].

● إنّ قول الصُّوفيَّة كالجيليِّ ومَن اتَّبعه بأنّ الله خلق جنَّة المواهب لأهل الملل والطَّوائف الأخرى من غير المسلمين؛ هو من أعظم الافتراء والكذب والضَّلال، ولا يقول به من كلٌّ يملك ذرَّة من عقلٍ، وفيه تكذيبٌ لصريح القرآن الذي بيَّن أنَّ جزاء الكافرين النَّار؛ قال الله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [سورة آل عمران:١٣١]. وقال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾ [سورة الجاثية: ٢١]. فإن كان الكافر والمشرك يُجازى في الآخرة بجنَّة المواهب بلا إيمانٍ ولا عمل يأتيه كما تدعي الصُّوفيَّة؛ فما الحاجة لإرسال الرسل، وما الحاجة للإيمان والعمل، وما هو مقياس التَّفاضُل بين البشر؟

● وأمّا مسألة عبادة الصُّوفيَّة القائمة على الحب والشوق دون الخوف والرَّجاء، كما جاء في الرِّوايات المنسوبة لرابعة العدوية وغيرها من كبار الصُّوفيَّة وسواءً صح هذا النقل أم لم يصحَّ؛ فهو من الباطل المختلق المخالف لصريح نصوص الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة ومنهج أهل السُّنَّة والجماعة في العبادات. فإنَّ الله خَلَق الخلْقَ لعبادتِه عبادةً جامعةً مُشتملةً على: معرفته، وتعظيمه، والإخلاص له، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عمَّا زجر، ومحبَّته، والخوف من عذابه وعقابه، ورجاء رحمته ومغفرته وثوابه، فبذكره تطمئنُّ القلوب وتزكو النُّفوس في الدُّنيا، وبرؤيته في الآخرة تقر العيون ويَتمُّ لها النَّعيم[(٢)]. قال الله ﷻ في ثنائه على رسله ﷩ وأتباعهم من عباده الصَّالحين: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠]. وقال أيضًا: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [سورة الإسراء: ٥٧]. وغيرها الكثير من النُّصوص الشَّرعيَّة التي امتدح الله ﷻ عباده الصَّالحين بمسارعتهم في فعل الخيرات الجالبة للحسنات؛ رجاءَ ما وعدهم به من النَّعيم المقيم، فهم يرجون ثوابه ويخشون عقابه. فالخوف والرَّجاء عند أهل السُّنَّة والجماعة هما

---

(١) انظر: الإنسان الكامل للجيلي (ص: ١٩٠ وما بعدها).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٧٢).

عمادا العبادات، والمحبَّة هي الباعثةُ لهما، وقد جاء عن بعض السَّلف: "من عبد الله بالحبِّ وحدَه فهو زنديقٌ، ومن عبد الله بالخوفِ وحدَه فهو حَروريٌّ، ومن عبده بالرَّجاء وحدَه فهو مرجئٌ، ومن عبده بالحب والخوف والرَّجاء فهو مؤمن موحد"(١). وقد ضلت الصُّوفيَّة في مسألة محبة الله ﷻ وغلبهم الجهل فيها، فالنّبي ﷺ أكرم الخلق عند الله وأكثرهم تعظيمًا وإنابةً ومحبةً لله ﷻ ومع هذه المنزلة العظيمة التي لم تكن لأحدٍ سواه؛ كان يسأل الله خشيته في الغيب والشَّهادة، ويسأله النَّعيم الدائم الذي لا ينقطع في الدُّنيا والآخرة، فكان من دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشَّهادة، وكلمة الحق في الغضب والرِّضا، والقصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النَّظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غيرِ ضرَّاءَ مُضرَّةٍ، ولا فتنةٍ مُضِلَّةٍ، اللهم زيِّنَّا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مُهتدين»(٢). فقد جمع هذا الدُّعاء الخوف والرَّجاء وختمهما بالمحبَّة والشَّوق الشرعيين. وجاء من هديه ﷺ سؤال الله ﷻ الجنَّة والاستعاذة به من النَّار في صلاته كما جاء في الحديث قال ﷺ لرجل: «كيف تقول في الصلاة ؟ قال: أتشهد وأقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: حولها ندندن»(٣). وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله في هذا الباب: "والتَّحقيق أنّ الجنَّة هي الدَّار الجامعة لكلِّ نعيمٍ، وأعلى ما فيها النَّظر إلى وجه الله"(٤)، ومن ادَّعى محبة الله فيجب عليه اتباع النَّبي ﷺ والتَّأسّي به لا أن يخالفه.

● وأما وصف النَّار والصورة التي خلقها الله ﷻ عليها؛ فقد أخبرنا الله ﷻ في وصفها: أنَّ للنَّار سبعة أبواب مقسومة، فقال تعالى ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الحجر: ٤٤]. وأنّ ملائكتها تسعة عشر ملك ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة المدثر: ٣٠]. وجاء في وصف مجيئها في اليوم الآخر، قول النَّبي ﷺ: «يُؤتى بجهنَّمَ يومئذ لها سبعون ألف

(١) أمراض القلوب وشفاؤها لابن تيميَّة (ص: ٧٤).

(٢) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الصلاة – باب الدعاء بعد الذكر (ص: ٢١١) رقم (١٣٠٦) وقال الألباني: حديث صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه – كتاب الصلاة – باب تخفيف الصلاة (ص: ١٤٠) قال الألباني: صحيح.

(٤) مجموع الفتاوى (٤١/١٠).

زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملكٍ يَجُرُّونها»[1]. وجاءت نصوص الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة في وصف حرها وشدة العذاب فيها وأنواعه. وأمّا على أي هيئةٍ هي النَّار وما صورتها؟ فلم يرد في نصوص الشَّرع ذلك، خلا الحديث الطَّويل الذي جاء في رؤية النَّبي ﷺ عروج روحه للسَّماء -ورؤى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حق-؛ والذي رأى فيها بعض عذاب أهل النَّار، حتى مرَّ على ما يشبه التنور وغيرها من المشاهد، وأوجز بعضها في قوله ﷺ أن الملكين قالا له: «أما إنا سنخبرك ، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة، وأما الرجل الذي أتيت عليه، يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر، فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرآة، الذي عند النار يحشها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم...»[2]، فجاء وصفها عامًا لا تفاصيل فيه، وما جاء في حديث الحجر الذي ألقي في جهنّم واستغرق وصوله لقاعها سبعون عامًا، وهذا من الأمور الغَيبيَّة التي لا يعلمها إلا الله جَلَّ جَلَالُهُ، ولا يقال فيها بالرأي والاجتهاد، ولا بالكشف والإلهام ورؤى البشر.

● وأما تمنّي الصُّوفيَّة للنّار حتى لا يُحرموا من رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ وسماعه؛ فهذا يُناقض العقول السَّليمة والفطرة السَّويَّة قبل النُّصوص الصَّريحة، فلا أحد يتمنى العذاب، أو يتحمله فضلًا عن أنْ يَتلذَّذَ به، كما أنّ كلامهم هذا فيه تَجَنٍّ وفريةٌ على الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الذي يخبر بعظم حال أهل النَّار وشدة عذابهم بقوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾ [سورة المعارج: ١١]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الأنعام: ٢٧]. والعديد من الآيات الكريمة التي تخبر عن شدَّة العذاب في النَّار، وهوله وعِظَم ما يُقاسيه أهل النَّار، وأنّه فوق ما يَحتمله البشر، وأنَّ أقصى ما يتمنونه هو الخروج منها، وإن لم يكن ثمَّ خروج فالتَّخفيف من العذاب قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٧]. وقال أيضًا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها - باب فِي شدة حرِّ نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين (١٧/١٧٦) رقم (٧٠٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير - باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٤/١٧٧٠) رقم (٧٠٤٧).



جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴿٤٩﴾﴾ [سورة غافر: ٤٩]. فإنْ يئسوا من كل ذلك سألوا الله الموت: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الزخرف:٧٧]. نسأل الله السَّلامة والعافية والنجاة من النَّار. وفيه بطلان قول من قال: إنَّ من أهل النَّار من يَتلذَّذُ بعذابه. كما لم يأتِ في نصوص الشَّرع، ولا في أقوال أهل السُّنَّة والجماعة، ما يدلُّ على أنّ من أهل النَّار من يُنعَّمُ، أو أنَّ في النَّار نعيمًا ولذَّةً، أو مآل النَّار إلى نعيم بعد انتهاء الجزاء كما تزعم الصُّوفيَّة، بل جميع نصوص الشَّرع تدل على أنَّ العذاب في النَّار دائم، ولا يخفف لمن كتب عليه الخلود في النَّار؛ ودليله ما جاء في الحديث الصَّحيح: «إن أهون أهل عذابًا يوم القيامة لَرجلٌ تُوضَعُ في أخمَص قدميه جمرة يَغلي منها دماغه»[1]. هذا حال أهون عذاب فكيف بمن هو أشدُّ منه؟ وجاء من أقوال العلماء ما يبطل نظرية التَّلذُّذ بعذاب النَّار التي يَدَّعيها أصحاب وحدة الوجود، قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا الكلام ونحوه من رعونات النفس، ومن الشطحات التي يجب إنكارها. فمن ذا الذي جعل وعيد الله وعدًا، وعقابه ثوابًا وعذابه عذابًا؟ وهل هذا إلا إنكار لوعيده وعذابه في الحقيقة؟ وأي عذاب أشد من عذابه نعوذ بالله منه؟ قال تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [سورة الحج: ٢]. وقال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الفجر: ٢٥-٢٦]"[2].

- وأمّا قول الصُّوفيَّة: إنَّ أهل المعرفة والتَّصوُّف لا يدخلون النَّار ولا يَرِدُونها؛ فهذا باطلٌ لم يقلْ به أحدٌ سواهم، وهو من الكذب والقول على الله ﷻ بغير علم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة النحل: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [سورة مريم: ٧١]. وهي أمانيُّ مزعومةٌ يُضللون بها أتباعهم، ليقبلوا أباطيلهم وخرافاتهم. والصُّوفيَّة كباقي المسلمين تجري عليهم أحكام الشَّريعة كاملةً في الدُّنيا والآخرة؛ فمنهم سابقٌ بالخيرات، ومنهم مقتصد، ومنهم العاصي والمذنب، ومنهم من حُكم عليه بالكفر والزَّندقة. فلكل واحد منهم جزاؤه عند الله ﷻ. فلا دليلَ على قولهم. كما أنَّ المجاهدات والرِّياضات التي يَتكبَّدونها في سبيل ترقِّيهم في مقامات التَّصوُّف، فإنّما هي باختيارهم وبمحض إرادتهم ومخالفة للنُّصوص الشَّرعيَّة، وفيها من الابتداع ما فيها، ولم يقل بها أحدٌ من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق – باب صفة الجنَّة والنَّار (١٦٥١/٤) رقم (٦٥٦١).

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم، ت: محمد الإصلاحي (ص: ٦٢٩). ط: دار الفوائد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

المسلمين عداهم. بل وجاءت السُّنة الصَّحيحة، بالتَّشنيع على فاعليها كحديث الثَّلاثة نفر الذين تقالوا عبادة النَّبي ﷺ فنهاهم النَّبي ﷺ عن المجاوزة في العبادة والالتزام بهديه ﷺ[١].

• وأما قولُهم بأنَّ في أهل النَّار من هو أفضل من أهل الجنّة، وذلك لتجلِّي الله ﷻ على أهل النَّار، فهذا والله من الدَّجل والأمنيَّات المنكرة، وفيه استهزاء بالله ﷻ وبآيته، فالنَّار هي عقوبة الله ﷻ لمن استحقها من خلقه، فلا يدخل النَّار إلَّا من سخط الله ﷻ عليه وعاقبه، وأين هم من قول الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥﴾ [سورة المطففين: ١٥]. وحجبهم هذا سخطًا من الله عليهم وعقوبة لهم لعصيانهم وكفرهم. وقوله تعالى في حق المؤمنين من أهل الجنّة: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣]. فكيف يراه أهل النَّار ورؤية الله ﷻ هي من أعظم النَّعيم الذي يُجازى به أهل الجنَّة؟

• وأمّا زعم الصُّوفيَّة: أنهم لا يخافون من النَّار وأنهم لا يبالون بها، فلا يقول بهذا إلَّا من جَهِلَ قدر الله ﷻ وضلَّ في فهم النُّصوص الشَّرعيَّة، وامتلأ قلبه تيهًا وغرورًا، واستخفافًا بأوامرِ الله ﷻ ونواهيه. وادعاؤهم أنَّ عدم خوفهم من النَّار فهو لعظيم حبهم لله ﷻ؛ فهو محضُ ادِّعاءٍ، فلا يمكن أن يكونوا أشدَّ حبًّا لله من أنبيائه وعباده الصَّالحين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ۝٢٨﴾ [سورة فاطر: ٢٨]. وما الخوفُ إلَّا أحد أركان الإيمان وأحد منازلِ العُبوديَّة العظيمة في دين الإسلام التي يتنافس فيها المؤمنون قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ۝٥٧﴾ [سورة الإسراء: ٥٧].



(١) انظر: المبحث الأول: التَّصوُّف نشأته وتطوره (ص: ٢١).



الفصل الثاني:
الطرق الصُّوفيَّة نشأتها وعقائدها

وفيه تمهيد وسبعة مباحث:

المبحث الأول: الطريقة القادرية.

المبحث الثاني: الطريقة الرّفاعية.

المبحث الثالث: الطريقة الشاذلية.

المبحث الرابع: الطريقة البكتاشية.

المبحث الخامس: الطريقة النقشبندية.

المبحث السادس: الطريقة التيجانية.

المبحث السابع: الطريقة الختمية.

التمهيد

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [سورة المائدة:٣].

كانت هذه الآيةُ الكريمةُ هي الأساسُ في بيان كمال الدّين بجميع أركانه: العقديَّة، والتّعبّديّة، والسّلوكية، وقد أقام صحابة رسول الله ﷺ ومن اتّبعهم الدينَ كما أمر الله تعالى به، واستقاموا على الطريقة الأولى التي جاءت في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، ونبذوا التّفرّق والاختلاف، وكان شعارَهم قولُ الله ﷻ: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [سورة الشورى:١٣]، وكان سبيلَهم وطريقَهم الذي ساروا عليه قولُه تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [سورة النساء:٥٩].

ثمّ خلف من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الطريقَ وتقطعتْ بهم السُّبُلُ، فصاروا طرائق شتى بعد اجتماعهم، فنشأت الفِرقُ وتفرّق المسلمون في طوائف، وركب كلُّ ضالٍ مطيّةً توافق هواه: فمنهم من جعل مطيّتَه عقلَه وقدّم العقل على ما سواه: كأصحاب الكلام، ومنهم من جعل مطيّتَه خبرَ الإمام المعصوم: كالرافضة، ومنهم من جعل مطيّتَه كشفَه وذوقَه: كالصُّوفيَّة.

ولم ينْجُ من هؤلاء إلّا من قدّم كتاب الله ﷻ وسنةَ نبيه ﷺ الصحيحةَ على كلِّ قولٍ ورأي، وجعلهما سائقه ودليله إلى الحقّ، **وهم أهل السّنّة والجماعة**.

والحقيقة أنّ الفُرقة والاختلاف لا يجُرَّانُ إلّا إلى مزيدٍ من الاختلاف والتّنافر، لذلك لا نجد الصُّوفيَّة تثبت على حالٍ واحد. فمنذ نشأت الصُّوفيَّة – كفرقة مخالفة لمنهج أهل السّنّة والجماعة – وهي في انقسام يقود إلى انقسامٍ آخر، تعقبه انقساماتٌ شتى حتى يومنا هذا. فنشأت الطوائفُ الصُّوفيَّةُ نتيجةً لتلك الانقسامات، وانتهجت كلُّ طائفة طريقةً لها في تصّوفها: إمّا مُختزَلَة من الطّرق الأخرى، أو هي بدعٌ لم تُسبق بغيرها. وكثرت أعداد الطرق الصُّوفيَّة حتى أصبح حصرُها غيرَ ممكنٍ لكثرتها وتجدّدها.

وقد آثرت الطوائفُ الصُّوفيَّة التسميةَ باسم الطّرق التي تنتمي إليها، كعادتهم في ابتداع الألفاظ وتمييز أنفسهم عن باقي المسلمين باصطلاحات خاصّةٍ بهم، في حين كانت المسمَّيَات المعروفة عند المسلمين تختلف باختلاف نسبتهم لعصرهم أو علومهم التي برعوا بها، وغيرها من المسميات المشروعة: كمسمى الأنصار والمهاجرين، والصحابة، والتابعين، والقراء، والفقهاء، والمحدثين. إلّا أنّ الصُّوفيَّة آثرت التسمّي بمسمَّيات تتعلق بسلوك كلّ طائفة وانتمائها لشخصٍ تتبعه في طريقته الخاصّة التي ينتهجها في العقيدة والعبادة والسلوك، وإنْ خالفت طريقتُه الكتابَ والسّنّةَ كما سيأتي معنا. وتحت هذا التمهيد ستة مطالب:

المطلب الأول: الطريقة.

أولًا: تعريف الطريقة لغةً:

(السّيرة. وطريقة الرجل: مذهبه. يقال: ما زال فلانٌ على طريقة واحدة، أي على حالة واحدة)[١].

ثانيًا: تعريف الطريقة اصطلاحًا:

(هي السيرة المُختصة بالسالكين إلى الله تعالى: من قَطْعِ المنازل والتّرقّي في المقامات)[٢].

وهذا التعريف عامٌّ وغيرُ دقيق في تصوّر ما آلت إليه الطرق الصُّوفيَّة في الوقت الحالي.

ويمكن بيانُ حقيقتها وتعريفُها بـ: "أنّها سيرةٌ مختصّةٌ بالسّالكين إلى الله تعالى، مشتملةٌ على الأعمال والرّياضات والعقائد المخصوصة بها، وعلى أحكام الشريعة كلتيهما، فهي أخصّ من الشريعة"[٣].

وفي تعريف معاصر للطريقة: "هي مجموعة القواعد والرسوم، التي يضعها المشايخ لبلوغ المريدين الغايةَ، مع بعضهم البعض، وغايتهم -كصوفية- هي التحقّق بالحقّ ﷻ"[٤].

ولعلّ هذا التعريف الأخير هو الأدقُّ في وصف طبيعة الطّرق الصُّوفيَّة في هذا العصر.

ويؤخذ على هذه التعاريف: ادعاءُ قائليها أنّ ما يسلكه الصُّوفيَّة من سُبلٍ، هي وسيلة للوصول إلى الله ﷻ. وهذا باطلٌ مردودٌ عليه وإنْ أُلبس لباسًا شرعيًا. فسبيل الوصول لله ﷻ قد جاء واضحًا جليًّا في كتاب الله العزيز الحكيم، وفي سنة نبيه ﷺ، وترجَمَتْهُ أقوالُ الصحابة ﭫ ومن تبعهم، وظهر جليًا في أعمالهم وأحوالهم. ولا يكون ذلك: بابتداع أعمالٍ ومجاهداتٍ ورياضاتٍ لم ترد في الشّرع، أو القولِ بأنّ للدين حقيقةً وشريعةً، قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [سورة الأعراف:٣]، وقال تعالى في وجوب لزوم ما جاء في شريعة النبي ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨﴾ [سورة الجاثية:١٨].



---

(١) لسان العرب (١٠/٢٢١).

(٢) التعريفات (ص٢١٥).

(٣) كشاف اصلاحات الفنون (٢/١١٣٣).

(٤) الموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني (ص١١١١).

المطلَب الثاني: أقسام الصُّوفيَّة.

وقبل الحديث عن الطّرق الصُّوفيَّة وتعدادها، يجدرُ بنا التّعريج على أقسام الصُّوفيَّة، فقد اختلف المتقدّمون في أقسام الصُّوفيَّة، فهم ليسوا على حالٍ واحدة، فمن تقسيماتهم:

أولًا: من قسّم الصُّوفيَّة إلى ثلاثة أقسام، وقول الهُجْويري والسُّهْرَوَرْدِيّ أنهم ثلاثة أقسام: الصوفي – المتصوف – المتشبه بالصوفية.

١- **الصوفيّ:** عند الهُجْويري: من فني عن نفسه وعاش بالحقّ، وهو من نجى من قبضة الطبائع واتّصل بحقيقة الحقائق. وعند السُّهْرَوَرْدِيّ هو: صاحب الذّوق.

٢- **المتصوّف:** عند الهُجْويري هو من يحاول الوصول إلى مقام الصّوفي عن طريق المجاهدات، مُحْتَذيًا بالصّوفي. وهو صاحبُ العلم، المتطلعُ إلى حال الصّوفي.

٣- **متشبه بالصُّوفيَّة:** فهو عند الهُجْويري من يتشبّه بالصُّوفيَّة؛ من أجل المال والثّروة والجاه والعَرَض الدِّنْيَوِيّ، وليست له معرفةٌ بالصُّوفيَّة والتّصوف، وعند السُّهْرَوَرْدِيّ هو صاحب الإيمان، وهو من اختار التشبه بهم في سلوكهم دون غيرهم من الطوائف محبةً لهم، وإن كان مقصِّرًا في القيام بما يقومون به، إلّا أنّه معهم محبةً لهم. فأوّل التصوف إيمانٌ، ثم علمٌ، ثم ذوقٌ.

فجعلَ السُّهْرَوَرْدِيّ المتصوفَ بمنزلة بين المنزلتين: منزلةِ الصوفي الذي وصل إلى غاية التصوف، والمتشبّهِ الذي لازال يتخبط في ظلمة النفس مع حبّه للصّوفية(١).

وكذلك قسّمهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى ثلاثة أقسام:

١- صوفيّة الحقائق: وهم المجتهدون في طاعة الله تعالى، وتجري عليهم أقوال العلماء في المجتهدين: فمنهم سابقٌ مُقرَّب، ومنهم مُقتصد، ومنهم ظالم لنفسه، كما كان الحال في الصُّوفيَّة الأوائل.

٢- صوفية الأرزاق: فهم الذين وُقِفَتْ عليهم الوقوف، وأصبح التصوف مصدرًا لمعاشهم.

٣- صوفية الرّسوم: وهم الذين اقتصروا على إظهار التّصوف في لباسهم وهيئاتهم(٢).

نجد في جميع التقسيمات السابقة دلالةً واضحةً على أنّ المنتسبين للتصوف يتفاوتون في درجاتِ تصوّفهم، وغاياتِهم من التصوف، وتحقيقِهم لمعنى التّصوف الذي يدّعونه. وهذا ما سيظهر معنا.

---

(١) انظر: كشف المحجوب (ص٥٥). وعوارف المعارف (١/٧٧ وما بعدها).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/١٤).

ثانيًا: وهناك من قسّم الصُّوفيَّة إلى أربعة أقسام:

١- العامّةُ: لهم من علوم الشريعة ظاهرُها، ويقال له «علمُ الرُّسوم»، ولا يكون إلّا بالتّعلم والتّعليم، يُكشف له الحلال والحرام منه.

٢- الخاصّةُ: لهم من علوم الشريعة باطنُها، ويسمّى: «علمَ الباطن وعلمَ التأويل»: وهو الاطلاع على حقيقة المُراد من الرّسم. ويُدرك علم الباطن بهداية الله ﷻ لا بالعلم والتّعَلُّم.

٣- خاصّةُ الخاصّة: لهم من علوم الشّريعة علمُ الإلهام والعلمُ اللَّدُنّيّ والوهبيّ، ويحتوي على معانٍ لا يقدر أنْ يعبّر عنها من اطّلع عليها، وهو «عِلْمُ النّبوّة»، الذي لا يجوز كشفه ولا إذاعته ولا ادّعاؤه.

٤- خواصُّ الله تعالى في أرضه، ورحمتُه في بلاده وعلى عباده، وهم الأقطاب والأبدال والأوتاد وغيرهم، لهم من علوم الشريعة، ولهم علم خاصٌّ: وهو علم متضمّن لما وراءه من العلوم، ولا يقدر على وصفه أحدٌ، ولا يعلم ماهيته أحدٌ، بل لا ماهية له، وهو «علم الرسالة»[(١)].



المطلَب الثالث: نشأة الطرق الصُّوفيَّة.

لقد ذمّ الله تعالى الافتراق والاختلاف في آياتٍ كثيرة، لسوءِ تبعاته وشرِّ آثاره على الأفراد والمجتمعات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]. فالافتراق هو: "الخروج عن السّنّة والجماعة في أصل أو أكثر من أصول الدين الاعتقادية منها أو العملية"[(٢)].

فلما خالفت الصُّوفيَّةُ أصولَ أهل السّنّة والجماعة في كثير من عقائدهم وعباداتهم، واتخذت لنفسها مرجعيّةً دينيّةً مخالفةً لما جاء في الكتاب والسّنّة الصحيحة: من كشف وذوق واتباعٍ لشيوخهم، وخالفوا الصُّوفيَّة الأوائلَ في وصاياهم بلزوم الكتاب والسّنّة **نشأت فيهم الجماعاتُ المخالفةُ البِدَعيّة، والتي انتظمت فيما يسمى «الطرق الصُّوفيَّة في القرن الخامس**

---

(١) انظر: روضة التعريف بالحب الشريف، للسان الدين بن الخطيب، ت: عبد القادر أحمد عطا (ص٤٣٢،٤٣٠)، ط: دار الفكر العربي – بدون تاريخ طبعة.

(٢) دراسات في الأهواء والفرق والبدع لناصر العقل (٢٣/١)، ط: دار اشبيليا- الرياض، الطبعة الثانية (٢٠٠٢م).

الهجري»، وقيل في هذا المعنى: "إنما دَخلتها – أي الصُّوفيَّة – المفاسدُ وتطرقتْ إليها البدعُ من جهة قومٍ تأخّرت أزمانهم عن عهد ذلك السلف الصالح، وادّعَوا الدخولَ فيه من غير سلوك شرعي ولا فهم لمقاصد أهلها... حتى صارت في هذا الزمان الأخير كأنها شريعة أخرى غير ما أتى بها محمد "ﷺ[١].

وقيل إنّ أول من وضع نظام الطُّرق الصُّوفيَّة كمنظمةٍ ذاتِ أُسس وقواعد، تقوم على التسلسل والخلافة المتوارثة؛ هو الصُّوفيُّ الإيرانيُّ محمّد أحمد الميهني[٢]، فانتقلت الطُّرقُ الصُّوفيَّة من إيران إلى المشرق العربي، فظهرت الطّرق في العراق ومصر، وانتشرتْ من خلالها إلى باقي دول العالم الإسلامي[٣].

وجاء ذكر الطرق الصُّوفيَّة قبل ذلك كمنهج علميّ من خلال ما صنّفه علماء الصُّوفيَّة الأوائل: كالطُّوسي والقُشَيْري والهُجْويري وغيرهم، من وصايا وآداب يجب أن يتحلّى بها المريد مع شيخه ورفقائه، ووضعوا مناهج لأحوال وسلوك العارفين، دون الانتساب لطريقة محدّدة.

وقد بوّب القُشيري في رسالته: (باب ذكر مشايخ هذه الطريقة). ويقصد بها الطَّريقة الصُّوفيَّة دون تحديد اسم.

وذكر الهُجْويري عددَ الطُّرق الصُّوفيَّة في بداية نشأتها، وأنّها انقسمت إلى اثنتي عشرة فِرقة: "منها اثنتان من أهل البدع – يعني بها الحلولية: الذين يذهبون إلى الحلول والامتزاج، والحلّاجية: الذين خرجوا عن دائرة الشرع– وعَشَرَةٌ صادقةٌ. وكلُّ واحدة من العشرة لها طريقة كاملة، ومذهب دقيق في المجاهدات والمشاهدات"[٤]. وكانت هذه الطُّرقُ الاثنتي عشر مدارسَ بأسماء علماء الصُّوفيَّة الأوائل كالجُنَيْدِيّة والـمُحاسِبيّة والطَّيْفُوريّة وغيرها.



---

(١) الاعتصام للشاطبي، ت: محمد الشقير (١٥١/١). ط: دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٤١هـ

(٢) أبو سعيد، فضل الله بن أبي الخير محمد بن أحمد الميهني، الصوفي، القدوة، الزاهد، شيخ خراسان. قيل كان: أشعريًّا صوفيًّا، له كراماتٌ وأحوالٌ. توفي: بقريته ميهنه سنة أربعين وأربع مئة، وله تسع وسبعون سنة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦٢٢/١٧)، وطبقات الشافعية (٣٠٦/٥).

(٣) انظر: الفكر الصوفي (ص٣٤٩) ط: جمعية إحياء التراث الإسلامي– الكويت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م. جاء اسم الميهني مُصحفًا فيه إلى الميهمي وتبعه آخرون في ذلك.

(٤) كشف المحجوب (ص١٦٠ و٢٠٥).

المطلَب الرّابع: أسباب نشأة وظهور الطّرق الصُّوفيَّة.

كان لنشأة الطرق الصوفية أسباب أدت لظهورها وانتشارها، ومنها ما يلي:

١- عدم الالتزام بتعاليمِ الكتاب والسّنّة وفهمِ السلف الصالح لنصوص الشرع.

٢- الإحجامُ عن طلب العلم الشرعي الصحيح، وأخذُ العلم من الأصاغر دون الراسخين في العلم.

٣- العملُ بالأحاديث الضعيفة والمكذوبة، وتصحيحُها واختراعُها ونشرُها بدعوى الرُّؤى والهواتف.

٤- القول في كتاب الله تعالى وسنّة نبيه ﷺ بلا علم ولا أصول شرعية، كقولهم: «بالتفسير الإشاري»، و«الحقيقة والشريعة»، و«تأويل النصوص بما يتوافق مع أهوائهم ومعتقداتهم».

٥- مخالطةُ أهل الضّلال من: الباطنية وأهل الكتاب والفلاسفة، والأخذُ منهم وترجمةُ كتبهم، فقد عُرف بعض الصُّوفيَّة بكثرة استرشاده بأقوال أهل الكتاب: كأبي عثمان المكي في (قوت القلوب).

٦- التقليد الأعمى لأشياخ الطّرق والانصياع لأقوالهم، دون النظر بعين البصيرة والعلم.

٧- ادعاء الكشف والإلهامِ والهواتف، والاعتماد على الرّؤى والمنامات في التشريع.

٨- الغلوّ في الأشخاص والتّعصب المذهبي للطريقة، واختراع الكرامات والمبشرات لهم.

٩- ادّعاء الخيريّة في هذه الطّرق، والقول بالنّجاة من النار وضمان الجنّة للأتباع، من خلال نسج الخُرافات، والأساطير، عن طريق المنامات، والهواتف، والمعاريج التي تبشّر بذلك.

١٠- اتباعُ الهوى، وحبُّ الدنيا والمال والرئاسة والشهرة، فقد اغتنى منتسبو الطُّرق من النُّذور والصّدقات التي تُخَرَجُ من قبل المريدين والزائرين للأضرحة والمزارات، وحصلوا على المكانة الدينيّة والاجتماعية المرموقة التي تكون لشيخ الطّريقة ونوّابه وأتباعه.

١١- البطالةُ والتّواكلُ والكسلُ، بتسهيلِ الأوقاف التي توقف للطُّرق، وبناءِ الخانقاوات والزّوايا والرُّبُط[١]، وتوفيرِ سُبُل المعاش فيها للمريدين؛ التي شجعت كثيرًا من الكُسالى على الالتحاق بهذه الطرق.

---

(١) الخانقاوات سبق تعريفها (ص١٧). والرُّبُط جمع رباط: وأصله المكان الذي يرابط فيه المجاهدون في سبيل الله في الثغور، ثم بعد ذلك استخدم عَلَمًا على بيت الصُّوفيَّة ومنزلهم، انظر: الخطط المقريزية (ص٥٦٧ و٦٠٠). والزوايا جمع زاوية وهي: ركنٌ في مسجد أو دارٌ مستقلةٌ تُقام فيها الصّلاة، وتعقد حلقات الدرس والذكر. انظر: الموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني (ص١٠٠٧).

١٢- دعمُ بعض الدّول لهذه الطّرق لخدمة مصالحهم ورُؤاهُم السياسية والاقتصادية. ويظهر هذا جليًّا من خلال اهتمامِ أمراء دولة المماليك بالطرق الصُّوفيَّة ومنتسبيها، والعنايةِ الشديدة التي أولاها المستشرقون لدراسة التّصوف سابقًا، وحفاوةِ المؤسسات الدّولية بأقطاب التّصوف في العالم الإسلامي في الوقت الحالي.

١٣- سيطرةُ الطّرق الصُّوفيَّة في بعض الدول الإسلامية على المؤسسات والمراكز العلميّة، ممّا أدى إلى تعزيز مكانتها وانخراط بعض منتسبي تلك المؤسسات في الطرق الصُّوفيَّة[١].



المطلَب الخامس: أثر الطرق الصُّوفيَّة على الإسلام والمسلمين.

ترتبط الآثار التي نجمت عن انتشار الطُّرق الصُّوفيَّة في المجتمعات الإسلامية ارتباطًا وثيقًا بأسباب نشأتها، فكلُّ سبب أدّى إلى نشأتها كان له عظيم الأثر على الأفراد والمجتمعات الإسلامية، فمن آثارها:

١- نشرُ العقائدِ الباطلة التي تعتقدها هذه الطّرق: كعقيدة الاتحاد والحلول، ووحدة الوجود، والحقيقة المحمدية، وعقائدهم الفاسدة في الأولياء والقرآن وغيرها، والدّعوةُ لوحدة الأديان والتّسامح الدّيني الناتج عن القول بوحدة الوجود.

٢- صرفُ العبادة لغير الله تعالى، ونشرُ الأعمال والأقوال الشّركية: كالطواف بالقبور والأضرحة، والذبح والنذور لها، والتوسل بالأولياء، والاستغاثة بالأموات والأقطاب، ودعائهم. وقد يصل الأمر بسفهائهم أن يسجدوا لهم، كما جاء في فعل بعض جُهّال الصُّوفيَّة في مصر عند ضريح السيدة نفيسة[٢] الذي يَدْعونه ويقيمون عنده الموالد[٣].

---

(١) انظر: الطرق الصُّوفيَّة لعبد الله السهلي (ص١٥ وما بعدها)، ط: كنوز أشبيليا-الرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

(٢) نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كانت من الصلاح والزهد على الحدّ الذي لا مزيد عليه، وَلِيَ أبوها المدينةَ للمنصور ثمّ عزله، وتحولت هي من المدينة إلى مصر مع زوجها الشريف إسحاق بن جعفر بن محمد الصادق، ثم توفيت بمصر، في شهر رمضان، سنة ثمان ومائتين، غَلَتْ فيها الصُّوفيَّة وزعموا أنّ الدعاء عند قبرها مستجابٌ، وهذا من البدع والخرافات. انظر ترجمتها في: سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٦)، والدر المنثور في طبقات ربات الخدور، لزينب العاملي (ص٥٢١).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٦).

٣- انتشارُ الجهلِ والبطالةِ والخرافاتِ في المجتمعات التي تستحوذ عليها الطُّرُق الصُّوفيَّة، وقيل: "مذهب الصُّوفيَّة بطالةٌ وجهالةٌ وضلالةٌ، وما الإسلام إلّا كتابُ الله وسنّة رسوله"(١)، ومنها ما ذكره ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعقيبه على صاحب كتاب حلية الأولياء فقال: "ذَكَرَ أشياءَ عن الصُّوفيَّة لا يجوز فعلُها، فربما سمعها المبتدئُ القليلُ العلم فظنَّها حسنةً فاحتذاها"(٢). وهذا دليلٌ على تمَكّن الجهل من منتسبي الصُّوفيَّة فهم لا يتثبّتون من الأخبار المنقولة إليهم.

٤- صرفُ النّاس عن القرآنِ الكريم والسّنّةِ الصّحيحة والعلمِ الصحيح، وفتحُ باب التأويل الباطني في نصوص الكتاب والسّنّة.

٥- تعبيدُ الناس لغير الله ﷻ، وذلك بإلزامِ المريدين طاعة شيوخ الطريقة طاعةً عمياء في كلّ ما يقولون، والانقيادِ التّامّ لهم ولأفكارهم، ويُحرّجون عليهم الانتماء إلى غير طريقتهم، قال القشيري: "ويقبُح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب منْ ليس مِن هذه الطريقة"(٣).

ومن أقوالهم في أدب المريد مع شيخه: "فاللّازم في حقّه أن يُلقي نفسه بين يديه كالميّت بين يدي غاسله لا اختيارَ له ولا إرادةَ ولا عطاءَ له ولا إفادةَ"(٤).

٦- صرفُ النّاس عن الأذكار الصحيحة: بابتداعِ أذكارٍ وأحزابٍ وأورادٍ باطلة لكلّ طريقة، وإلزامِهم بها، وترتيبِ الأجور العظيمة عليها، وإقامتِها بطقوس معينة(٥).

٧- الاستعانةُ بالجنّ والشياطين في الإخبار بالغيب وما في الأَنْفُس، وفي تحقيق كراماتهم المزعومة: كالإتيان بطعام ليس في حينه أو ليس من نتاج البلد. كما يلجئون لهم في السحر والشعوذة.

٨- التّعلّقُ بالخرافات، من خلال القصص والروايات المكذوبة في أوليائهم.

٩- تفريقُ وتشتيتُ المسلمين، وتمزيقُهم إلى أحزابٍ وجماعات، وذلك بانتسابهم لطرقٍ شتّى منقسمة.

١٠- الطُّرُقُ الصُّوفيَّة ثغرةٌ عظيمة في الجسد الإسلامي، ينفذ من خلالها أعداءُ الإسلام(٦)، فقد أُخذ على علماء الصُّوفيَّة عدمُ نُصرة المسلمين، وعدم ذكر أحوال المسلمين

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (١٤/١٢٥).

(٢) كتاب صفة الصفوة لابن الجوزي، ت: خالد الطرسوسي (ص٢٧)، ط: دار الكتاب العربي- بيروت (٢٠١٢م).

(٣) الرسالة القشيرية (ص٥٧٢).

(٤) الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية لمحمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي (ص١٢٦)، الطبعة: الأولى (١٩٧٣م).

(٥) سيأتي تفصيل الأذكار الصُّوفيَّة في الفصلين التاليين بإذن الله.

(٦) انظر: الطرق الصُّوفيَّة لعبدالله السهلي (ص٩٩ وما بعدها).

وويلاتهم التي عاشوها في حروبهم مع أعداءهم في مؤلفاتهم[١].

فمّما مرّ معنا آنفًا يتّضح لنا:

الخطرُ العظيمُ الذي أحاط بالمجتمعات الإسلامية جرّاءَ نشأة الطّرق الصُّوفيَّة، وأدى إلى إضعاف الأمة الإسلامية، وفُشُوُّ الجهل والبطالة فيها، وتمزيقُ لُحمتها إلى طوائف متعددة المشارب والعقائد.

وسيأتي لاحقًا مزيدُ بيانٍ لأكثر الطرق الصُّوفيَّة أتباعًا وأوسعها انتشارًا في العالم الإسلامي، والتي تعدّ أمهاتِ الطّرق الصُّوفيَّة، ومنها انقسمت وتعددت باقي الطرق والتي تبلغ الآلاف في شتى بقاع العالم، وقيل إن أعداد الطرق الصُّوفيَّة بأعداد المشايخ المنتسبين لها[٢].



المطلَب السادس: اصطلاحات ومفاهيم.

وقبل الشروع في ذكر الطّرق الصُّوفيَّة يجدر بنا التّعريج على أهم المصطلحات المتداولة في هذه الطّرق، وتُعتبر من الأصول التي تقوم عليها، ولا يسعنا إلّا معرفتُها والإلمامُ بها لتتضح لنا الصورة كاملة:

١- الخرقة والمُرقّعات:

الخرقة هي: (القطعة من خِرَقِ الثوب، والخرقة المزقة منه. وخرّقت الثوب إذا شققته)[٣].

والمُرقّعات جمع مرقّعة هي: (ما يرقّع به الخرق أو القطع)[٤] في الثياب، والمُرقّعات: هي من لباس الصُّوفيَّة الذي اشتهروا فيه من قبل، ولقد قلّ أو انعدم لُبْسُ المرقّعات في الوقت الحالي عدا ما يلبس في المناسبات والاحتفالات والموالد الصُّوفيَّة وهي تعبير يرمز للصوفية وللزينة فقط.

والمُرقّعات هي: (شعار الصُّوفيَّة، وزينة الأولياء، وعزّ العامة، وذلّ الخاصّة)[٥]، ويعني بذلك أنّها عزّ للعامّة حيث يحترمهم الناس ويوقروهم بسبب لُبْسها، بينما هي ذلّ للخاصّة؛

(١) انظر: هذه هي الصُّوفيَّة لعبد الرحمن الوكيل (ص٢٢٢)، ط: مكتبة ابن عباس - القاهرة (٢٠١٦م).

(٢) انظر: الموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني (ص١١١١).

(٣) لسان العرب (١٠/٧٣)

(٤) المعجم الوسيط (١/٣٦٥).

(٥) كشف المحجوب (ص٦٥ وما بعدها).

لأنهم يشبهونهم بالعامّة ويساوونهم بهم ويلومونهم عليها.

وقيل: سميت الخرقة خرقة: لأنّ الشبلي كان أوّلَ من لَبِسها، وكان كلما لبس شيئًا خَرَقَ فيه موضعًا ليعيبه فلا يتكبر، فقلّده أتباعُه فكانوا يخرِقون ثيابهم، ثم اشتهرت الصُّوفيَّة بلُبْس الخِرَق والمُرقّعات.

ولُبْسُ الخِرقة هو ارتباط بين الشيخ والمريد، وتحكيم من المريد للشيخ على نفسه، فيسلم نفسه إليه، ويستسلم لرأيه، ويعمل به في جميع تصاريفه، فهو كالولد بين يدي والده. وفي لُبْس الخِرقة معنًى للمبايعة التي تتمّ بين الشيخ وأتباعه، والخِرقة نوعان: خرقة الإرادة: وهي للمريد الحقيقي، وخرقة التبرك: وهي للمتشبه بالصُّوفيَّة. وبلباس هذه الخرقة ينالُ المريدُ بركةَ شيخه حين يتناولها من يده أو يُلْبِسُه إيّاها، ومن خلال إلباسها للمريد يَنْفُذُ الشيخ ببصيرةٍ إلى باطن المريد فيعلمُ ما يحتاج إليه في سبيل الترقي في مقامات التصوف[١].

ويدّعون أنّ لبس الخِرَقْ هو من سنة النبي ﷺ، مستدلين بالحديث الصحيح والذي يقول: «أتي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: من ترون نكسو هذه؟ فسكت القوم، قال: ائتوني بأم خالد[٢]، فأُتي بها تُحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: أبلي وأخلقي»[٣]. وباستدلالهم في هذا الحديث يقيسون إلباس النبي ﷺ الخميصةَ لأمّ خالد رضي الله عنها بإلباس الشيخ الخرقة للمريد، وهو قياسٌ فاسدٌ لا صحّة فيه. ولهم في لُبس الخرق أسانيد مكذوبة يصلونها بالصحابة رضي الله عنهم والنبي ﷺ.

ومن الصُّوفيَّة من لا يلبس الخرقة، ولا يلزم بها مريديه، قال السُّهْرَوَرْدي: (فمن يلبَسُها – أي الخرقة والمرقعات– فله مقصدٌ صحيحٌ، ومن لا يلبسها فله رأيه، وكلُّ تصاريف المشايخ

---

(١) انظر: عوارف المعارف (١٠٨/١)، ولطائف الأعلام للقاشاني (٣٦٦/٢)، والموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني (ص ٩٣٦و ٩٣٨).

(٢) هي أمُّ خالد، أَمَةُ بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أميَّة بن عبد شمس الأمويَّة، مشهورة بكنيتها. ولدت بأرض الحبشة، وقُدِمَ بها إلى المدينة وهي صغيرة، ثم تزوجها الزُّبير بن العوّام فولدت له عمرًا وخالدًا. روى عنها: موسى وإبراهيم ابنا عقبة، وسعيد بن عمرو بن العاص، وعبيد الله بن عمر. انظر ترجمتها في: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٨٦/٨)، وأسد الغابة لابن الأثير (٢٢/٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس – باب الخميصة السوداء (١٤٨٦/٤) رقم (٥٨٢٣).

محمولةٌ على السداد والصواب)[١].

ردّ أهل السّنّة والجماعة على القول بشرعية لبس الخرقة:

أنكر أهل السّنّة والجماعة على الصُّوفيَّة لباسهم للخرق والمرقعات، وادعائهم نسبة ذلك للنبي ﷺ وللصحابة ﵃، وقد استشنعوا هذا الصنيع منهم، فهو يُعَدُّ من لباس الشّهرة ويدخل فيه مراءاةُ الناس بادّعاء الزهد والفقر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: "وأمّا لباس الخِرقة التي يلْبَسُها بعضُ المشايخ المريدين، فهذه ليس لها أصلٌ يدلُّ عليها دلالةً مُعتبرةً من جهة الكتاب والسّنّة". وليس في الحديث الذي يستدلون به دليل على الوجه الذي يفعلونه[٢].

وأنكر ابن الجوزي: عليهم لبس الخرق والمرقعات لأمورٍ أربعة:

أ- أنها ليست من لباس السلف ولم تُؤثر عنهم، وإنما كانوا يرقعون ثيابهم للحاجة والضرورة ولشدّة فقرهم.

ب- أنّ في لبس الخِرق والمُرقّعات ادعاءَ الفقر والعَوَز، والواجب على الإنسان إظهار نعمة الله تعالى عليه.

ت- فيه إظهارُ ما ليس بالإنسان كالزّهد وترك الدنيا، وقد أُمرنا بستر ذلك.

ث- فيه تشبُّهٌ بأهل البدع المتزحزحين عن الشّريعة، ومن تشبّه بقوم فهو منهم[٣].

٢- الخَلْوَة أو الأربعينية:

ويعرفها الصُّوفيَّة بأنّها: (محادثةُ السّرِ مع الحقّ حيث لا أحدٌ ولا مَلَكٌ)[٤]. وتُعَدُّ الخلوة أو العُزلة أهمَّ مقومات التّصوف، وقد قام بها الصُّوفيَّة منذ بداية نشأة التصوف، وكانت من وصاياهم لبعضهم البعض، قال القشيري فيها: (ولابُدَّ للمُريد في ابتداء حاله من العُزلة عن أبناء جنسه، ثمّ في نهايته من الخلوة؛ لتحقُّقِه بأُنسه)[٥]، وقال ذا النون المصري: (لم أرَ شيئًا أبعث للإخلاص من الخلوة)[٦].

---

(١) عوارف المعارف (١/١١٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٢٧٨).

(٣) انظر: تلبيس إبليس (ص١٨٣).

(٤) التعريفات (ص١٦٤).

(٥) الرسالة القشيرية (ص١٧٦).

(٦) الرسالة القشيرية (ص١٧٨).

وتعتبر الخلوة هي: أوّلُ سُلّم الوصول للغاية التي يرجوها الصّوفي، وهي الفناء في الله ﷻ، وهي وسيلة الحصول على الكشف وبلوغ درجة الولاية، والاطلاع على الأمور الغيبية.

وقد تكون خلواتهم في الزوايا أو الخرائب أو السياحة في الأرض وسكنى الصحاري والكهوف، ويستدلون على وجوب الخلوة بتحنّث النبي ﷺ في غار حراء قبل البعثة.

وأمّا تحديدهم للخلوة بأربعين يومًا فيتخذونه من قصة موسى عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة البقرة:٥١]. ومروياتهم في ذلك كثيرة لا تحصى.

ويُرد على هذه الاستدلالات بالآتي:

• أما تحنّث النّبيّ ﷺ فلم يكن هو عن أمرٍ شرعيّ أَمَرَهُ الله سبحانه وتعالى به، ولم يتعبدنا الله ﷻ سبحانه وتعالى به بعد بعثة النّبيّ ﷺ؛ بل جاءت النصوص الشرعية التي تنهى عن الوحدة واعتزال الناس[١]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإنّ ما فعله ﷺ قبل النّبوّة: إن كان شرعه بعد النّبوّة فنحن مأمورون باتّباعه فيه، وإلّا فلا. وهو من حين نبّأه الله سبحانه وتعالى لم يصعدْ بعد ذلك إلى غار حراء ولا خلفاؤُه الرّاشدون"[٢]، وفي فعل النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم ما يدلّ على عدم مشروعية فعل الصُّوفيَّة وبطلان استدلالهم.

إلّا أنّ هناك نوعًا مشروعًا للخلوة كالاعتكاف في شهر رمضان، وخلوة العبد بربه يناجيه ويسأله ويذكره بالذكر المشروع: كتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل المسنون.

ولا يكون لهذه الخلوة أماكن معينة كما تدّعي الصُّوفيَّة؛ بل قد يخلو المرء في داره ومسجده أو في أيّ مكان مناسب.

• أما تحديدُهم للخلوة بأربعين يومًا اقتداءً بفعل نبي الله موسى؛، وتعظيمُهم للأربعينية، فلا دليل عليه في شرعنا إنّما هو في شريعة موسى؛، وهي منسوخةٌ بشريعة نبينا محمد ﷺ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: في تأثير هذه الخلوات غير المشروعة في فساد العقل وذهابه: "وقد جُرّبَ أنّ من سلك هذه العبادات البِدَعية أتته الشياطين، وحصل له تنزّل شيطاني، وخطاب شيطاني"[٣]. فنجد أنّ هذه الخلوات - نتيجة ما يحصل فيها من بدع مخالفة للحق - تكون وبالًا

---

(١) انظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصُّوفيَّة لسعيد القحطاني (ص٦٤٤). فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٧).

على أصحابها، فتعتريهم الخيالات والأوهام حتى يظنّ أحدهم أنّ الله ﷻ يخاطبه كفاحًا.

٣- سلسلة الطريقة:

هي: (بمثابة شجرة النسب، تحدد أسلاف صاحب الطريقة من الصُّوفيَّة)[١]. وتسمى السلسلة نسبة إلى من تنتهي إليه: كالسلسلة الأدهمية نسبة لإبراهيم بن أدهم، والسلسلة الطيفورية نسبة إلى أبي يزيد طيفور البسطامي، وهكذا.

ولكلّ طريقة سلسلةٌ تُنسب إليها، وتتلى هذه السلسلة حين دخول المريد للطريقة وأخذ العهد عليه بالتزام الطريقة.

وجُعلتْ السلاسلُ الصُّوفيَّةُ من أجل تثبيت مصادرِ الصّوفي وجهة تلقيه هذه الطريقةِ والسّرِ عن شيخه أو القيّم أو الإمام[٢].

ويرد على هذا القول:

أنّه لا صحة لأسانيد هذه السلاسل التي تدّعيها الطريقة؛ لاحتوائها على كثير من المجاهيل، كما يظهر فيها الكذب والافتراء على نبي الله ﷺ وعلى صحابته ﭫ، فجميع سلاسل هذه الطرق تنتهي إمّا بالنبي ﷺ وإمّا بأحد أصحابه والتابعين ﭬ، وهي ممّا لا يثبت ولم يقل به أحدٌ من أهل العلم ﭭ ولا سند صحيح لها يُعرف.

كما أنّ الأصل في هذه الطّرق واتّباعها هو أمرٌ بِدعي لم ترد به نصوص الشرع، فيأخذ كلُّ ما يتبع هذه الطرقَ حكمَها، فإن الدين عند الله ﷻ الإسلام، وأصل الإتباع أن يكون للنبيّ ﷺ وخلفائه الراشدين، والمقبول عند أهل السّنّة والجماعة هي الأسانيد الموصولة الثابت رواتها، والتي يثبت فيها التلقي للأحاديث النبوية، وهي مما حفظ الله ﷻ به الشريعة.

٤- السّجَّادة:

(من المصطلحات الصُّوفيَّة وهو: من يستقيم على الشّريعة والطّريقة والحقيقة، ومن لم يكن كذلك لا يسمى سجادة إلّا رسمًا ومجازًا)[٣]. ويقصدون بها: الجهة التي يلتزمها الصّوفي في المسجد أو الرباط أو الزاوية، وزاوية كلّ واحد هي همّه الذي يختصّ به، ولكلّ واحد منهم همٌّ

---

(١) انظر: الموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني (ص١٠٣٦).

(٢) انظر: الموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني (ص١٠٣٦).

(٣) الموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني (١٠٢٦).

مختلف. وأصبحت هذه السجادة هي مما يميّز الصُّوفيَّةُ به أنفسهم عن غيرهم، فهم يجتمعون على سجادة واحدة، ولا يتعدى أحدهم على سجادة الآخر[١].

ويُردُّ على هذا القول:

بأنه لم يأتِ في نصوص الشرع هذا اللفظ بهذا المعنى، ولا أصل له؛ بل جاء النّهيُ عن التزامِ الرجلِ المكانَ في المسجد يُصلي فيه، فقد ورد عن النبي ﷺ النهيُّ عن: «أن يوطن الرجل المكان في المسجد كما يوطن البعير»[٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ليس لأحد من الناس أن يختص بشيء من المسجد بحيث يمنع غيره منه دائما، بل قد نهى النبي ﷺ عن إيطان كإيطان البعير، قال العلماء: معناه أن يتخذ الرجل مكانًا من المسجد لا يصلى إلّا فيه"[٣]، وقال ابن حجر: "وحكمته – يعني: اتخاذ الرجل مكانًا من المسجد- أنْ يؤدّي إلى الشّهرة والرّياء والسمعة والتقيّد بالعادات والحظوظ والشهوات، وكلُّ هذه آفات أي آفات، فتعين البعد عمّا أدى إليها ما أمكن"[٤].

٥- العهد أو البيعة:

العهد: (حفظ الشيء ومراعاته حالًا بعد حال، ثم استعمل في المؤْثِق الذي يلزم مراعاته)[٥].

البيعة: "هو عبارة عن المعاقدة والمعاهدة، كأنّ كلَّ واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره"[٦].

فالعهد أو البيعة: هو الميثاق الغليظ الذي يكون بين المريد وشيخه، وفيه ينخرط المريد في الطريقة ويصبح من سالكيها.

---

(١) انظر: الموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني (١٠٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة - باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود (ص١٥٢) رقم (٨٦٢). قال عنه الألباني: حديث حسن.

(٣) مجموع الفتاوى (١٢٠/٢٢).

(٤) كنز العمال للمتقي الهندي، ت: بكري حياني وصفوة السقا (٤٥٨/٧)، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة (١٩٨١م).

(٥) التعريفات (ص٢٣٧).

(٦) لسان العرب (٢٦/٨).

وتكون بداية العهد هو إعلان التّوبة أمامَ الشيخ، قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في التوبة: "أنها مبدأ طريق السالكين، ومفتاح سعادة المريدين"(١).

وتكون هيئة العهد بين الشيخ والمريد: أن يجلس المريد بين يدي شيخه منكسرًا متأدبًا معظمًا لشيخه، بقلب خالٍ من الشبهات والشك والريب، مستعدًا لقبول كلّ ما يُلقى إليه من عهود ومواثيق، ثم يتصافحان باليمين، ويردّد المريد ما يمليه عليه شيخه من العهود، ويشهد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والملائكة على ذلك(٢).

وتتشابه المبايعة عند جميع أهل الطّرق في هيئتها، وقد تختلف صيغ العهود بينهم، إلّا أنّها ذاتُ هيئة واحدة متوارثة.

ويُردُّ على هذا القول:

أنّ العهد الصّوفي لا أصل له، ولم يرد في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا في سنة نبيه ﷺ، وأمّا العهود المعتبرة في الإسلام فهي المواثيق التي تُبرم بين المسلمين بعضهم ببعض، أو ما تكون بينهم وبين الكفار والذّمّيّين، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤﴾ [سورة التوبة: ٤].

وأمّا البيعة فلم تأتِ بيعة في الإسلام بعد مبايعة النبي ﷺ إلّا مبايعة من وَلِيَ أمر المسلمين، قال ﷺ: «ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(٣)، ويقصد بها: البيعة الواجبة التي ينوب فيها أهلُ الحلّ والعقد – من العلماء والأمراء والوجهاء – عن جميع المسلمين في مبايعة ولي أمر المسلمين وإمامهم.

٦- الحضرة:

(مجالس يعقدها بعض الصُّوفيَّة، وخاصة أصحاب الطرق، تُخصّصُ لذكر الله تعالى)(٤).

تعتبر الحضرات من أهمّ أصول الطرق الصُّوفيَّة، وهي مجالس تقام للذكر الجماعي، وقد

---

(١) الأربعين في أصول الدين للغزالي (ص٣٣٧). ط: دار المنهاج – جدة، الطبعة الأولى (٢٠١٧م).

(٢) موسوعة التصوف الإسلامي لمحمود زقزوق (٨/٥٩٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة – باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، (١٢/٤٤٣) رقم (٤٧٧٠).

(٤) موسوعة التصوف الإسلامي لمحمود زقزوق وآخرون (ص٢٨٦)، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة (٢٠٠٩م).

تكون حضراتٍ يوميةً أو أسبوعيةً أو موسميةً، فيجتمع الطُرقيّة في مساجدهم، أو أربطتهم، وزواياهم في حِلَقٍ يردّدون أورادهم، وأحزابهم في هيئات معينة. وتتميز كلُّ طريقة بالهيئة التي تنظم فيها حلقات الذكر الخاصة بها، والتي تعد سلم الوصول بالسالكين للحضرة الإلهية كما يزعمون. وتتنوع حلقات الذكر عندهم فمنها: الجهرية والسّرّيّة، ومنها ما يصحبها سماع وضرب بالدفوف والطبول، ومنها ما تكون على هيئة حلقات راقصة متداخلة.

والهدف من إقامة هذه الحضرات هي الوصول للحضور مع الله — تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا — فبالذكر يقترب الصُّوفي من الله ﷻ ويحضر إلى حضرته القدسية قُربًا رُوحيًا لا مكانيًا، والقرب الرُّوحي حالةٌ شعوريّةٌ تعتري المريدَ حين انغماسه في الذكر الجماعي. وهذا الذّكر المستمر في الحلقات هو الذي يهيّج الشعور، فيسكر معه الذّاكرون ويغلبهم الشوق والمحبة لله ﷻ – كما يزعمون – فيتمايلون طربًا ووجدًا، ويغيبون عن مشاهدة الخلق بحضور الحقّ وذلك لاستيلاء الذكر على قلبه[(١)].

ويُردُّ على هذا القول:

أن الله ﷻ حين شرع للعباد ما أوجبه عليهم من العبادات، جعل لقبولها شرطان: الأول الإخلاص فيها لله ﷻ، والثاني متابعة النبي ﷺ في فعلها. ومن أَجَلِّ العبادات ذكرُ الله ﷻ، ومن الأمور المندوب إليها في شرعنا إقامةُ مجالس الذّكر والحثّ عليها قال ﷺ: «لا يقعد قومٌ يذكرون الله ﷻ إلّا حفّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[(٢)]، ونصوص الشرع في ذلك كثيرةٌ متواترةٌ، وأمّا ما تصنعه الصُّوفيَّة في حضراتها ومجالسها من رقص وتمايل وسماع واختلاط وضرب بالمعازف، فهذا ممّا لم يشرعه الله ﷻ لعباده، ولا يقبل به ﷻ، وهو أمرٌ مبتدع ومحرّم، ونقيضٌ للحال التي يجب أن يكون عليها الذاكر من خشية وانكسار، وسكينة وافتقار، وتدبر وحضور قلب. كما أنّ الهيئة التي يذكرون الله بها جماعاتٍ وفرادى هي أمر حادث مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﭫ ولا دليل عليها من كتاب أو سنة[(٣)].

---

(١) انظر: موسوعة التصوف الإسلامي لمحمود زقزوق وآخرون (ص٢٧٦ وما بعدها).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر(١٧/٢٥) رقم (٦٧٩٥).

(٣) سيأتي مزيد بيان وتفصيل على بدعية الذكر الجماعي في الفصل الثالث: في ضوابط الذكر المشروع (ص: ١٩٧).

٧- التلقين:

ويقصد بالتلقين: تلقي المريد لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) من شيخه عند مبايعته للانضمام إلى الطريقة بكيفية مخصوصة[١].

وتستدلُّ الصُّوفيَّةُ على مشروعية التّلقين بحديث: «كنا عند النبي ﷺ فقال: هل فيكم غريب؟ - يعني أهل الكتاب - فقلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب، وقال: ارفعوا أيديكم، وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله ﷺ يده، ثمّ قال: الحمد لله، اللهم بعثتني بهذه الكلمة...». الحديث[٢].

وللتّلقين الصّوفي سلسلةٌ مسندةٌ تبتدأ بشيخ الطريقة وتنتهي بالنبي ﷺ، وهذه السلسلة مملوءة بالمجاهيل كجميع روايات الصُّوفيَّة، فتارةً تطول هذه السلسلة، وتارةً لا تتكون إلّا من شخصين. وكلّما كان مقام الشيخ ومنزلته أعلى قَصُرَتْ سلسلته حتى لا يكون بينه وبين النبي ﷺ أحدٌ من الخلق[٣]. ولا يقتصر التلقين عندهم على كلمة التوحيد، بل هم يستعملونه في جميع الأذكار والأحزاب والأوراد التي يتناقلونها.

ويُردُّ على هذا القول:

بأنّ الحديث الذي تستدل به الصُّوفيَّة على مشروعية التلقين، هو حديث ضعيفٌ لا يُحتجُّ به في تشريع الطاعات والقربات، وعلى فرض تصحيح الحديث، أو جواز العمل بالحديث الضعيف كما عند البعض في فضائل الأعمال، فليس في الحديث ما يدلُّ على ما تقوم به الطرق الصوفيّة من تلقين في عهودها وأذكارها على الدّوام ومع كلّ مريد، كما أنّه لم يثبتْ أنّ النّبيّ ﷺ قد كرّر هذا الأمر في غير هذا الحديث الذي يستدلّون به، ولم يُروَ أنّ أحدًا من الخلفاء الراشدين أو الصحابة ﭫ قد قام بتلقين أحدٍ الذّكرَ أو غيره على الكيفية المعمول بها في الطّرق الصُّوفيَّة.

---

(١) انظر: الأنوار القدسية للشعراني (١/١٧)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين - حديث شداد بن أوس ﭬ (ص١٢١٤) برقم: (١٧٢٥١) بلفظه. قال عنه شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

(٣) انظر: الأنوار القدسية للشعراني (١/٢٠).

والتّلقينُ المشروعُ عند أهل السنّة والجماعة هو تلقينُ الكافر الشهادتين ليدخلَ في الإسلام، كما جاء في وصية النّبيّ ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لمّا بعثه إلى اليمن قال ﷺ: «ادعهم إلى: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّي رسول الله...»[(١)]، أو تلقينُ المُحْتَضَر (لا إله إلا الله) عند موته لقوله ﷺ: «لقّنوا موتاكم لا إله إلا الله»[(٢)]؛ رحمةً به، وليكون آخر كلامٍ له من الدنيا هو كلمة التوحيد.

هذه بعض المصطلحات والمفاهيم التي يكثر استعمالها وتداولها بين أتباع الطرق الصوفية، وسأقتصر في هذا الفصل على الحديث عن أشهر الطرق الصُّوفيَّة، وأبرز ما جاء فيها، وهي:

أ- الطريقة القادرية.

ب- الطريقة الرفاعية.

ت- الطريقة الشاذلية.

ث- الطريقة البكتاشية.

ج- الطريقة النقشبندية.

ح- الطريقة التيجانية.

خ- الطريقة الختمية.



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة - باب وجوب الزكاة (٣٣١/١) رقم (١٣٩٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز - باب تلقين الموتى لا إله إلا الله (٤٥٨/٦) رقم (٢١٢٠).



المبحث الأول:
الطريقة القادرية

المطلَب الأول: التعريف بالطريقة.

الطريقة القادرية: إحدى الطرق الصُّوفيَّة وهي أقدمُها وأكثرُها أتباعًا، وتفرعت منها طرقٌ كثيرةٌ. سميت بالقادرية نسبة لمؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني:، ويطلق عليها كذلك الطريقة الجيلانية.

ويكثر انتشار أتباع الطريقة القادرية في كلٍّ من: مصر وسوريا والعراق وتركيا، وبلاد أفريقيا، وأفغانستان وباكستان والصومال وأندونيسيا ويوغسلافيا وماليزيا[١].

وكثيرٌ من أتباع الطرق الصُّوفيَّة اللّاحقة لظهور الطريقة القادرية، قد نشأ في كنف الطريقة القادرية، ثم شق له طريقًا آخر يعتمد في أصوله على ما جاء في الطريقة القادرية، ومن هؤلاء: أبو الحسن الشاذلي قبل استقلاله في طريقته الشاذلية، وأبو العباس المرسي تلميذ الشاذلي وآخرين. فنجد في العصر الحالي أنّ أسماء بعض الطّرق يجمع بين طريقتين: كالطريقة الرفاعية القادرية، والطريقة النقشبندية القادرية وغيرها[٢].



المطلب الثاني: مؤسس الطريقة.

هو محيي الدين، أبو محمّد، عبد القادر بن عبد الله بن جنكي دوست الجيلي، وقيل: الجيلاني أو الكيلاني، الحنبلي، شيخُ بغداد. قال الإمام الذهبي: في الثّناء عليه: "الشيخ، الإمام، العالم، الزاهد، العارف، القدوة، شيخ الإسلام، عَلمُ الأولياء".

مولده: بجيلان العراق، وقيل: جَيْلَان طبرستان، في سنة إحدى وسبعين وأربع مئة.

---

(١) انظر: دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير (ص٢٨١)، ط: مكتبة بيت السلام – الرياض، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م)، والموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني (ص١١١٩).

(٢) سيأتي معنا مزيدُ بيان لهذه الطّرق في هذا الفصل.

لازم الخَلْوَة والرّياضة والمجاهدة والسياحة والمُقام في الخرائب والصحاري، وأخذ التصوف من حمّاد بن مسلم الدباس[(١)] وتأدب به، وأخذ عنه علم الطريقة، وأخذ الخرقة الصُّوفيَّة من يد القاضي أبي سعد المُخَرِّمِي[(٢)] في بغداد. ومن ألقابه الباز الأشهب.

من أشهر مؤلفاته: (الغُنية لطالبي طريق الحق)، و(الفتح الرباني) و(فتوح الغيب) وغيرها.

حدّث عنه: السمعاني، والحافظ عبد الغني، وابن قدامة المقدسي وغيرهم، جلس للتّدريس والوعظ في حياة شيخه المُخَرِّمِيّ، ثم خلفه في التدريس في مدرسته التي سميت فيما بعد بالمدرسة القادرية نسبةً إليه، وكان يقيم فيها الدروس ومجالس الوعظ حتى مات ودفن فيها سنة إحدى وستين وخمس مئة، وشيعه خلقٌ كثير لا يحصون[(٣)].

كَثُرت الرّوايات التي تُعدّد مناقبَه وكراماته منذ يوم ولادته حتى عصرنا الحالي، ومن أشهر الأساطير التي حكيت عن يوم ولادته – والذي صادف أول يوم من شهر رمضان – أنّه كان يمتنع عن الرضاعة في النّهار حتى تغرب الشمس وقيل إنّ أمّه ولدته وعمرها ستين سنة[(٤)].

ومن كراماته التي ذكر منها جملةً الإمامُ الذهبي: في كتابه (السّير): "أنّه كان يُجيب السائل قبل أن يَسْأَلَ، وأنه يتكلم على الخواطر، بمعنى: أنّه يعرف ما في نفس المتكلم قبل أن يتكلم، وغيرها، وله كشوفات غيبيّة يحدث بها". وقال: في آخرها: "ليس في كبار المشايخ من له أحوالٌ وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر، لكن كثيرًا منها لا يصحُّ، وفي بعض ذلك أشياءُ مُستحيلة"[(٥)]. وقال أيضًا: "وفي الجملة: الشيخ عبد القادر كبيرُ الشأن، وعليه مآخذُ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوبٌ عليه"[(٦)].



(١) أبو عبد الله، حمّاد بن مسلم الدّبّاس، الشيخ الكبير، الزاهد القدوة، نشأ ببغداد، وكان له معملٌ للدّبس. وكان أمِّيًّا لا يكتب، له أصحابٌ وأتباع وأحوال وكرامات، دوّنوا كلامه في مجلدات، وهو شيخ الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني. توفي سنة خمس وعشرين وخمس مئة. انظر ترجمته في: العبر في أخبار من غبر (٤٢٥/٢)، وقلادة النحر (٨٧/٤).

(٢) قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر للطيب بن عبد الله بامخرمة (٢٣٢/٤)، ط: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى (٢٠٠٨م).

(٣) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/٢٠)، وطبقات الأولياء (ص٢٤٦)، وقلادة النحر(٢٣٢/٤).

(٤) قلائد الجواهر لمحمد بن يحي التاذفي، ت: أحمد المزيدي (ص١٨٧). بدون طبعة.

(٥) سير أعلام النبلاء (٤٥٠/٢٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (٤٥١/٢٠).

المطلَب الثالث: أبرز الشخصيات.

يُعدُّ أبناءُ الشيخ عبد القادر الجيلاني: عيسى (ت٥٧٣هـ)، وعبد الوهاب (ت٥٩٣هـ)، وعبد الرزاق (ت٦٠٣هـ)، وعبد العزيز (ت٦٠٤هـ)، من أبرز الشخصيات المُتّبعة لطريقته، وقيل: أنّ أحد عشر ولدًا من أولاده قد قام بنشر طريقته بعد موته، ومن أتباعه المشهورين أبو مدين شعيب بن الحسن التلمساني (ت٥٩٤)[(١)].



المطلب الرابع: أبرز مؤلفات القادرية.

من أهم الكتب المعتمدة في الطريقة هي كتب المؤسس الشيخ عبد القادر الجيلاني:، وهي العُمْدة لأتباع الطريقة يستقون منها نصوصهم، ويدللون على صحّتها، ويزيدون فيها، ويبالغون في تعظيمها، ككتاب: "الغنية لطالبي طريق الحق في الأخلاق والتصوف"، وكتاب: "الفتح الرباني والفيض الرحماني"، و(فتوح الغيب). عنيت هذه المؤلفات بذكر عقيدة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وذكر آداب السالك في طريق التصوف، وعدد من الوصايا، وقال ابن كثيرﷺ: عن كتب الجيلاني: "وقد صنّف كتاب الغنية وفتوح الغيب، وفيهما أشياء حسنة، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة"[(٢)]. ومن كتبهم المعتمدة أيضًا كتاب: (الفيوضات الربّانية في المآثر والأوراد القادرية) لإسماعيل بن محمد القادري، سُطر في هذا الكتاب أصول الطريق القادرية، وطريقة المبايعة بين المريد والشيخ للدخول في الطريقة، مع ذكر جملة من الأوراد والأحزاب الصُّوفيَّة التي يلتزمها أتباع الطريقة القادرية. وكثُرت مؤلفات منتسبي الطريقة فكلُّ فرع منها له كتبه ومؤلفاته التي يستمدون منها طريق الوصول إلى الله ﷻ كما يزعمون.



---

(١) انظر: نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكي (ص١٩٥)، ط: دار الكاتب – طرابلس، الطبعة الثانية (٢٠٠٠م).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٢٥٢/١٢)، ط: مكتبة المعارف – بيروت (١٩٩١م).

المطلب الخامس: البيعة القادرية.

والبيعة هي بوّابة الانتساب للطريقة، وتتمّ البيعة في الطريقة القادرية بين المريد والشيخ بجلوسه بين يدي شيخه مُسندًا ركبتيه إلى رُكبتيه، وواضعًا يده اليمنى في يد شيخه اليمنى، بعد صلاة ركعتين نفلًا، ثم يقرأ الشيخ الفاتحة للنبي ﷺ وباقي الأنبياء ويعدد كل من تبع النبي ﷺ من الصحابة والتابعين، حتى يصل إلى ذكر سلسلة الطريقة القادرية، ذاكرًا الأقطاب والأوتاد والأبدال، ويخصّ صاحب الطريقة بالذكر، حتى يستمد من روحانيتهم التوفيق والفتوح له ولمريده، ثم يطلب من المريد أن يستغفر الله بصيغة مخصوصة، ويأخذ عليه العهود والتي يختمها المريد بقوله: "رضيت بحضرة شيخنا فلان شيخًا لي، وطريقتِهِ طريقةً لي، والله على ما نقول وكيل"، ثم يقول الشيخ في سرّه ثلاثًا: "يا واحد يا ماجد انفحنا بنفحة منك"، ثم يقرأ آية المبايعة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٠﴾ [سورة الفتح:١٠]، ثمّ يلقنه كلمة التوحيد (لا إله إلّا الله)، ويتلو عليه آداب الطريقة وشروطها، فإن قبلها المريد يقول الشيخ: وأنا قبلتك لي ولدًا، ثم يسقيه من الكأس وهو مزيج الماء بالسكر(١).

إلّا أن شيوخ الطريقة المعاصرين قد استبدلوا الشرب من الكأس، بأن يبصق الشيخ في يده، ويقوم بدعك يديه حتى يتحول البصاق مادة صلبة – ويعدونها من الكرامات– تُقَسّم بين المريد الجديد والحاضرين تيمنًا وطلبًا للبركة باختلاط ريق المريد بريق شيخ الطريقة(٢).

ويلتزم أتباع الطريقة القادرية لُبْسَ العمامة الخضراء في مجالسهم وحضراتهم.



(١) انظر: الفيوضات الربانية (ص٢٩).

(٢) انظر: طريقة البيعة في مقطع مصور على قناة التكية القادرية في برنامج اليوتيوب بعنوان: كيفية المبايعة والدخول في الطريقة القادرية (وإظهار كرامة من الشيخ عبيد الله القادري). https://cutt.us/wphV3

المطلب السادس: أبرز العقائد والشعائر القادرية.

يجدُرُ بنا قبل الحديث عن عقائد الطريقة القدرية، التّنبيه على أنّ عقيدة الشيخ عبد القادر الجيلاني: التي صرّح بها فيه كتابه الغنية، هي عقيدة أهل السّنّة والجماعة، إلّا ما نسب إليه من بعض الأقوال والشطحات والتي لا يمكن نفيها أو إثباتها لعدم الدّليل، وبهذا قال جمع من العلماء منهم شيخ الإسلام ابن تيمية:[١].

وأمّا ما خَلُصَتْ إليه الطريقة القادرية من عقائد يمكن إجماله فيما يلي:

١- تعتقد القادرية بوحدة الوجود، فمن أقوالهم التي ينسبونها للجيلاني: "ثم قال لي يا غوث الأعظم: جسم الإنسان ونفسه وقلبه... كل ذلك طهرت له نفس بنفس لا هو إلّا أنا ولا أنا غيره"[٢].

٢- ادعاء القدرة على التصرف في الأكوان، فيزعمون أن الله ﷻ قال: أنّ للفقير- ويقصدون به الصوفي- حقَّ التصرف في كلّ شيء: "ليس الفقير عندي من ليس له شيء؛ بل الفقير الذي له أمر كل شيء إذا قال لشيء كن فيكون"[٣].

٣- القول بذهاب نعيم الجنَة وعذاب النّار بعد رؤية الله ﷻ وبعد خطابه لأهل النار، فينسب للجيلاني: قوله في حقّ الله ﷻ: "لا أُلفة ولا نعمة في الجنان بعد ظهوري فيها، ولا وحشة ولا حرقة في النار بعد خطابي لأهلها"[٤].

٤- اعتقادهم بالأولياء: أنّهم مُطّلعون على الغيب والنيات، قال الجيلاني: "وهو ﷻ قد أطلعهم على ما أضمرتْ قلوبُ العباد، وانطوت عليه النّيّاتُ، إذْ جعلهم جواسيس القلوب والأمناء على السرائر والخفيات"[٥].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢٧٨).

(٢) الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، جمع إسماعيل بن محمد القادري (ص٥)، ط: مطبعة البابي الحلبي، بدون طبعة. وهذا الكتاب يعتبر العمدة في الطريقة بعد كتب المؤسس، قلت: وفي الكتاب روايات باطلة ويزعم جامعه بأنّ كل ما ورد فيه هو من كلام عبدالقادر الجيلاني. ويُبطل هذا الزعم شهادة أهل العلم بصحة معتقد عبدالقادر الجيلاني وأنّ هذه الأقوال الكفرية والشركية هي مكذوبةٌ عليه كما مرّ معنا في ترجمته، وإقراره بعقيدة أهل السّنّة والجماعة في كتاب الغنية. إلّا أن هذه الأقوال الواردة في كتاب الفيوضات معتمدة عند أتباع الطريقة.

(٣) الفيوضات الربانية (ص٧).

(٤) الفيوضات الربانية (ص٧).

(٥) الغنية لطالبي طريق الحق لعبد القادر الجيلاني (٢/١٨٤)، ط: دار صادر- بيروت، بدون تاريخ طبعة.

كما أنهم محفوظون معصومون من الزّلل، والشهوات بحفظ الله ﷻ لهم، فقال في ذلك: "حرسهم من الأعداء في الخلوات والجلوات، لا شيطان مضل ولا هوى متبع يميل بهم إلى الزلات... ولا نفس أمارة بالسوء ولا شهوة غالبة"(١).

ويذكر الجيلاني: أنّ "نهاية الولي هي بداية النبي"، وأن الفرق بينهما: أن كلام الله ﷻ للأنبياء عليهم السلام وحيٌ يلزم تصديقه، من رده يكفر، وكلام الله ﷻ للأولياء إلهامٌ أوصله إليهم، فحدثوا به فهو حديث من ردّه لا يكفر؛ ولكن "يخيب ويصير وبالًا عليه ويبهت قلبه، لأنه ردّ على الحق ما جاء به"(٢).

ومن شروط الولاية عند الجيلاني: كتمان الكرامات(٣)، إلّا أن أتباعه خالفوه في ذلك فلم يبقوا كرامة ولا خارقًا للعادة إلّا ألصقوه به.

ومن صفات الأولياء التي ينبغي أن يلزموها: الذّلة والحرمان، والجوع وذمّ الناس، قال الجيلاني: "وينبغي له أن يرضى بالذُّلِّ الدّائم، وحرمان النصيب، والجوع الدّائم والخمول، وذمّ الناس، وتقديم أضرابه وأشكاله وأقرانه عليه في الإكرام والعطاء"، فالذِّلَّة عندهم مقرونةٌ بالفتح الإلهي، فكلَّما زاد الوليُّ ذِلةً ازدادت الفتوحات عليه(٤).



المطلب السابع: الأحزاب والأوراد المشتهرة في الطريقة القادرية.

للذكر عند أتباع الطريقة القادرية ثلاثة أصول:

١- الأول: **لا إله إلا الله**، وله فروع: لا معبود إلّا الله، لا محبوب إلّا الله، لا مقصود إلّا الله، لا مطلوب إلّا الله، لا مراد إلّا الله. يُتْلَى كلُّ فرعٍ خمسَمائة ألفِ مرّةً.

٢- الثاني: **الله**، وله فروع: يا نور يا باسط يا الله، يا نور يا هادي يا الله، يا نور يا الله، يا هادي يا الله. يُتْلَى كلُّ فرعٍ خمسَمائة ألفِ مرّةً.

---

(١) انظر: الغنية (١٨٤/٢).

(٢) انظر: الغنية (١٨٦/٢).

(٣) انظر: الغنية (١٨٧/٢).

(٤) انظر: الغنية (١٨٨/٢).

٣- الثالث: **هو**، وله فروع: يا هو أنت هو، يا هو أنت هو يا الله. يُتْلَى كلُّ فرعٍ خمسَمائة ألفِ مرّةً[١].

٤- وهناك ما هو أفضل من الذكر لدى أتباع الطريقة القادرية، وهو ما يسمى بالرّابطة ويقصد بها: استحضار المريد لصورة شيخه أثناء الذكر والقراءة، فهو أفيد وأنسب له، حيث إنّ الشيخَ هو الواسطة بين المريد وبين الوصول لله ﷻ، وكلّما ازداد المريد في تصوراته لشيخه زادت الفيوضات الإلهية في نفسه، واللازم على المريد أن يفنى في شيخه أوّلًا ثمّ يصل للفناء في الله. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا[٢].

٥- ومن أحزابهم[٣]: حزب الجلالة، حزب الفتح، حزب المودة والتسخير، حزب الوسيلة، حزب النور وقضاء الحوائج، الحزب الأعظم، حزب النصر، وغيرها كثير[٤].



(١) انظر: الفيوضات الربانية (ص١٩).

(٢) انظر: الفيوضات الربانية (ص٢٦).

(٣) سيأتي فيها مزيد بيان في الفصل الثالث والرابع.

(٤) ذكرت هذه الأحزاب والأوراد في كتاب: الأوراد القادرية، عبد القادر الجيلاني، ط: دار الألباب- بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٢م.



المبحث الثاني:
الطريقة الرّفاعية

المطلَب الأول: التعريف بالطريقة.

الطريقة الرفاعية: هي إحدى الطّرق الصُّوفيَّة المشهورة، وسميت بالرفاعية نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد الرفاعي:، وتعدُّ الطريقة الرّفاعية من أوائل الطّرق الكبرى بعد القادرية، ولها أتباعٌ كُثر في أقطار العالم الإسلامي. وتسمّى كذلك الطريقة البطائحية: نسبة إلى مكان يقال له بطائح العراق، والأحمدية: نسبة للاسم الأول لشيخ الطريقة أحمد الرفاعي رَحِمَهُ اللهُ.

واشتهر أتباع هذه الطريقة بالسّحر والشّعوذة وإظهار الحيل، وامتهان الخوارق: كدخول النار وأكل الثعابين، وترويض السباع، وضرب الأجساد بالحديد وإدخال السيوف والشيش بها دون أن تتأثر وغيرها من الحيل والشعوذات[١].

قال عنهم الإمام الذهبي: "ولكنّ أصحابه – أي الرّفاعي– فيهم الجيّدُ والرديءُ وقد كثر الزَّغل – الغشّ – فيهم، وتجدّدت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتارُ العراق: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات. وهذا لا عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه"[٢].

وتنتشر الطّريقة الرّفاعية في الشام ومصر وتركيا ولبنان وغيرها من البلاد الإسلامية[٣].



المطلب الثاني: مؤسس الطريقة.

أبو العباس، أحمد بن علي بن أحمد المعروف بابن الرفاعي، والملقب بسلطان العارفين وأبو العلمين، وقيل إنّ نسبه ينتهي إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أصله من المغرب وولد بقرية أم عبيدة ببطائح العراق سنة خمس مئة من الهجرة، وتفقه على المذهب الشافعي وكان شيخًا صالحًا زاهدًا، انضم إليه خلقٌ كثيرٌ وتبعوه، وإليه تنسب الطائفة الرفاعية والبطائحية والأحمدية. ولم يُعْقِبْ والعقب في أولاد أخيه.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٢٤٥).

(٢) العبر في خبر من غبر للذهبي (٤/٢٣٣).

(٣) الطريقة الرفاعية لعبد الرحمن دمشقية (ص٦). بحث مختصر من سلسلة دراسات التصوف.

توفي سنة ثمان وسبعين وخمس مئة ودفن في قريته أم عبيدة.

ويُروى عن أحمد الرفاعي: العديد من القصص في تعداد كراماته، وشدة رأفته ورحمته للخلق، وصنيعة مع الحيوانات منها: أنه سُمع "مرة يتكلم ويقول يا مباركة ما علمت بك أبعدتك عن وطنك. فإذا جرادة تعلقت بثوبه وهو يعتذر إليها رحمةً لها"، وحوادثه مع الحيوانات كثيرة ويُعلل الرفاعي رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أمره وأخذ عليه العهد بأن يرحم الخلائق، وكان كثيرَ الاستغفار، عالي المقدار، رقيقَ القلب، غزيرَ الإخلاص[(١)].

ومن أباطيلهم وخرافاتهم وغلوهم في شيخهم أحمد الرفاعي ما يرونه في سبب موته، وأن سبب موته هو تحمّله لبلاء عظيم نزل بالناس اشتراه فيما بقي من عمره، وأنه كان يقول: "اللهم اجعلني سقفًا للبلاء الذي ينزل على هؤلاء الخلق"[(٢)].

ومما ينسب له من الأقوال: "إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة، وإذا فسد صار مهبط الأباطيل والظلم والشياطين"[(٣)]. قلت: وهذا والله من أبطل الباطل على ما اشتمل عليه من صحَّةٍ في بعض ألفاظه، فمعلوم عند أهل الإسلام قاطبةً من الدين بالضرورة انقطاع الوحي بوفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا وحي بعده لأحد من الخلق، ولو كان ذلك لكان الخلفاء الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أصلح الناس قلوبًا، وهم أولى الناس بنزول الوحي والملائكة عليهم لو كان ذلك ممكنًا.



المطلب الثالث: أبرز الشخصيات.

ومن أبرز الشخصيات التي تنتمي للطريقة الرّفاعية:

عبد الرحمن بن محمد الواسطي (ت٦٢١هـ)، جامع كتاب «البرهان المؤيد»، وعليّ الواسطي (ت٧٣٣هـ) صاحب كتاب «خلاصة الإكسير»، وعز الدين الصياد (ت٧٦٠هـ)،

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ أربل (٥٦٩/٢)، سير أعلام النبلاء (٧٧/٢١)، طبقات الأولياء لابن الملقن (ص٩٣)، طبقات الشافعية للسبكي (٢٣/٦)، والطبقات الوسطى للشعراني (٤٣٢/١)، الكواكب الدرية للمناوي (٦٥٠/١).

(٢) انظر: الطبقات الوسطى للشعراني، ت: محمد نصار (٤٤١/١)، ط: دار الإحسان- القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠١٧م).

(٣) الطبقات الوسطى للشعراني (٤٥٣/١).

ومن مؤلفاته «المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية»، وبهاء الدين محمد مهدي الرَّوّاس (ت١٢٨٧هـ) وله: «بوارق الحقائق» و«فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة»، وأبو الهدي الصيادي (ت: ١٣٢٨هـ)، صاحب كتاب «القواعد المرعية في أصول الطريقة الصُّوفيَّة».



المطلب الرابع: أبرز مؤلفات الرفاعية.

لم يُعرف عن مؤسس الطريقة تأليفُه لأيّ كتاب، وكلُّ ما نقل باسمه فهو من تأليف أتباعه، وتمّت نسبتها إليه[(١)]، ومن أشهر الكتب المعتمدة في الطريقة الرفاعية كتاب (البرهان المؤيد)، و(الكليات الأحمدية)، و(حالة أهل الحقيقة مع الله) وكلها تنسب لأحمد الرفاعي، و(بوارق الحقائق) لمحمد رواس، و(القواعد المرعية في أصول الطريقة الرفاعية) لأبي الهدى الصيادي.

والملاحظ في أغلب كتب المتقدّمين من الصُّوفيَّة الرّفاعية كثرةُ الوصايا في التزامِ الكتاب، واتّباعِ سنّة النّبيّ ﷺ، ولزومِ طريق السّلف الصّالح.

كما يحذّر الرّفاعية المتقدمون في كتبهم من عقيدة (وحدة الوجود)[(٢)]، قال أحمد الرفاعي: في بطلان القول بـ(وحدة الوجود) مخالفًا متفلسفة الصُّوفيَّة: (صُمُّوا أسماعكم عن علم الوحدة، وعلم الفلسفة وما شاكلها، فإن هذه العلوم مزالقُ الأقدام إلى النار)[(٣)]، إلّا أنّهم يضمّنونها عقائد باطلة، يصل بعضها للكفر، سيأتي ذكرها لاحقًا في مبحث عقائد وشعائر الطريقة الرفاعية.



---

(١) الإمام الرفاعي وطريقته في التصوف لمحمد يوسف جيجه (ص٤)، بدون بيانات طبعة.

(٢) انظر: القواعد المرعية في أصول الطريقة الرفاعية لأبي الهدي محمد الصيادي (ص٦)، ط: مطبعة محمد أفندي مصطفى. نسخة قديمة طبعت سنة (١٣٠٥هـ).

(٣) البرهان المؤيد لصاحب مد اليد (ص٨٨) نسب الواسطي الكتاب لأحمد الرفاعي وأنه نقله عنه روايةً فقال: (قد تلقينا مع جمٍّ غفير من المحبين هذا الكتاب المبارك، رواية من فم شيخنا وملجئنا أحمد الرفاعي). انظر: (ص١١).

المطلب الخامس: البيعة الرفاعية.

تتشابه البيعة في الطريقة الرفاعية بما جاء في بيعة الطّريقة القادرية:

من حيثُ الوضوءُ، وصلاةُ ركعتين، وإعلانُ التوبة بين يدي الشيخ، وتلقينُ كلمة التوحيد بالسند الرفاعي، وأخذُ العهود والمواثيق على المريد بعدم مفارقة الجماعة، والسمعُ والطاعةُ للشيخ. إلّا أنهم في الطريقة الرفاعية يختمون البيعة بالتوجه للقبلة والصلاة والسلام على النبي ﷺ بقول: "الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا وسيلتنا إلى الله، الصلاة والسلام عليك يا أوّل الخلق وخاتم رسل الله". ويختم البيعة بقراءة سورة الفاتحة للنبي ﷺ، ويتبع هذه المبايعة التزام المريد بالتّطبع بأطباع شيخه، والائتمار بأمره(١).

ومن شعاراتهم: الرّايات السود وكذلك العمامة السوداء التي يدعون أنّ النّبيّ ﷺ هو من ألبسها للرّفاعي وأمره بها(٢).



المطلب السادس: أبرز العقائد والشعائر الرفاعية.

• عقيدتهم في صفات الله تعالى نفيُ الصّفات وتفويضُ معناها لله ﷻ، ومنها: نفيُ العلو والاستواء تنزيهًا عن المشابهة للمخلوقين، قال شرف الدين الواسطي(٣) ناقلًا عن أحمد الرفاعي: "طهروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقّه بالاستقرار، كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول... وإيّاكم والقولَ بالفوقيّة والسُّفلية والمكان واليد والعين الجارحة، والنزول والإتيان والانتقال..."(٤).

ومعلومٌ بطلان هذا القول في صفات الله ﷻ، وعقيدة أهل السّنّة والجماعة في أسماء وصفات الله ﷻ أنّه ﷻ موصوفٌ بصفات الكمال، فنُثبتُ ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له نبيُّه ورسلُه عليهم السلام، وننفي ما نفاه الله ﷻ عن نفسه وما نفاه عنه نبيُّه ورسلُه عليهم السلام،

(١) انظر: القواعد المرعية (ص٤ و٦).

(٢) انظر: القواعد المرعية (ص١٦).

(٣) لم يتيسر لي الوقوف على ترجمته.

(٤) البرهان المؤيد (ص١٦).

ويعرفون ربهم ﷻ بما جاءت به النّصوص الصّريحة في الكتاب والسّنّة[١].

- انتشر بين أتباع الطّريقة الرّفاعية عددٌ من الشّركيات المتوارثة بينهم: كالاستغاثة بالأولياء، وطلب العون والمدد منهم، وصرف كثير من العبادة لهم والطواف بقبورهم وأضرحتهم، وإقامة الموالد والاحتفالات.

- الإيمان عند الرفاعية: "إقرار باللسان، وتصديقًا بالجنان وعملًا بالأركان، واتصافًا بإحسان"[٢].

- يعتقد الرفاعية أنّ النبي ﷺ أوّلُ من خُلِقَ، وأنه خُلِقَ من نور وجه الله ﷻ – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا– ومن هذا النور خُلِقَ أحمد الرفاعي شيخ الطريقة[٣].

- ومن عقائد الرّفاعية الجليّة غلوُّهم في مؤسس الطريقة أحمد الرفاعي، فنسبوا له أمورًا لا تصحّ ولا تعقل، كقولهم، بأنّ النّبيّ ﷺ أخبر خاله بمنزلته وأنّه سيكون رأسًا للأولياء كما هو ﷺ رأس الأنبياء، وينسبون له الكثير من الحكايات والكرامات الباطلة التي صاحبت مولده:

فمنها بشارة النبي ﷺ لخاله بمولده بعد أربعين يوم فكان ذلك. وغيرُها من الأباطيل.

ومن كراماته تقبيله ليد النبي ﷺ حين مدها من قبره الشريف لّما طلبها الرفاعي حين زاره بعد حجّه على مرأى من الناس، كما أوصاه النبي ﷺ باللباس الأسود بعد أن بايعه في ذات الزيارة[٤]، وكاشتهائه للسمك المشوي هو وبعض أصحابه، فيسخر الله ﷻ له أن يمتلأ النهر بالأسماك التي تتساقط ناحيته على البر، فيخبر أصحابه أنّ الأسماكَ كلَّها تسأله أن يأكلها، وحين يأكل ويشبع هو وأصحابه، يأمر الرفاعي ما تبقى من رؤوس السمك وذيوله وبقاياها بالعودة للنهر، فتعود من حيث أتت سمكًا صحيحًا حيًّا يسبح، وكذلك الطيور تعود للحياة والطيران بعد أن يقضي نهمه منها هو وأصحابه.

ومن كراماته أنّ الأصم يسمع حديثه إذا تحدّث، ويسمعه من هو خارج البلد إذا وعظ وغيرها من الخرافات الصُّوفيَّة[٥].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص١٠٨ و٢١٨)، والردّ على نفي العلو والاستواء (ص٢٨٨).

(٢) الطريقة الرفاعية لأبي الهدى الصيادي، ت: أحمد المزيدي (ص١٣)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، بدون طبعة.

(٣) انظر: القواعد المرعية (ص٤).

(٤) انظر: قلادة الجواهر لأبي الهدى الصيادي (ص١٨، وما بعدها)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، بدون طبعة.

(٥) انظر: بهجة الأسرار ومعدن الأنوار لعلي الشطنوفي (ص٤٤١)، ط: دار الكتب العلمية –بيروت، بدون طبعة.

ومن عِظَم غلوهم فيه قولهم: بعِصْمَتِه من الشّطح والدّعاوى في حال غيبته، وأنّ كل ما يقوله ويجري على لسانه فإنّما هو ممّا وهبه الله ﷻ من فيوضات إلهية ومواهب رحمانية، فكلّ ما يقوله حق[١].

• ومن عقائدهم قولهم بختم الولاية[٢]: وتعتقد الرفاعية بأن الله ﷻ قد ختم الولاية بالشيخ أحمد الرفاعي، فقالوا: "إنّ الله قد ختم الولاية بالسيد أحمد الرفاعي كما ختم بمحمد ﷺ النبوة"[٣].

• تعتقد الرفاعية بحياة الخضر؛ والأخذ منه، ومبايعته كحال جميع الصُّوفيَّة، ويَعْقِدون معه الحضرات، ويجالسونه حقيقة كما يزعمون، ويوصيهم بالتزام الطريقة ونشرها بين الناس، ويذكر لهم مناقب شيوخ الطريقة وفضائلهم، ومنازلهم بعد موتهم، وأنه؛ يزور أضرحة الأولياء للسّلام عليهم[٤].

• ومن عقائدهم الزهدُ بالجنة، وعدمُ الخوف من النار والاستهزاء بها، وعبادةُ الله ﷻ بالحب دون الخوف والرجاء، ويَسُوقُون الروايات المكذوبة والأقوال الباطل في ذلك، كقول أحدهم: "إلهي لا تدخلني النار فإنّها تصير بردًا عليّ من حبي لك"[٥].

ويعتقدون أنّ قصور الجنة تباع وتشترى بصكٍّ من الشيخ أحمد الرفاعي يمنحه للبائع، فقد جاءت إحدى روايات الصُّوفيَّة بشراء أحد أتباع الرّفاعية لبُستان بقصر في الجنة بوساطة وشهادة الشيخ أحمد الرفاعي وقد خط كتاب البيع بيده[٦].

• ومن عقائدهم غلوهم في الأولياء الأحياء والأموات:

فينسبون لهم العديد من الخوارق والكرامات حتى يصفونهم بصفات الألوهية: كالخلق والإحياء والإماتة والرزق وغيرها من الصفات، فينسبون لأحمد الرفاعي قوله: "إن العبد إذا تمكن

---

(١) انظر: قلائد الجواهر (ص١٢٩).

(٢) المقصود بختم الولاية: أنّه كما أنّ الله ﷻ قد ختم بالنّبيّ ﷺ النّبوة، فهناك وليٌ خاتم تختم به الولاية، وكلُّ ولي من الصُّوفيَّة يدعي ذلك. ومعلومٌ بطلان هذا الأمر وعدم صحته لعدم الدليل عليه.

(٣) قلادة الجواهر (٤٣٥).

(٤) انظر: بوارق الحقائق لمحمد الرواس (ص٤٦ وما بعدها)، ط: أسرة الساحة الرفاعية – القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠٠٢م).

(٥) انظر: حالة أهل الحقيقة مع الله لأحمد الرفاعي (ص٧٩)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠٤م).

(٦) انظر: قلادة الجواهر (ص٧٤).

من الأحوال بلغ محل القرب من الله تعالى، وصارت همته خارقة للسبع السماوات، وصارت الأرضون في رجله، وصار صفةً من صفات الحقّ ﷻ لا يُعجزه شيء..."[١].

كما أنهم يزورونهم في أضرحتهم ويجالسونهم ويتلقون منهم الأسرار والوصايا، ويتلقون منهم الفيوضات الروحية[٢].

• من عقائد الرفاعية: القول بالأئمّة الإثني عشر الذي تقول بهم الرافضة، ويجعلون الشيخ أحمد الرفاعي الإمام الثالث عشر بعد أئمّة الرافضة، ففي رؤية رآها أحد أتباع الرّفاعية بأن أحمد الرفاعي كان بصحبة النبيﷺ فقال عنه: "أحمد ولدي ثالث عشر أئمّة الهدى من أهل بيتي"[٣].

• ومن عقائدهم الاستفاضة القلبية: وهي من أهم شروط الطريقة الرّفاعية، ويقصدون بها: ما يفيض من قلب الشيخ إلى قلب المريد من معارف وفيوضات إلهية، جاءت من قلب النبيﷺ لقلب الشيخ وانتقلت منه للمريد.

وتحصل الإفاضة القلبية بعد الجلوس من الفريضة واستحضار هيئة الشيخ في البال وربط قلب المريد بقلب شيخه وإفراغ الذّهن عن كل الشّواغل والخواطر وهي ما يقابل الرّباط لدى أتباع الطّريقة القادرية[٤].

• ومن شعائرهم الخلوة المُحَرّمِية، نسبة إلى وقوعها في شهر مُحرم: وهي الخلوة الأسبوعية من كلّ عام، وتكون في يوم الحادي عشر من شهر محرم لمدّة أسبوع، واشترطوا لها صفاتٍ، منها: خلوُّ طعام المريد من كلّ ذي روح، والتزام أذكار محدّدة ومعيّنة في كلّ يوم من أيام هذه الخلوة، ومنها التزام الصلاة على النبيﷺ بعد كلّ فريضة بصيغة معيّنة وعدد معين وهي: (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمّي الطاهر الزّكي وعلى آله وصحبه وسلم) مئة مرة.

وفي هذه الخلوة المزعومة تتنزّل على المريد ما لا يُحصى من الفيوضات الإلهية والفتوحات المحمّدية[٥].

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (ص٢٠٣).

(٢) انظر: بوارق الحقائق (ص٤٩).

(٣) انظر: ارشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين لأحمد الفاروثي الأحمدي (ص٤٥)، ط: محمد أفندي، بدون بيانات طبعة. نسخة قديمة. وانظر: القواعد المرعية (ص٧).

(٤) انظر: القواعد المرعية (ص١٤).

(٥) انظر: القواعد المرعية (ص١٥).

• ومن شعائر أتباع الطريقة الرفاعية ما يسمّى (عدّة النوبة): ويقصدون بها الدّفوف والطبول كبيرة الحجم التي يضربون بها عند ترديد المدائح النبوية في حِلَقِ الذّكر التي تُقام في ليالي الجمع ويرفعون بها الرايات والألوية[١].

المطلب السابع: الأحزاب والأوراد المشتهرة في الطريقة الرفاعية.

• للرفاعية أورادٌ ثابتةٌ متضمنة لأحزابهم، يلتزمون بترديدها بعد صلاة كلّ فريضة منها: حزب التحفة السّنية[٢]، وأول أورادهم التي يتلقاها المريد هي الصلاة على النبيﷺ بعدد معيّن يتوافق مع استعداد المريد وقدرته[٣].والحزب الأساس عند الرّفاعية: هو حزب السّيف القاطع، ويتكون من آيات قرآنية[٤].

• وكحال جميع الطرق الصُّوفيَّة، فإن أحزابَ وأورادَ الطريقة الرّفاعية كثيرةٌ لا حصر لها، فكلّما جاء شيخ وعلا شأنه بين أتباعها ساق لهم من الأوراد ما يملؤون به يومهم وليلتهم.

فمن أحزابهم وأورادهم المشتهرة: حزب السيف القاطع، حزب الأسرار، وصلاة الأنس، ورد الحراسة، ورد الاستعانة بالله، ورد الصارم الهندي، وغيرها من الأوراد المبتدعة والمختلقة[٥].

• ولعناية الرفاعية الشديدة بالصلاة على النبي ﷺ لم تخلُ أورادهم من صلوات مبتدَعَةٍ يردّدونها ويلتزمون بها، منها: صلاة جوهرة الأسرار، صلاة بحر الأنوار، صلاة روح الطالب، صلاة الإفاضة، صلاة فاتحة الخزائن، وصيغتها: (اللهم صل على سيدنا محمد مفتاح خزائنك، اللهم افتح لنا بسيدنا محمدﷺ ما أغلق علينا)، وغيرها الكثير.

---

(١) انظر: القواعد المرعية (ص٣٢).

(٢) وتشتمل التّحفة على: قراءة الفاتحة وبعض السور القصيرة والأدعية. انظر: القواعد المرعية (ص٧).

(٣) انظر: القواعد المرعية (ص٦).

(٤) انظر: موسوعة التصوف الميسرة لمجموعة مختصين (ص٢٢٦)، ط: دار النفائس – بيروت، الطبعة الأولى (٢٠١٥م).

(٥) انظر: ذكرت هذه الأحزاب والأوراد في كتاب: المجموع الجامع في أحزاب وأوراد الطريقة الرفاعية لأحمد الرفاعي، بدون بيانات طبعة.




- وللرّفاعية حلقاتٌ للذّكر يردّدون بها أورادهم وأحزابهم، فمنها:

حلقةُ وردٍ عامّة: وتكون كلّ ليلة بعد العشاء ولها أوراد خاصة بها، وحلقةٌ خاصّةٌ: تقام ليلة الجمعة وليلة الإثنين خاصة للأتباع يرددون فيه أورادهم بصورة جماعية[1].

وعادةً يصحب هذه الحلقات ضربٌ بالدفوف وقرعٌ بالطبول، ورقصٌ وتمايلٌ واهتزازٌ.



(١) القواعد المرعية (ص١٦). وسيأتي مزيد بيان لهذه الحلق في الفصل القادم بإذن الله.



المبحث الثالث: الطريقة الشاذلية

المطلب الأول: التعريف بالطريقة.

الطريقة الشاذلية: من الطرق الصُّوفيَّة الشهيرة، واسعة الانتشار قديمًا وحديثًا، وتُعتبرُ الطريقةُ الشاذليّةُ متفرعةً من الطريقة القادرية الأمّ، وسميت بالشاذلية نسبة إلى مؤسس الطريقة أبي الحسن الشاذلي.

وتنتشر الطريقة الشاذلية في مصر والسودان والشام وشمال أفريقيا وجزر القمر ومدغشقر وموزنبيق(١)، ولهم مركز في بريطانيا(٢).



المطلب الثاني: مؤسس الطريقة.

أبو الحسن، علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز الشاذلي، المغربي، نزيل الإسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية. وقد انتسب في بعض مؤلفاته إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تتلمذ أبو الحسن الشّاذلي في صغره على عبد السلام بن مشيش(٣)، في المغرب، وكان له أكبرُ الأثر في حياته العلمية والصُّوفيَّة.

كان مبدأُ ظهوره بشاذلة بلدةٍ بالقرب من تونس، كان متضلعًا بالعلوم الشرعية، جامعًا لفنونها من تفسير وحديث ونحو وأصول وآداب، وله سياحات كثيرة، وكرامات شهيرة، وكان الشاذلي ضريرًا حجّ مرات وتوفي بصحراء عيذاب - شرقي صعيد مصر على ساحل البحر الأحمر - قاصدًا الحجّ فدُفن هناك في أول ذي القعدة سنة ست وخمسين وست مئة.

---

(١) أضواء على الطرق الصُّوفيَّة في القارة الأفريقية لعبد الله عبد الرزاق إبراهيم (ص١٣٨)، ط: مطبعة مدبولي - القاهرة (١٩٨٩م).

(٢) الطريقة الشاذلية عرض ونقد لخالد بن ناصر العتيبي (٨/١)، ط: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى (٢٠١١م).

(٣) أبو محمد عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة الادريس الحسني، ناسك مغربي، اشتهر برسالة له تدعى: «الصلاة المشيشية» شرحها كثيرون، توفي في سنة اثنتين وعشرين وستمائة مقتولًا على يد ابن أبي الطواجين. انظر ترجمته في: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد الناصري (٢٦٣/٢). والأعلام للزركلي (٩/٤).

ولشيخ الإسلام ابن تيمية: مصنّفٌ في الرّدّ على ما قاله الشاذليّ في حزبه، وله حزبان: كبير وصغير[(١)].

وتنتشر له العديد من الكرامات التي تظهر غلوَ أتباعه فيه، فهم يحيكون حوله العديد من الخرافات والأباطيل والروايات التي لا سند لها ولا أصل، فمنها: قوله: "والله لقد تسألوني عن المسألة لا يكون عندي لها جواب، فأرى الجواب مسطّرًا في الدّواة والحصير والحائط... والله إنّه لينزل عليّ المدد فأرى سريانه في الحوت والماء، والطائر في الهواء"[(٢)].

ويزعمون أنّ من أراد أن يُستجاب دعاؤُه فعليه بموالاة أبي الحسن الشاذلي، ومن عظيم غلوّهم وفحشِ قولهم ادعاؤُهم: أنّ العرش هو المنزلة التي يتنزّل فيها أبو الحسن الشاذلي للخلق حتى يروه، وإلّا فمنزلته أعلى. نعوذ بالله من الضلال[(٣)].



المطلب الثالث: أبرز الشخصيات.

من أبرز الشخصيات التي تنتمي للطريقة الشاذلية:

أحمد البدوي (ت٦٧٥هـ)، أبو العباس المرسي (ت٦٨٦هـ) تلميذ وخليفة أبو الحسن الشاذلي، وإبراهيم الدسوقي (ت٦٩٦هـ)، ومحمد بن سعيد البوصيري (ت٦٩٦هـ)، ابن عطاء السكندري (ت٧٠٩هـ)، ابن الصباغ الحميري (ت٧١٦هـ)، وداود بن ماخلا (ت٧٣٥هـ)، وأحمد زروق (ت٨٤٦هـ)، وعبد الوهاب الشعراني (ت٨٩٨هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، وأحمد بن عجيبة (ت١٢٢٤هـ)، وغيرهم كثير.



---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (٨٢٩/١٤)، والوافي بالوفيات (١٤١/٢١)، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص٤٨٥)، وقلادة النحر (٢٤٣/٥)، الطبقات الكبرى للشعراني (ص٢٩٠).

(٢) لطائف المنن (ص٧٦).

(٣) انظر: لطائف المنن (ص٧٧).

المطلب الرابع: أبرز مؤلفات الشاذلية.

(حزب الشاذلي) و(رسالة الأمين) لأبي الحسن الشاذلي، (لطائف المنن) و(الحكم العطائية) لابن عطا الله السكندري، (عيون الحقائق) لداود بن ماخلا، (درة الأسرار وتحفة الأبرار) لابن الصباغ الحميري، (تأييد الحقيقة العلمية وتشييد الطريقة الشاذلية) لجلال الدين السيوطي، (المفاخر العلية في المآثر الشاذلية) لأحمد بن محمد بن عياد، (أصول الطريقة وقواعد التصوف والنصيحة الكافية) لأحمد زرّوق، (الطبقات الكبرى) و(اليواقيت والجواهر) و(لوائح الأنوار القدسية) للشعراني، وغيرها كثير.



المطلب الخامس: البيعة الشاذلية.

البيعة عند أتباع الطريقة الشاذلية هي: مبايعةٌ بين شيخ الطّريقة والمريد على إيصاله للحقّ ﷻ، وأن يأخذ الناجي منهم بيد الآخر، وتتمّ البيعةُ أو تجديدها في الوقت الحالي بصورة جماعية، حيث تتقدّم مجموعةٌ منهم، وتلامس يدَ شيخ الطريقة، ويضع البقية أيديهم على ظهور هؤلاء المتقدمين الملامسين للشيخ، ليُكوّنوا حلقات متصلة تبدأ من الشيخ وتصل إلى آخر مريد حاضرًا مجلس المبايعة، فتبدأ البيعة والعهد بالاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، وتكون المبايعة على السمع والطاعة في المنشط والمكره لشيخ الطريقة، والأخذ بوصايا أتباع الطريقة المتقدمين - وكلُّ ذلك بترديدٍ جماعي - وتنتهي بتقدم المبايعون لتقبيل يد شيخ الطريقة[1].



---

(١) انظر: طريقة البيعة في مقطع مصور على قناة الشيخ عبد العزيز الخطيب - شيخ الطريقة الشاذلية في الشام - في برنامج اليوتيوب بعنوان: البيعة على مشيخة الطريقة الشاذلية https://cutt.us/L7OFW

المطلب السادس: أبرز العقائد والشعائر الشاذلية.

• عقيدتهم في توحيد الله ﷻ تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- توحيد عامّة المسلمين: وهو الذي يعصم النّفس والمال في الدنيا، ويُنْجي من الخلود في نار الآخرة، وهو نفيُ الشّركاء والأنداد، والأشباه والأضداد.

٢- توحيد الخاصّة: وهو أنّ يرى الأفعال كلَّها صادرةً من الله تعالى وحدَه، ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال.

٣- توحيد خاصّة الخاصّة: وهو الوصولُ لمقام الفناء، حيث لا يرى في الوجود إلّا الله وحدَه، فتغيب عنه المخلوقات تكون هي والعدم سواء[(١)].

• عقيدتهم في النبي ﷺ: أنّه يعلم كلَّ ما يعلمه الله ﷻ - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا - ويقول بعضُهم كما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية: "حدثني الثقة من أعيانهم، أنهم يقولون: إن محمدًا هو الله". تنزّه الله عن ذلك[(٢)].

• ومن أشهر عقائد الشاذلية: غلوُّهم في أبي الحسن الشاذلي وزعمُهم بأنّه يعلم كلَّ ما يعلمه الله ﷻ ويقدر على كل ما يقدر عليه الله ﷻ - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا - وأنّه ورث ذلك من النّبيّ ﷺ[(٣)].

وممّا يروي عنه حين سأل من شيخك؟ فأجاب: "كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد، بل أعوم في عشرة أبحر: محمد، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وجبريل، وميكائيل، وعزرائيل، وإسرافيل، والروح الأكبر"[(٤)].

وكثيرٌ ممّا يروونه في كراماته مخالفٌ صريحٌ للعقيدة الصحيحة، مخالفين بذلك الكتاب والسّنّة؛ وذلك رغم القول المشتهر عن أبي الحسن الشاذلي: "إذا عارض كشفُك الكتابَ والسّنّةَ فتمسك بالكتاب والسّنّة ودعِ الكشف، وقل لنفسك إنّ الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسّنّة ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام والمشاهدة"[(٥)].

---

(١) انظر: الجواهر العجيبة لابن عجيبة (ص٢٢ وما بعدها)، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية (٢٠٠٧م).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/٢٠٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/٢٠٤).

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني (ص٢٩٣).

(٥) الطبقات الكبرى للشعراني (ص٢١٩).

• ادعاء العصمة للأولياء في بعض المواضع، فهم مصونون لا يعتري قلوبَهم شيءٌ من زيغ وغفلة، بل قلوبهم متوجه لله ﷻ، قال أبو الحسن الشاذلي: "الولي مُصان في أربعة مواطن: في الخواطر والوساوس في الصّلاة، ووقت الدعاء واللجأ إلى الله، ووقت نزول الشدائد، وعند تفريجها فهذه المواطن لا يخطر بقلوبهم ولا يتعلق فيها شيء سوى الله ﷻ"[١].

ويعتقدون أنّ المددَ الحاصل للأولياء هو من الحقيقة المحمّدية، وأنّ الأولياء هم مظاهر أنوار النّبوّة[٢]، ومن لم يصدّق بالأولياء فيخشى عليه من سوء الخاتمة، كما أنّ من يُكذّب الكرامات التي يدّعونها يكفر عندهم[٣].

ومن شدة غلوّهم في أوليائهم ادّعائهم بأن: نقص واحد منهم في زمنٍ ما يمنع المطر ويوقف نبت الشجر، إلّا أنهم لا ينقصون، فكلّما ذهب واحد استبدله الله ﷻ بخيرٍ منه أو مثله[٤].

• من شعائرهم: إقامة الحضرات في المساجد، يقومون فيها بالالتفاف حول شيخ الطريقة مرددين اسم الله المفرد (الله)، وبعض الابتهالات والاستغاثات البدعية والأدعية المختلقة المصحوبة باهتزاز الأجساد والرّقص والتّقافز[٥].



(١) رسالة الأمين في الوصول لرب العالمين لأبي حسن الشاذلي، ت: أحمد فريد المزيدي (ص٤٩)، ط: دار الحقيقة - القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م).

(٢) انظر: لطائف المنن للسكندري (ص٢٤).

(٣) انظر: لطائف المنن للسكندري (ص٢٧).

(٤) انظر: لطائف المنن للسكندري (ص٣٦).

(٥) انظر: طريقة البيعة في مقطع مصور على قناة حمزة كتان في برنامج اليوتيوب بعنوان: حضرة بمسجد نور الدين الشهيد في (٢٥) مارس (٢٠١٦)، برئاسة الشيخ عبد العزيز الخطيب، https://cutt.us/MIiKR

المطلب السابع: الأحزاب والأوراد المشتهرة في الطريقة الشاذلية.

- من أشهر أحزاب الطريقة الشّاذلية أحزاب تنسب إلى مؤسس الطريقة أبو الحسن الشاذلي وهي كثيرة ومتنوعة في أغراضها التي وضعت من أجلها، وأشهرها على الإطلاق: حزب البحر، والحزب الكبير، والحزب الصغير، حزب النور، حزب الشيخ وغيرها[١].
- ومنها: حزب أبو العباس المرسي، والوظيفة، الياقوتية، اللطيفية، وغيرها من الأوراد[٢].
- ومن أورادهم: قراءة سورة الواقعة بعد صلاة المغرب، ومناجاة ابن عطاء الله فجرًا.



(١) ذكرت هذه الأحزاب والأوراد في كتاب: النفحة العلية في أوراد الشاذلية لعبدالقادر زكي ط: مطبعة النيل- القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٢١هـ.

(٢) سيأتي فيها مزيد بيان وتوضيح في الفصلين القادمين بإذن الله.



المبحث الرابع: الطريقة البكتاشية

المطلب الأول: التعريف بالطريقة.

الطريقة البكتاشية، وتُلْفظ البكداشية والبكطاشية بلهجات مختلفة:

وهي طريقةٌ صوفيّةٌ شيعيّةٌ[١] مُشْتهِرةٌ وقديمةٌ، إلّا أنه تندر المؤلفات العربية فيها رغم استمرارها بالانتشار منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر.

وتنفرد هذه الطريقة عن باقي الطرق الصُّوفيَّة بتأثرها وامتزاجها مع المعتقد الشيعي وظهوره صريحًا في أصولها وفروعها، فنجد أنّ اسم علي بن أبي طالب وزوجه وأبناءه ﭭ وآل البيت ﭫ حاضرًا في الابتهالات والاستغاثات التي تردّدُها البكتاشية في حضراتها ومجالسها الدينية ومحافلها العامة[٢]، وقد عرّفها الشيخ عبدالرحمن عبد الخالق: بأنها: "طريقةٌ صوفيّةٌ شيعيّةٌ الحقيقة والمنشأ، ولكنها مع ذلك تربّت وترعرعت في بلاد أهل السّنّة في تركية ومصر"[٣].

والطريقة البكتاشية من أهم وأوسع الطرق الصُّوفيَّة انتشارًا في آسيا الصغرى وتركيا وبلاد البلقان[٤]، وانقسمت عن هذه الطريقة طريقة أخرى علوية صفوية باطنية تسمى بـ (القزلباش) وتعني العمائم الحمراء[٥]، ولا يُخفي أتباع القزلباش مرجعيتهم الصُّوفيَّة الشيعية ولا انتمائهم

---

(١) انظر: تعريف الطريقة البكتاشية في الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة العلية البكتاشية لأحمد سري بابا (ص:١٢و١٣)، ط: مطبعة الشرق– القاهرة، الطبعة الثانية (١٩٣٩م). والمذكرة التفسيرية لشرح الطريقة العلية البكتاشية لأحمد سري بابا (ص:٧) ملحقة بالرسالة الأحمدية ط: مطبعة الشرق– القاهرة (١٩٣٩م).

(٢) انظر: حلقة ذكر جماعية لأتباع الطريقة البكتاشية مصورة على قناة الاتحاد العالمي للمسلمين العلويين في برنامج اليوتيوب بعنوان: حلقة ذكر علوية بكتاشية (قزلباشية) من أوراد شاه إسماعيل الصفوي https://cutt.us/To7PB

(٣) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسّنّة (ص٤٣٣).

(٤) بلاد البلقان: منطقة جغرافية تقع في جنوب شرق وشرق أوربا، وتضم عددًا من دول أوربا الشرقية كـ (ألبانيا، وبلغاريا، والبوسنة والهرسك، وكوسوفو، ومقدونيا، والجبل الأسود)، وثلاث دول بمعظمها، وهي: كرواتيا، وصربيا، واليونان، وأربع دول بجزء منها فقط، وهي: رومانيا، وسلوفينيا، وإيطاليا، وتركيا الأوربية)، انظر: الموسوعة العربية الميسرة (ص٧٦٢)، ط: المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الأولى (٢٠١٠م).

(٥) انظر: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار للمؤرخ خليل إينالجيك، ترجمة:محمد الأرناؤوط(ص:٢٩٤).ط: دار المدار الإسلامي– بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠٢م).

للصفويين في إيران[١]، وكانوا من الضُّلَّال حيث هَجَروا الحجّ إلى مكّة المكرمة واتجهوا في حجّهم إلى أَرْدَبيل في إيران مسقط رأس صفي الدين الأَرْدَبيلي ومكان قبره[٢].

ويرتبط اسم الطريقة البكتاشية ارتباطًا وثيقًا بالقوات الإنكشارية[٣] والتي كانت سبب رئيسًا في انتشار الطريقة البكتاشية في أنحاء الدولة العثمانية، فظهر ذلك في تَغَلُّب الجانب السياسي على الجانب الديني فيها.

وتنتشر الطريقة البكتاشية في تركيا، وبلاد البلقان، ومصر ولها أتباع في الشام والعراق ولبنان، ومنها أقليات في الصّين واليابان وأمريكا، ومقرُّها الرئيس في وقتنا الحاضر في ألبانيا[٤].

وأصول الطريقة البكتاشية ثلاثة:

١- التلقين: وهو تلقين كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) للمريد أوّلَ انضمامه للطريقة.

٢- إلباس التاج: (التاج البكتاشي: عبارة عن لَبِدَةٍ بيضاءَ ذاتِ اثني عشر خطًا، ويسمى بالتاج الحسيني)[٥]، ويكون التّاج من الصوف الخالص، وتمثل هذه الخطوط الاثنا عشر عددَ (الأئمّة الاثني عشر) عند الشيعة.

٣- والأخذ باليد[٦]: ويقصدون بها المبايعة بين المريد والشيخ.



(١) سموا بالصفوية: نسبة إلى صفي الدين إسحاق بن جبريل الأَرْدَبيلي، والمشهور بقزلباش، صوفي، كان له زاوية بشيراز وله أتباع ومريدين. وهو جد الصفويون الذين ابتدأ أمرهم بالتصوف وانتهى بالرفض الغالي وذلك في عهد شاه إسماعيل بن حيدر الأَرْدَبيلي الذي كان لا يفتح بلاد إلّا ويقتل أهلها جميعًا وينهب أموالهم، وكاد يدعي الربوبية وكان يأمر عسكره بالسجود له، وفكان شرًا ووبالًا على أهل السّنّة إلى أن أهلكه الله ﷻ. انظر: سلم الوصول لطبقات الفحول (١/٢٩١و٣٥١)، وتاريخ الدولة العثمانية لخليل إينالجيك (ص٢٩٤).

(٢) انظر: تاريخ الدولة العثمانية لخليل إينالجيك (ص٢٩٧).

(٣) الإنكشارية هو اسم يعني: الجيش الجديد، الذي أنشأه أحد ملوك الدولة العثمانية السلطان أورخان العثماني ثاني سلاطين آل عثمان، ويتكون من أبناء الأسرى في الحروب العثمانية من أهل الذّمة وهم من أصول نصرانية، وأوكل الحاج بكتاش أمر دعوتهم للإسلام وتعليمهم وتهذيبهم لضمهم للجيش العثماني تحت مسمّى القوات الإنكشارية، فكان هذا أول التأثير البكتاشي على الجيش الإنكشاري. انظر: تاريخ الدولة العثمانية لخليل إينالجيك (ص٢٩٣).

(٤) انظر: حلقة عن الطريقة البكتاشية مصورة على قناة الجزيرة الوثائقية في برنامج اليوتيوب بعنوان: رحلة البكتاشي https://cutt.us/nsRZq

(٥) الرسالة الأحمدية (ص١٤).

(٦) انظر: الرسالة الأحمدية (ص١٣). وسيأتي بيان هذه الأصول لاحقًا في ذات المبحث.

المطلب الثاني: مؤسس الطريقة.

محمد بن إبراهيم الخليفة اليسوي الخرساني، ثم الرومي، الشهير بالحاج بكتاش، ويُرجِعون نَسبِهُ إلى آل البيت وإلى موسى الكاظم تحديدًا، ولد في سنة (٦٤٦هـ) في مدينة نيسابور بخرسان إيران.

كان سيّدًا، شريفًا، من أولاد بعض الأمراء، أتى بلاد الروم- تركيا الآن- وتوطّن فيها، فكثُر أتباعه، وكان من جملة أصحاب الكرامات، فزعموا أن من كراماته: أنّه حين رحل لبلاد الروم كان لا يمرُّ بمكان قَفْر إلّا أضحى مدينةً كبيرةً من كثرة الوافدين إليه للتّبرك به.

تلقى الحاج بكتاش العلوم عن الأستاذ لقمان برندا[١] خليفة أحمد يسوي[٢] أحد أولياء الصُّوفيَّة في نيسابور، كما تتلمذ الحاج بكتاش على يد رجل يسمى بابا إسحاق[٣] والذي قاد تمرُّدًا عام ٦٨٣هـ على الدّولة السّلجوقية وشارك فيه الحاج بكتاش، ومن هنا نجد الأثر السياسي الواضح على الطريقة البكتاشية.

ويُسمّى رئيسُ الطريقة البكتاشية المنتمي لنسل الحاج بكتاش بـ (جلبي). وأحمد يسوي هو من أشار على الحاج بكتاش أن يسافر إلى بلاد الروم - تركيا- لنشر طريقته الصُّوفيَّة، فسافر أولًا إلى النّجف في العراق، ثم حجّ البيت وزار المدينة النّبويّة، وسافر بعد ذلك إلى تركيا واستقر بها مؤسسًا طريقته. توفي سنة (٧٣٨هـ) وقبرُه بتركيا، وعلى قبره قبّةٌ كبيرةٌ مُزيّنة، وله تكيّة تُزار في المدينة التي تحمل اسمه (بكتاش/بكطاش) إلى وقتنا الحاضر[٤].



---

(١) قيل عنه: لم ترد له ترجمة في كتب التراجم التركية، ولم يذكر عنه سوى أنّه المرشد والمعلم للحاج بكتاش في نيسابور قبل هجرته لتركيا، وله تكيّة ومقبرة باسمه في مدينة هراة. انظر: هامش المتصوفة الأولون في الأدب التركي لمحمد كوبريلي، ترجمة: عبد الله إبراهيم (ص:١٠٥و١٠٦)، ط: المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠٠٢م).

(٢) أحمد يسوي بن إبراهيم بن محمود بير توركستان الصوفي، الزاهد، الشاعر، المعروف بخواجه أحمد إفتخار يسوي وأيضًا أحمد يسوي، مؤسس الطريقة اليوسوية في آسيا الصغرى، من مصنفاته: جواهر الأبرار من أمواج البحار، وله ديوان شعري يسمى بديوان الحكمة، توفي سنة إثنين وستين وخمسمائة هجرية. انظر ترجمته في: المتصوفون الأولون في الأدب التركي (ص:٧٧)، ومعجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (٦١٩/١).

(٣) وهو إسحاق الكفرسودي التركماني وإليه تنسب الطائفة البابائية، ادّعى النّبوّة وأنّه مرسل لبلاد الشام ومالطا، قتله السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني السلجوقي بعد أن ثار عليه. نقلًا عن: الفكر الشيعي والنزعات الصُّوفيَّة لكامل الشيبي (ص٣٧٢)، ط: مكتبة النهضة – بغداد، الطبعة الأولى (١٩٦٦م). ولم أقف على ترجمة أخرى له.

(٤) انظر ترجمته في: الشقائق النعمانية (ص١٦)، وسلم الوصول لطبقات الفحول (٣٨٣/١)، والرسالة الأحمدية (ص٧)، والمذكرة التفسيرية (ص٨)،وتاريخ الدولة العثمانية لخليل إينالجيك (ص٢٩٣)، والفكر الصوفي (ص٤٣٣).

المطلب الثالث: أبرز الشخصيات.

من أبرز الشخصيات المنتمية للطريقة البكتاشية:

باليم سلطان (لم أقف له على تاريخ وفاة)، وهو من قام بوضع أصول الطريقة، وشرح مراتبها ودرجاتها، ومراحل السلوك فيها[١]، وقيغوسز سلطان الشهير بأبي عبد الله المغاوري (ت٨١٨هـ) أول من دعا للطريقة البكتاشية وقام بنشرها في مصر، وأحمد سري بابا[٢] صاحب كتاب: (الرسالة الأحمدية في الطريقة العلية البكتاشية)، وغيرهم كثير.



المطلب الرابع: أبرز مؤلفات البكتاشية.

تندر المؤلفات العربية الخاصّة بالطّريقة البكتاشية ولم أقف إلّا على القليل منها، وإنّما يكثر الحديثُ عن الطّريقة البكتاشية ومنتسبيها في الكتب التي تناولت تاريخ الصُّوفيَّة في مصر، أو تاريخ الدولة العثمانية، وذلك للصلة الوثيقة بين مشايخ الطريقة البكتاشية وسلاطين الدولة العثمانية كما مر معنا.

وقيل: إنّ من مؤلفات مؤسس الطريقة كتابَ: (المقالات) كتبه بالعربية ثم تُرجم للتركية والألبانية، وكتابَ: (تفسير الفاتحة) كُتب بالتركية وتُرجم للألبانية[٣]، وكتابَ: (ولايت نامة) كتبه بالتركية.

ومن كتبهم المعتمدة (الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة العلية البكتاشية)، و(المذكرة التفسيرية شرح الرسالة الأحمدية) وكلاهما لأحمد سري بابا، وباقي كتبهم هي دواوين شعرية، كُتبت باللّغة التركية والألبانية، فالشّعر لديهم أهمُّ أركان أوراد الطّريقة التي يتناقلونها.



---

(١) انظر: تاريخ التصوف في الدولة العثمانية: الطريقة البكتاشية نموذجًا لممدوح غالب بري (ص٣٠)، ط: المركز الديموقراطي العربي - برلين، الطبعة الأولى (٢٠١٩م).

(٢) لم أقف على ترجمته وترجم لنفسه بـ: أحمد سري بن شاهين بن أحمد جوجول ولد سنة ١٣١٣هـ ألباني المولد والنشأة، استقدمه إلى مصر شيخه محمد لطفي بابا ليوليه المشيخة، فحضر إليها بعد أن طاف بالبلاد التي بها تكايا البكتاشية، وتنقل بين بلاد الأرناؤوط وبغداد وكربلاء والنجف الأشرف، واستخلفه شيخه وتنازل له عن المشيخة، وأصبح شيخًا للبكتاشية بمصر سنة (١٣٥٤هـ). انظر: الرسالة الأحمدية (ص٥٣).

(٣) انظر: الطريقة الصُّوفيَّة البكتاشية في ألبانيا عرض ونقد لبيلدار حجي (رسالة ماجستير في تخصص العقيدة -جامعة القصيم ١٤٣٧هـ) (ص١١٢).

المطلب الخامس: البيعة البكتاشية.

تُسمّى البيعة والعهد عند أتباع الطريقة البكتاشية بـ(الأخذ باليد)، وهي بيعةٌ سريّة تُقام في التّكايا خلفَ الأبواب المُغلقة ولا يكون بينهم غريبٌ لحديث شداد بن الأوس ﷺ الذي مرّ معنا[(١)]، وهي شرطٌ مُلْزِمٌ لمن أراد الدخول في الطريقة، ويتقدم المريد لمرشده عند البيعة مُطوّقَ العُنق بحبلٍ يُسمّى (حبل الفداء)[(٢)]، وتُعقد فيه ثلاثُ عقدٍ ترمز لـ (الله - محمد - علي)، ويأتي بعده التّلقين وارتداء الخِرقة من الشّيخ.

وللطّريقة عندهم عشرُ مقاماتٍ منها: مبايعة المرشد والتوبة، وأن يكون المريد طالبًا، وحلاقة الرأس وتقصير الثياب وغيرها من المقامات[(٣)].

تبدأ البيعة بتلاوة آية المبايعة، ثم الاستغفار والتّلقين وسؤال المريد هل يقبل التسليم لمرشدِه شيخِ الطريقة[(٤)].



المطلب السادس: أبرز العقائد والشعائر البكتاشية.

- من عقائدهم القول بوحدة الوجود، فهم يرون أنّ الأساس في الطريقة هو الحبّ الإنساني وهو ذات العشق الإلهي، لأنّ من يُحب نفسه يحب الله ﷻ، وحبه لله ﷻ يكون من خلال إيمانه بوحدة الوجود المكونة من الله والطبيعة والإنسان. تنزه الله عن ذلك[(٥)].
- التأثر بعقيدة التثليث النصرانية حيث يقولون بالتثليث في عقديتهم وهو عندهم: (الله - محمد - علي) فيلبسُونهما رداءَ الأُلوهية في ابتهالاتهم وأدعيتهم ويساوونهما بالله ﷻ. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا[(٦)].

---

(١) سبق ذكره بتمامه وتخريجه (ص ١٢٥) في هذا الفصل.

(٢) انظر: المذكرة التفسيرية (ص٢٤). ولحبل الفداء قصة خرافية يرويها البكتاشية: أن أحد أصحاب محمد الباقر: افتداه لما أمر هشام بن عبد الملك بقتله، فأشغل صاحبه الجند بصنع حبلٍ من صوف به ثالث عقد وشنق به نفسه، فلما ذهب الجند لمحمد الباقر وجدوه قد مات:. انظر ذات الصفحة من المذكرة التفسيرية.

(٣) انظر: المذكرة التفسيرية (ص١٥).

(٤) انظر: المذكرة التفسيرية (ص٢٤).

(٥) انظر: تاريخ التصوف في الدولة العثمانية (ص٣١ و ٣٣).

(٦) انظر: تاريخ التصوف في الدولة العثمانية (ص٣٢)، والطريقة الصُّوفيَّة البكتاشية في ألبانيا (ص١٩٨).

• الإيمان عند أتباع الطريقة البكتاشية هو: إقرار باللسان وتصديق بالجَنان بوجود الله تعالى ووحدانيته والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والبعث بعد الموت(١).

• يعتقدون بالأئمة (الاثني عشرية)، ويقدسونهم ويتبركون بهم، وعلى رأسهم عليّ بن أبي طالب ﷺ، ولشدة تعلقهم بهم فهم يقيمون الحداد في يوم عاشوراء حُزنًا على أحداث يوم كَرْبَلاء ويصومون عشرة أيام، ينقطعون عن شرب الماء، وأكل اللحوم والحلوى(٢).

• تدّعي البكتاشية الاهتمامَ بالجانب الدّاخلي الباطني للإنسان أكثر من الجانب الخارجي، فالعبادات الظّاهرة – كالصّلاة والصوم وغيرها – هي عبادات ليست ذاتَ أهمية، ولم يُلزم بها التّابعون للطّريقة، كما أن الخمر مباحٌ، ولا يلزم من النساء لُبْسُ الحجاب، والاختلاطُ مشروعٌ عندهم بين الرجال والنساء(٣).

وهذا ما نلاحظه في مجالس الذكر والحضرات لديهم:

فالحضرات مختلطةٌ، والنساءُ فيها متبرجاتٌ، وتجلس النّساء ملاصقاتٍ للرجال مع ما يكون في تلك الحضرات من تواجد وسماع للأهازيج والأشعار الغزلية، والعزف بالآلات الموسيقية(٤).

• غلوهم في الأولياء والأئمّة (الاثني عشرية) وتقديسهم إيّاهم: فيعظّمون قبور أوليائهم ويُولونها مزيدَ عناية واهتمام؛ فهي مسيجة ذات قباب ضخمة صيغت من الذهب وغُطيت بالموشحات الخضراء وزخرفت، فيحثّون الناس على زيارتها، ويدعونهم للسجود عندها ويتبركون بها ويستغيثون عندها في طلب حاجاتهم، حتى إنّه يحرم على زائر ضريح أحدهم أن يولّيه ظهره حال خروجه، ويَلْزَمُهُم تقبيل عتبة الضّريح وأبوابِه عند الدخول والخروج(٥).

---

(١) انظر: الرسالة الأحمدية (ص٥).

(٢) انظر: المذكرة التفسيرية (ص٢٣).

(٣) انظر: تاريخ الدولة العثمانية لخليل إينالجيك (ص٢٩٨).

(٤) انظر: حلقة ذكر جماعية لأتباع الطريقة البكتاشية مصورة على قناة الاتحاد العالمي للمسلمين العلويين في برنامج اليوتيوب بعنوان: حلقة ذكر علوية بكتاشية (قزلباشية) من أوراد شاه إسماعيل الصفوي https://cutt.us/To7PB

(٥) انظر: حلقة عن الطريقة البكتاشية مصورة على قناة الجزيرة الوثائقية في برنامج اليوتيوب بعنوان: رحلة البكتاشي https://cutt.us/nsRZq

• قولهم بالتسامح الديني: ويظهر هذا من تساهلهم في أمور الشريعة حتى يقبلهم الآخر، ومشابهتهم لكثير من عادات النصارى كالرهبانية والاعتراف للمرشد بالخطايا، وإباحتهم شرب الخمر، وإيقاد الشموع عند أداء العبادة، والبناء على القبور وتعليق الصور في دور العبادة – التكايا–[١].

وللبكتاشية احتفال خاصٌّ يقام بطريقة سرية خلف الأبواب المغلقة للتّكايا، وهو شبيه بالعشاء الأخير لدى النصارى حيث يتكون من النّبيذ والخبز والجبن ويَلْبَسُ فيه المريدون لباسًا خاصًّا[٢].

وشابهت البكتاشية النصرانية حتى ظن أهل بلغاريا أن البكتاشية شكل من أشكال النصرانية[٣].

• يُميز البكتاشية أنفسهم باللباس الأخضر ولُبْس الطّرابيش كبيرة الحجم مزيّنة بعصابة خضراء، وأوّلُ مقاليد الدخول في الطريقة البكتاشية التّلقينُ ولُبْسُ التاج البكتاشي والأخذ باليد.

• ومن شعائرهم لبس الجبة وهو قميص بلا أكمام[٤]، ولُبْسُ الأقراط في الأذن اليمنى لمن كان عازبًا من الرجال المتبتّلين فيهم[٥]، ويسمى العازف عن الزواج فيهم بـ(المتجرد) وهو ما يقابل (الرهبنة) عند النصارى، فالمتجرد البكتاشي يقيم في التكية ليخدم شيخها والمريدين والزائرين ولا يخرج منها أبدًا كحال رُهبان النّصارى في كنائسهم[٦].

• من شعائرهم السّجود بين يدي مرشد الطريقة عند أخذ العهود والمواثيق وعند الذكر، ويعلّلون ذلك بأن الله ﷻ قد أمر الملائكة بالسجود لآدم، وآدم يمثل الإنسان في أكمل صوره وهو ما وصل إليه المرشد. كما يزعمون أنّ السجود أثناء الأذكار البكتاشية يُجَنّب المريد الوقوعَ في الكبر[٧].



(١) انظر: تاريخ التصوف في الدولة العثمانية (ص٣٢)، والطريقة الصُّوفيَّة البكتاشية في ألبانيا (ص١٩٣).
(٢) انظر: الطريقة الصُّوفيَّة البكتاشية في ألبانيا (ص٢٠٦)
(٣) انظر: الطريقة الصُّوفيَّة البكتاشية في ألبانيا (ص١٩٢).
(٤) انظر: المذكرة التفسيرية (ص١٧).
(٥) انظر: تاريخ التصوف في الدولة العثمانية (ص٣٢)، والطريقة الصُّوفيَّة البكتاشية في ألبانيا (ص٢٠٥).
(٦) انظر: المذكرة التفسيرية (ص١٢).
(٧) انظر: المذكرة التفسيرية (ص٢٠).

المطلب السابع: الأحزاب والأوراد المشتهرة في الطريقة البكتاشية.

- **الذكر عند البكتاشية نوعين:**

١- الذكر الخفي: وهو الذّكر الذي تلقّاه أبو بكر الصديق ﵁ عن النبي ﷺ في الغار.

٢- الذكر الجهري: وهو الذكر الذي تلقاه عليّ ﵁ عن النبي ﷺ سرًّا[١].

- أورادهم ذِكْرٌ محضٌ في التمسك بأهداب الرسول ﷺ وآل بيته في كل مناسبة[٢]. وعلى خلاف باقي الطرق الصُّوفيَّة تندُرُ السّور والآيات القرآنية في أورادهم وأدعيتهم، واستبدلوها بالأشعار فهي حاضرة في كلّ محفل ومناسبة لديهم.

- الذكر عند البكتاشية بالقلب فقط: فهم يتجنبون البكاء والعويل، وتمزيق الثياب كحال باقي أتباع الطرق الصُّوفيَّة[٣].

- تسمى الأوراد والأدعية عند اتباع الطريقة البكتاشية بـ(الترجمانات)، وهي باللغة التركية المَشُوبة ببعض الفارسية، وقد تُرجم بعضها للعربية، فمنها:

١- دعاء نادِ عليًا: وهذا الدّعاء من اسمه يعرف فحواه، فهو دعاء واستغاثة ونداء يُتوجه به إلى علي ﵁ بطلب قضاء الحاجات وتفريج الكربات.

٢- دعاء الإقرار: وهو الدعاء الذي يُتلى عَقِبَ مبايعة المريد لمرشده.

٣- دعاء الأعتاب: ويُتلى عند دخول التّكية والسجود عند العتبة.

٤- دعاء الحزام: ويتلى عند تحزيم العُنُق بحبل الفداء.

٥- دعاء الضريح: وهو ما يقال عند الدخول إلى أضرحة الأولياء.

يُبدأ كل دعاء لدى البكتاشية بالبسملة والصلاة بصيغة: "اللهم صلّ على جمال محمد وكمال عليّ والحسن والحسين، صلوات الله عليهم أجمعين"[٤].



---

(١) انظر الرسالة الأحمدية (ص١٦).

(٢) انظر: المذكرة التفسيرية (ص١٤)

(٣) انظر: المذكرة التفسيرية (ص١٧).

(٤) انظر: المذكرة التفسيرية (ص٢٧)



المبحث الخامس: الطريقة النقشبندية

المطلب الأول: التعريف بالطريقة.

الطريقة النقشبندية: هي إحدى طرق الصُّوفيَّة المشتهرة، وهي فارسيةُ المنشأ واللغة(١).

وسميت بالنقشبندية نسبةً إلى مؤسسها محمد بهاء الدين البخاري المعروف بشاه نقشبند، و(نقشبند) لفظة فارسية تعني الرّسّام والنّقّاش على الأقمشة في اللغة التركية، وسمّى النقشبندية أنفسَهم بذلك؛ بزعم أنهم يسعون إلى نقش محبة الله ﷻ في قلوب المريدين بالذكر المتواصل والممارسات الصُّوفيَّة(٢). وكانت تسمى بالطريقة الصديقية نسبة لأبي بكر الصديق ﵁ فهم يُرجعون أصل طريقتهم وسندها لأبي بكر ﵁ فهو مؤسسها كما يزعمون، فخالفوا بقية الطرق الصُّوفيَّة التي تنتسب لآل البيت في سندها وسلسلة طرائقها، ثم سميت بالنقشبندية.

ومن أسمائها: (الطيفوريّة) نسبة إلى أبي يزيد طيفور بن عيسى البِسْطامي، و(الخواجكانية) نسبة إلى الخواجة عبد الخالق الغُجْدَوَاني(٣)، و(الأحرارية) نسبة إلى عبيد الله أحرار، و(المجددية) نسبة إلى مجدد الألف الثانية أحمد الفاروقي، و(المظهرية) نسبة إلى جان جانان الحنفي الدهلوي المظهر، و(الخالدية) إلى بهاء الدين خالد البغدادي النقشبندي(٤). وهذه الأسماء هي مسمّيات للطريقة على مرّ العصور ولكلّ حِقبة اسمٌ مع اجتماعها بالاسم الرئيس الطريقة النقشبندية(٥).

---

(١) انظر: البهجة السنية في آداب الطريقة الخالدية النقشبندية لمحمد الخاني (ص٤)، ط: مكتبة الحقيقة – إسطنبول (٢٠٠٢م).

(٢) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها لفريد آيدن (ص:٩)، ط: دار العبر– إسطنبول (٢٠٠٨م).

(٣) عبد الخالق بن عبد الجليل الغجدواني، رابع خلفاء يوسف الهمداني في طبقات خواجكان، ولد ودفن في غُجْدوان مدينة بالقرب من بخارى، ويعتبر من زعماء الطريقة النقشبندية، ومن خرافتهم أنّه تلقّن الذّكر من الخضر؛، توفي سنة أربع وسبعين وخمسمائة. انظر ترجمته في: طبقات الخواجكان (ص٦٧)، و الحدائق الوردية (ص١٦٠).

(٤) انظر: البهجة السنية (ص٢١ وما بعدها)، والطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها (ص٢٨).

(٥) انظر: النقشبندية نشأتها وتطورها لدى الترك لبديعة عبدالعال (ص٣٥)، ط: الدار الثقافية – القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠١٠م).

وتنتشر الطريقة النقشبندية في جميع أنحاء العالم، ومركز تواجد أتباعها بلاد القوقاز وبُخارى[١]، وسمرقند، وتركمان صحراء روسيا – الاتحاد السوفيتي سابقًا– وشبه القارة الهندية، والصين، حيث إنّ سادات الطريقة من تلك البلاد. كما تنتشر الطريقة في تركيا، وأوروبا، وإيران، ومعظم البلاد العربية خاصّة بلاد الشام والعراق [٢].



المطلب الثاني: مؤسس الطريقة.

بهاء الدين الشريف محمد بن محمد بن محمد الأويسي البخاري، المعروف بشاه نقشبند.

ولد في بُخارى عام (٧١٨هـ)، كانت نسبته في الطريق إلى السيد أمير كلال[٣]، وتلقن منه الذّكر حتى فاق شيخه وعَلَتْ همّتُه ففارقه إلى غيره، وتربّى أيضًا من روحانية الشّيخ عبد الخالق الغُجْدَوَاني. قلتُ: والتربية الروحانية هنا غيرُ حقيقة؛ بل هي تربية من الميّت للحي وهذا من مفردات الطريقة النقشبندية، فهم يعتقدون بالتواصل الرُّوحي بين الأحياء والأموات وتلقّيهم عن الأموات آدابَ السلوك والطريق، فيُنسبون لهم ويجتمعون بهم عند قبورهم، فما بين مولد النقشبندي ووفاة الغُجْدَوَاني (١٣٠) عامًا، وهذه النسبة الروحانية أعظم وأقوى اتصالًا من النسبة الجسمانية لدى أتباع الطريقة النقشبندية[٤].

ومن كرامات النقشبندي التي يزعمونها ما رُوي أنّ أُمّه قالت عنه: أنّه في عمر الأربع سنوات أشار إلى بقرة، فقال: هذه تلد عِجلًا أغرّ الجبين فكان كما كان.

---

(١) مدينة عريقة ذات تاريخ حافل، تقع في وسط آسيا بجمهورية أوزبكستان. انظر: موسوعة (١٠٠٠) مدينة إسلامية، لعبد الحكيم العفيفي (ص١٠٣)، ط: أوراق شرقية – بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠٠م).

(٢) انظر: النقشبندية نشأتها وتطورها لدى الترك (ص٤)، وموسوعة التصوف الميسرة (ص٢٤٤).

(٣) أمير كُلال بن السيد حمزة البخاري النقشبندي، خليفة الشيخ خواجه محمد بابا السيماسي، وأفضل أصحابه، وكُلال – بضم الكاف – من يعمل القدر والكوز. توفي بسوخار وهي مولده – قرية من قرى بخارى – سنة ثمانين وثمانمئة. انظر ترجمته في: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٣٤٥/١)، والفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص١٣١).

(٤) انظر: الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية لعبد المجيد الخاني (ص١٤)، ط: وزارة التربية – أربيل الطبعة الثانية (٢٠٠٢م).

ومنها: أنّ سبب تسمية الطريقة بنقشبند؛ لأنّ النّبي ﷺ وضع كفّه الشّريفة على قلب النقشبندي فصار نقشًا على قلبه.

ومنها: قدرته على الإحياء والإماتة، فقد كان في سَفَرٍ هو وصاحبٌ له، فسأله صاحبه: عن العبودية وإلى أي مدى تنتهي؟ فأجابه: تنتهي حين يقول السّالك لأحد مُتْ؛ فيموت في الحال. فقالها النقشبندي لصاحبه فمات! ثم تحيّر في أمره بعد مضي نصف النهار[١]، فأُلْهِم أن يقول: (يا فلان اِحْيَ)، فعاد صاحبه حيًّا صحيحًا!!

توفي سنة (٧٩١هـ) وعمره (٧٤) سنة، ودفن في بستانه في بُخارى، وأقام أتباعُه على قبره قبةً، وبنَوا ضريحًا له يزار إلى الآن[٢].



المطلب الثالث: أبرز الشخصيات.

نور الدين عبد الرحمن الجامي (ت٨٩٨هـ) صاحب كتاب (نفحات الأنس)، ومحمد بن سليمان البغدادي (ت٩٦٣هـ)، وأحمد السرهندي الفاروقي (ت١٠٣٣هـ) ويعتبر مجدد الألف الثانية للطريقة، أبو البهاء خالد ضياء الدين النقشبندي (ت١٢٤٢هـ) الملقب بالطيار ذي الجناحين، والذي يعتبر من مجدّدي الطريقة ونسبت له الطريقة الخالدية النقشبندية وهي مشتهرة الآن، ومحمد بن عبد الله الخاني (ت١٢٧٩هـ) صاحب كتاب: (البهجة السنية)، وعبد المجيد الخاني صاحب (ت١٣١٨هـ) صاحب كتاب: (السعادة الأبدية)، ومحمد أمين الكردي (ت١٣٣٢هـ) صاحب كتاب: (تنوير القلوب)، ويوسف النبهاني (ت١٣٥٠هـ) صاحب كتاب: (كرامات الأولياء).



(١) انظر في كراماته: الحدائق الوردية (ص١٩٣).

(٢) انظر ترجمته في: الشقائق النعمانية (ص١٥٤)، والحدائق الوردية (ص١٨٠)، ومجموعة أوراد وأحزاب النقشبندية – المقدمة (ص٨)، وطبقات الخواجكان (ص٩١). انظر: النقشبندية نشأتها وتطورها لدى الترك (ص٣٧).

المطلب الرابع: أبرز مؤلفات النقشبندية.

كانت اللّغة الفارسية هي الأصل في مؤلفات الطريقة النّقشبندية، وقد تُرجم بعضها للعربية مع الاحتفاظ ببعض الألفاظ الفارسية تبرُّكًا بها(١).

ومن كتبهم المعتمدة في الطريقة كتاب: (الحديقة النّديّة) لمحمد بن سليمان البغدادي، و(البهجة السّنيّة في آداب الطريقة الخالدية النقشبنديّة) لمحمد الخاني، و(السعادة الأبدية و(الحدائق الوَرْدية في حقائق أجِلّاء النقشبندية) لعبد المجيد الخاني، و(جامع الأصول) للكمشخانوي، و(المواهب السرمدية في مناقب السادة النقشبندية) لمحمد أمين الكردي.



المطلب الخامس: البيعة النقشبندية.

تختلف البيعة النّقشبندية عن سائر البِيَع في الطُّرق الصُّوفيَّة:

فهي تبتدأ باستخارة المريد قبل كلّ شيء، ويكرّرها إمّا ثلاث مرّات أو سبع مرّات قبل الدّخول بالطّريقة، ثم يُعلِمُ الشيخُ المريدَ التوبةَ على وجه الإجمال لا التفصيل، ثم يلقّنُه ذِكْرًا مناسبًا لحاله، ويبيّن له آداب الطريق وشرائطه.

• على المريد أن يعرف نسبةَ شيخه وسلسلةَ الطّريقة كلّها: من مرشده إلى النبيﷺ، حتى يستطيع طلب المدد من روحانيتاهم، فإن لم تتصل سلسلته إلى الحضرة النّبويّة كان مقطوعَ الفيْضِ، ولم يكن وارثًا للطّريقة من طريق النّبيﷺ(٢).

• ويكون العهد بجلوس المريد بين يدي شيخه متورّكًا، فيُبيّن الشيخ له محلّ القلب الصّنوبري من الجسد، ثم يستغفر الشيخُ ويتابعُه المريدُ خمسًا وعشرين مرّة، ثم يقرأ الفاتحة وسورة الإخلاص، ثم يأمر المريدَ بتغميضِ العينين والنظرِ إلى القلب بعين خياله، وكلُّ ذلك في مكان مغلقٍ لا يراهم فيه أحدٌ، فطريقتُهم مبنيّةٌ على السّرّ وصفاء الوقت من حضور من ليس منهم(٣).



(١) انظر: البهجة السنية (ص٤ و٩٠).

(٢) الهداية الخيرية في الطريقة النقشبندية لمحمد الكردي (ص٥)، ط: الحبانية (١٣١٦هـ).

(٣) نظر: البهجة السنية (ص٦٩).

المطلب السادس: العقائد والشعائر النقشبندية.

- يعتقد أتباعُ النّقشبندية بالاتحاد والحلول، ووحدة الوجود، وقدوتهم في ذلك محي الدين بن العربي[١].
- يعتقدون في الأسماء والصفات بعقيدة الأشاعرة والماتريدية[٢].
- الغلوُّ في الأولياء:

– فيعتقدون أنّ كلّ ما يظهر من الشيخ للمريد سواءٌ كان شرًّا أو خيرًا فهو ظاهر من الله ﷻ إمّا لهدايته وإما لامتحانه، وهذه أدنى مرتبة في علاقة الشيخ بالمريد.

– وأن يرى أنّ الشيخ هو صورةُ صفاتِ الله وأسماءِه – وهذه المرتبة الوسطى – حتى يصلوا بالمريد إلى أعلى مرتبة في الإرادة والسلوك وهي: ألّا يرى شيخه بالكلية وإنما يرى الله. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا[٣].

– وأن يكون مُستسلمًا منقادًا لشيخه ولا يعتقد أن يصل إلى الله إلّا عن طريقه وحدَه، وعليه خدمته بالمال والبدن وإلّا حُرِمَ الوصول، ومن الآداب مع الشيخ أن يسلب اختيار نفسه فلا يختار إلّا ما اختاره شيخه في العبادات والعادات وفي كل شؤونه[٤].

- يعتقدون بعالم الأرواح وحياة الأموات في قبورهم[٥].
- من عقائدهم تكفير من قال: بأن طريق الصُّوفيَّة لم يأت به كتاب ولا سنة صحيحة[٦].
- ومن شعائرهم عند الدخول في الطريقة الرابطة:

وهي (أن يتصور المريدُ صورةَ شيخه الكامل بين عينيه، ثمّ يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة، ولا يزول عن التوجه إليها حتى يحصل له الغيبة أو الجذبة)[٧]. وبهذا التخيل يصل المريد

---

(١) انظر: البهجة السنية (ص٩).

(٢) انظر: السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية لعبد المجيد الخاني (ص٥)، ط: مكتبة الحقيقة – إسطنبول (٢٠١٢م).

(٣) انظر: البهجة السنية (ص٨).

(٤) انظر: البهجة السنية (ص٤٢).

(٥) انظر: الحدائق الوردية (ص١٣).

(٦) انظر: البهجة السنية (ص٧).

(٧) البهجة السنية (ص٧٢).

إلى الله ﷻ ويتربّى المريد من الشيخ ولو كان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، فالرابطة تُدخل المريدَ في ولاية روحانية شيخه فتفيض عليه الكمالات والتجليات الإلهية[١].

• ومن شعائرهم عندَ الذّكر ختمُ الخواجكان: والخواجكان جمع فارسي لكلمة خواجة، وتعني الشيخ.

وختم الخواجكان هو: ما يَخْتِم به شيخ الطريقة مجلسَ الذّكر ويعلن به انصرافه منه. ويتكون هذا الختم من بعض الآيات القرآنية والأذكار والأدعية، ويشترطون لحضوره شرطان:

الأول: ألا يحضر فيه أمرد ولا أجنبي.

والثاني: أن يغلق باب مجلس الذكر[٢].

• من شعائرهم الذكر مع حبس النَّفس[٣]: وهي حركات شبيهة بما يصنعه ممارسو اليوغا[٤] في الديانات الشرقية، فالتنفّسُ العميقُ وتنظيمُ الأنفاس شبيهٌ بما يفعله النّقشبندية عند ترديد الأذكار مع حبس الأنفاس.

• ومن شعائرهم ما يسمى بالوقوف الزماني: ويقصدون به محاسبة النفس على كلّ ساعة تمرّ، فينظر ما الغفلة وما الحضور فيها، والوقوف العددي: وهو عبارةٌ عن رعاية العدد مع رعاية الذّكر القلبي، فيذكر المريدُ في نفس واحد الذّكرَ ثلاثَ مرات، ثمّ خمسَ مرات، ثم سبعَ مرات، إلى إحدى وعشرين، مع لزوم العدّ بالأعداد الفردية[٥].

• تنفرد النّقشبنديةُ بعقيدة الاتصال بالموتى الروحانيين (الأوسية): وسميت الأويسية نسبة إلى أويس القرني: فإنهم يزعمون بأنّ أويسَ القُرنيَّ قد تلقّى عُلومًا من النّبيّ ﷺ رغم عدم اجتماع أويس بالنبي ﷺ[٦]، وفي هذه العقيدة يأخذ الحيُّ من النقشبندية الطريقة عن الميت ولو بعدت بينهم القرون، ويجتمعون بالأموات عند قبورهم ويدعون مجالستهم والأخذ منهم.

---

(١) انظر: النقشبندية بين ماضيها وحاضرها (ص٥٩ وما بعدها).

(٢) انظر: السعادة الأبدية (ص٨).

(٣) انظر: طبقات الخواجكان النقشبندية لشعيب الباكّني (ص٧٣)، ط: دار الرسالة بدون تاريخ طبعة.

(٤) اليوغا: مَذْهَبٌ فَلْسفيٌّ هِنْدُوسيٌّ يهدف إلى السيطرة التامَّة على الجسد وضبط القوى الحيويَّة وبُلوغ الكمال وتدريب الضّمير ليصل إلى حالةٍ من البصيرة الرُّوحيَّة والسَّكينة، ومن ثمّ الاتّحاد مع الرُّوح عن طريق التصوُّفِ والتنسُّكِ وممارساتٍ فنيَّةٍ تقنيَّةٍ متنوّعةٍ كالجلوس طويلًا دون حركة والتأمُّل. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (ص٢٥٢٠)، ط: عالم الفكر - القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م).

(٥) انظر: طبقات الخواجكان (ص٧٥).

(٦) انظر: النقشبندية بين ماضيها وحاضرها (ص١٥١).

● ويعتقد النقشبندية أنّ التصوفَ وتعلُّمَ علمِ الباطن وآداب الطريقة فرضُ عينٍ على كلّ من لم يُرزقْ قلبًا سليمًا بالجذب الإلهي[١] والعلم اللّدني[٢].

● على خلاف بقيّة الطُّرق الصُّوفيَّة فإنّ النقشبندية تبتدأ من الأعلى إلى الأسفل في مقاماتها: فالجذب الإلهي يأتي أولًا، ثمّ تلحقه منازل السّلوك والإرادة، بمعنى يصل المريد إلى الله ﷻ، ثم يبدأ في سلوك الطريقة[٣].

ويَعتبِرون الوجد والذّوق والأحوال والسّماع والرّقص والذّكر الجَهُورِيّ هي من تُرّهات الصُّوفيَّة ولا يقبلونها ولا يجوّزونها فيهم[٤]. قلت: وهذ الأمر يخالف ما عليه حال النقشبندية في وقتنا الحاضر، فَحِلَقُ الذّكر عندهم مشابهةٌ لما عليه بقيّة الطّرق الصُّوفيَّة، ففيها السّماع والرّقص والتّمايل والصّراخ والذّكر الجماعي البدعي[٥].

● ومن شعائرهم وجوبُ اتخاذ شيخًا يوصله لله ﷻ وإلّا كان عاصيًا، لأنّه لا يهتدي للحقّ ولو حفظ ألفَ كتاب في العلم، ومن لم يكن له شيخ يوصله فالشّيطان شيخه[٦].

● الخلوة عند النقشبندية خَلْوَةٌ قلبيّة باطنيّة ولا يُقِرُّون بالخَلْوَة الظّاهرة، وهي الانعزال عن الخلق في مكانٍ خاص[٧].



(١) الجذب الإلهي يقصد به: جذب الله للعبد إلى حضرته وتفريده عناية منه، فيهيئ له اللهُ كلَّ شيء إليه في طيّ المنازل شطر الحق بلا كلفة ولا سعي منه. انظر الموسوعة الصُّوفيَّة لحفني (ص٨٩٢). قلت: وهذا لا أصل له، فإن الله ﷻ لا يقرب عبده منه إلّا إذا كان مُؤتمرًا بما أُمر ومُنتهيًا عما نُهي، ومُقبلًا غيرَ مُدبر على الطّاعات والقربات وما يحبه ﷻ.

(٢) انظر: البهجة السنية (ص٥).

(٣) انظر: البهجة السنية (ص١١).

(٤) انظر: البهجة السنية (ص١٢).

(٥) انظر: حلقة ذكر جماعية لأتباع الطريقة النقشبندية مصوّرة على قناة ذاكرين الله تعالى في برنامج اليوتيوب بعنوان: حضرة الحضرات اقوى الحضرات الروحانية الصُّوفيَّة النقشبندية بأشراف الشيخ رجب ديب https://cutt.us/qXxum

(٦) انظر: البهجة السنية (ص٧).

(٧) انظر: البهجة السنية (ص٩٤).

المطلب السابع: الأحزاب والأوراد المشتهرة في الطريقة النقشبندية.

- اختارت النقشبندية الذّكرَ الخفيَّ القلبيَّ في تلاوة الأذكار مستدلين بأفضليته بقوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٥]. ولأنّ الذّكرَ القلبيَّ لا يدخل فيه الرّياء ولأنّ القلب موضعُ الإيمان ومعدنُ الأسرار(١)، ويكون الذّكرُ لديهم على هيئة مخصوصة: فيجلس الذّاكرُ مُغْمضًا عينَيْه مُلصقًا اللّسان بسقف الحلْق، والأسنان بالأسنان، والشفة بالشفة، مطلق النفس، مستحضر في القلب معنى الذّكرِ وهو ذات الله تعالى، فيقول بداءةً وعند كلِّ مئة: (اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) ناطقًا بلفظ الجلالة (الله) مُجرَّدًا، مستمرًا به من غير انقطاع(٢).

- من أذكارهم ذكرُ النّفي والإثبات، ويقصدون به (لا إله إلا الله)، ولهم في قول هذا الذكر طريقةٌ تعتمد على الخيال بدعيةٌ لا أصل لها في شرع الله ﷻ:

حيث يتخيل الذاكر سريان كلمة التوحيد في جسده مع حبس الأنفاس من السرة صعودًا للكتفين والقلب(٣).

- من أورادهم ختمُ الخواجكان، وختمُ الإمام الرباني وهو شبيه بختم الخواجكان إلّا أنّه تستبدل الآيات بقول: (لاحول ولا قوة إلا بالله) خمسمائة مرة، ويقوله من بلغَ الكمال في المشيخة(٤).

- ورد الرفيعة العالية: وهي أورادٌ على حروف الهجاء لأسماء أصحاب بدر وأحد ﭫ، وورد الكُنى: يتوسلون به بأسماء الصحابة ش وكناهم، والأورادُ المولوّية، وحزبُ المَوْلَوي الصّغير، وحزبُ مناجاة الإمام الأعظم، وحزبُ حِرْز بسمله، وفاتحة الفقراء الأسبوعية، وغيرها كثير(٥).



(١) انظر: الهداية الخيرية (ص٦).

(٢) انظر: البهجة السنية (ص٨٣).

(٣)انظر: النقشبندية بين حاضرها وماضيها (ص٩٤).

(٤) انظر: السعادة الأبدية (ص١٠).

(٥) انظر: مجموعة أوراد وأحزاب الطريقة النقشبندية لبهاء الدين النقشبندي (ص١٥ وما بعدها).




المبحث السادس: الطريقة التيجانية

المطلب الأول: التعريف بالطريقة.

التيجانيةُ طريقةٌ صوفيةٌ مشتهرةٌ، يكثر أتباعُها في بلاد أفريقيا، سميت بالتّيجانية نسبة إلى مؤسس الطريقة أحمد التّجاني(١) كعادة جميع الطرق الصُّوفيَّة.

وتسمّى بالأحمدية التيجانية، وسمّيت المحمدية لزعمهم بأنّ التجاني أخذها عن النبي ﷺ مشافهةً يقظةً لا منامًا، وتسمّى أيضًا بالإبراهيمية الحنيفية نسبةً لنبي الله إبراهيم؛(٢).

ويزعم أتباعُ هذه الطّريقة البدعية الباطلة بأنّ سند طريقتهم يعود لعلي بن أبي صالب رضي الله عنه الذي أخذها عن النّبيّ ﷺ الذي أخذها عن جبريل؛ والذي تلقنها من الله. تعالى الله عن هذه الفرية علوًّا كبيرًا(٣).

تنتشر التّيجانية في شمال أفريقيا خاصّة الجزائر والمغرب حيث بلاد المؤسس ومكان قبره وزاويته، وانتشرت في بلاد السّنغال على يد تلامذته وغيرها من دول أفريقيا.



المطلب الثاني: مؤسس الطريقة.

أبو العباس، أحمد بن محمد بن المختار التجاني المضاوي، والتجاني نسبة إلى (بني توجين)، ويُرجعون نسبه لمحمد بن الحسن الملقب بالنفس الزكية:، ويتمادى التّيجانيّة في إلصاق نسبهم بآل البيت، حتى زعموا أنّ النّبيّ ﷺ قد شهد للتّجاني بذلك في رؤيةٍ رآها(٤).

ولد التجاني سنة (١١٥٠هـ) في قرية عين ماضي - في الجزائر - وترعرع فيها حتى ارتحل

---

(١) التجاني: بياء واحدة كما هو مثبت في كتب الطريقة المعتمدة. انظر: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني لعلي حرازم الغلاف و(١/٧)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٧م).

(٢) الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة لمحمد فتحا النظيفي (ص:٢٣و٢٤)، ط: دار الفكر – القاهرة، الطبعة الأخيرة (١٩٨٤م).

(٣) انظر: جواهر المعاني (١/٣٩).

(٤) انظر: جواهر المعاني (١/٢٦).

إلى مدينة فاس في المغرب، ثم تنقل بين البلاد الإسلامية ينهل من مشايخ الطرق الصُّوفيَّة، كان فقيها مالكيًّا عالمًا بالأصول والفروع، ملمًّا بالأدب، أخذ الطريقة عن الطيّب بن محمد اليملحي[١]، ثم تركها وأخذ الطريقة القادرية فتركها، وأخذ يتنقل بين الطرق الصُّوفيَّة التي كانت منتشرة آنذاك في بلاد المغرب، فكلّما دخل بلدة أخذ بطريقة أهلها حتى استقر على طريقته التي أسسها حين عاد إلى تلمسان- مدينة في الجزائر- وتبعه فيها جَمْعٌ من الناس، وأصبح له مُريدين وأتباعٌ حتى استفحل أمرُه واجتمع علماءُ البلد على الإنكار عليه وشكايته للسّلطان فتمّ طردُه منها، فانتقل إلى مدينة أبي سمغون - قصر مشهور في الصحراء الشرقية سُمّيَ على أحد أقطاب الصُّوفيَّة[٢] - وطُرِد مرّةً أخرى لمّا اشتهرت أباطيله وارتحل إلى فاس واستقر فيها إلى أن مات فيها عام (١٢٣٠هـ).

ويزعم علي حرازم[٣] أنّ أحمد التّجاني قد أخذ الإذن بتلقين الخَلْقِ وتربيتهم من النّبيّ ﷺ مباشرةً يقظةً لا منامًا، كما يزعم بأنّ النّبيّ ﷺ قد أولى أحمد التّجاني عنايته الخاصّة فأوصاه بترك جميع الطّرق، وأوصاه بترك الخلوة والاعتزال، وأن يترك جميع الأولياء، فهو ينهل من المعين الصافي من المصدر الأوّل النّبيّ ﷺ ولا يحتاج لواسطة في التّلقّي والعلم[٤].



(١) الطيب بن محمد بن عبدالله اليملحي العلمي، صوفيٌّ له زوايا كثيرة في بلاد المغرب توفي سنة ثمانين ومئة وألف ودفن ببلاد وازن. انظر ترجمته في: جواهر المعاني (١/٣٥).

(٢) انظر: جواهر المعاني (١/٤٠).

(٣) علي حرازم بن العربيّ برادة، فاضل مغربي من أهل فاس، صحب أحمد التيجاني ولزمه وأخذ عنه الطريقة، له «جواهر المعاني» في أخبار أبي العباس أحمد التجاني، وقد توفي علي حرازم قبل شيخه التجاني بالمدينة النبوية سنة ثمانية عشر ومئتين وألف. انظر: الأعلام (/) وإتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (١/٩٨).

(٤) انظر ترجمته في: الأعلام (١٠/٢٤٥)، وإتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (١/٨٤)، وجواهر المعاني (١/٤٠ وما بعدها)، وأضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه (ص٣٣ وما بعدها)، والدرة الخريدة (ص٢١).

المطلب الثالث: أبرز الشخصيات.

عليّ حرازم (ت١٢١٧هـ) تلميذ التجاني المقرّب وجامع كتاب (جواهر المعاني وبلوغ الأماني)، محمد بن المشرى (ت١٢٢٤هـ) من أشهر تلامذة التّجاني، عمر الفوتي السنغالي (ت١٢٨١هـ) وهو من نشر الطريقة التيجانية في بلاد السنغال وما حولها، الطيب بن محمد السفياني (ت١٢٨٦هـ) صاحب كتاب (الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية)، القاضي أحمد سُكَيْرِج (ت١٣٦٣هـ) صاحب كتاب (كشف الحجاب) في تراجم أعلام التيجانية.



المطلب الرابع: أبرز مؤلفات التيجانية.

(جواهر المعاني وبلوغ الأماني) لعلي حرازم الفاسي، و(الجامع لما افترق من العلوم الفائضة من القطب المكتوم) لمحمد بن محمد المشري، و(رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم) لعمر الفوتي السنغالي، و(كشف الحجاب) و(بغية المستفيد شرح منية المريد) لمحمد العربي السائح العمري، و(الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة) لمحمد فتحا السوسي النظيفي.



المطلب الخامس: البيعة التيجانية.

تزعمُ التيجانية أنّ بيعتَهم مأخوذةٌ عن النّبيّ ﷺ مباشرةً بلا واسطة، فسندهم أقصر الأسانيد بخلاف بقيّة الطّرق الصُّوفيَّة[(١)].

البيعة عند أتباع الطّريقة التّيجانية تختلف عن البِيَع في باقي الطّرق الصُّوفيَّة، فهي: بيعةٌ تُعقد في مجلس عام، يشترط فيه شيخُ الطّريق شروطًا للقبول في الطّريقة يتلوها متتابعةً، ثم يسأل المريدين عن مدى قبولهم بهذه الشروط، فيقولون: قبلنا.

وبهذا تنتهي المبايعة بين الشيخ والمريدين، وضمّ المريد الجديد لأتباع الطريقة. ومن شروط هذه البيعة:

١- أنّ من أخذ هذه الطّريقة لا يتركُها أبدًا، وعليه أن ينفرد بها ولا يجمع معها طريقةً أخرى.

---

(١) انظر: الردة الخريدة (ص١١٧).

٢- من أخذ الطريقةَ لا يزور الأولياء الأحياء أو الأموات زيارةَ تبرّك أبدًا، عدا ما يأذن به شيخُ الطّريقة من زيارة بعض أتباع الطّريقة.

٣- المحبّة الخالصة لمؤسّس الطّريقة وأبناءه وأتباعه والاقتداء بهم.

٤- الالتزامُ بتعاليم الإسلام الظّاهرة والباطنة: كالصّلاة والمحافظة على الطّهارة.

٥- الالتزام بأورادِ الطّريقة صباحًا ومساءً، ووظيفةِ يومِ الجُمُعة وأدائها في جماعة[1].



المطلب السادس: العقائد والشعائر التيجانية.

• يعتقد بعضُ خواصّ التّيجانية بعقيدة (وحدة الوجود)، ومنهم خليفة التّجاني علي حرازم الذي يقول في جواهره: (فكلُّ عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر فما عَبَدَ ولا سَجَدَ إلّا لله تعالى؛ لأنّه هو المتجلي في تلك الألباس)[2]، بينما نجد العامّة منهم جهلةً مقلّدين لا يفقهون شيئًا، وهم السوادُ الأعظمُ من هذه الطّائفة، ومنهم من يُنكر هذه العقيدة الفاسدة الباطلة[3].

• تعتقد التيجانية في باب الأسماء والصفات بعقيدة الأشاعرة[4].

• تعتقد التّيجانية في التفاضل بين تلاوة القرآن والصّلاة على النبي ﷺ؛ ولهم فيها أربع مراتب بحسب حال التّالي مع القرآن وهي:

- الأولى: حال العارف بالله الرّباني، الذي انكشفت له الحقائق والعلوم والمعارف، فهذا يسمع القرآن صريحًا من الله ﷻ في كلّ وقتٍ حالَ فنائه.

- الثانية: دون الأولى وهي حالُ من عرف معاني القرآن وألقى سمعه عند تلاوته فكأنّما الله ﷻ يقصّه عليه.

---

(١) انظر: حلقة عن البيعة التيجانية مصورة على قناة الزاوية التيجانية في برنامج اليوتيوب بعنوان: البيعة والتجديد/زيارة شيخ الإسلام الشريف إبراهيم الحسيني (٢٠) جمادى الأول (١٤٣٧هـ) https://cutt.us/Qsu4m.

(٢) انظر: جواهر المعاني (١/١٣٦).

(٣) انظر: هامش كتاب التيجانية: دراسة لأهمّ عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسّنّة لعلي دخيل الله السويلم (ص:٨٦)، ط: دار العاصمة - الرياض، الطبعة الثالثة (٢٠١١م).

(٤) انظر: جواهر المعاني (١/١٨٣)، وأضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه لعبد الباقي مفتاح (ص٤٧). بدون بيانات طبع.

- الثالثة: رجلٌ لا يعلم من معان القرآن شيئًا، إنّما هو يسرده سردًا فهو كحال الأعاجم.

وفي هذه المراتب الثلاث تكون تلاوة القرآن أفضل من الصلاة على النبيﷺ.

- الرابعة: رجلٌ يتلو القرآنَ سواءٌ علم معانيه أو لم يعلمها إلّا أنّه صاحبُ معصية متجرّئٌ على الله ﷻ، فكلّما زاد تلاوةً للقرآن زاد طردًا ولعنةً من الله ﷻ. فهذا الصلاة على النبيﷺ خير له من تلاوة القرآن الكريم(١).

قلت: وهذا التفاضل باطلٌ من كلّ وجه؛ فكلام الله ﷻ لا تصحّ مفاضلته مع أيّ كلام لا في حقيقته ولا في تلاوته؛ مهما بلغ شأنُ ذلك الكلام أو علَتْ منزلة قائله سواءٌ كان قائلُه نبيًّا مرسلًا أو مَلَكًا مقرّبًا.

فكلام الله ﷻ لا يُعادلُه شيءٌ في صدقِه، وإحكامه، وفضلِه، وبركتِه، وإعجازِه، وتفرُّدِه، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الإسراء:٨٨]. كما أنّ في تقسيمهم هذا تحجيرٌ لواسع؛ ففضل الله ﷻ عظيم، ورحمته وسعت كلَّ شيء، والعاصي تحت رحمة الله ﷻ إن شاء نفعه بالقرآن العظيم على ما معه من الذنوب والمعاصي، وإن شاء حجب نفعَه عنه حكمةً وعدلًا منه سبحانه.

وفي قولهم: (زاد طردًا ولعنة من الله) تقوّلٌ على الله ﷻ، فلا دليل على قولهم هذا، ولم يأت في نصوص الشّرع أنّ من قرأ القرآن وهو يعصي الله ﷻ يعاقب بالطّرد واللعن من الله ﷻ؛ بل يُرجى للعاصي قارئ القرآن أن يتوب ويغفر له بتلاوته لكتاب الله الكريم، وله أجر ما قرأ من القرآن إن كان مُخلصًا لله ﷻ. والأدلة على فضل تلاوة القرآن الكريم كثيرة منها؛ قوله ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان. أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما. اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»(٢).

---

(١) انظر: جواهر المعاني (١/١٣١و١٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٦/٣٣٠) رقم (١٨٧١).

● تعتقد التّيجانية أنّ محبة الله ﷻ نوعان: محبةٌ خاصّة بالمؤمنين، ومحبةٌ عامّة تشمل جميع الخلق حتى الكفّار فهم محبوبون عنده ﷻ(١).

قلت: وهذا مخالف لصريح القرآن الكريم الذي يبيّن أنّ من تلبّس في الكفر فقد خرج عن دائرة محبة الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۝٢٧٦﴾ [سورة البقرة:٢٧٦]. وبهذا القول مساواة بين الإيمان والكفر فكلاهما في مفهوم التيجانية داخلٌ في محبّة الله ﷻ، ومحبّة الله ﷻ أعظم ما يطلبه ويرجوه الخلق، وفيه كذلك التهاونُ والإجتراءُ على فعلِ ما يُبغض الله ﷻ من الأقوال والأفعال، وأعظمها الكفر.

● ويعتقدون بالمقام المحمّدي: وهو منزلة لا تكون إلّا لخاصّة الخاصّة حيث يلتقون فيه بالنّبيّ ﷺ وينقلون عنه يقظةً لا منامًا، ويزعمون أنّه مقامٌ خصّ الله ﷻ به التّجاني فلا يدركه أحدٌ قبله ولا بعده(٢).

● من عقائدهم الفاسدة غلوّهم في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأنّه منبع العلوم، حتى قال فيه التّجاني كما نقل عنه: "ما يصل شيء في الوجود من العلم مطلقًا إلّا من صهريج عليّ رضي الله عنه، لأنّه باب مدينةِ علمِه ﷺ، لا من الخلفاء الأربعة ولا الصحابة أجمعهم"(٣).

● الغلوّ في الأولياء، وزعمُهم معرفتِهم بالغيب والتّصرفِ في الأكوان وعلى رأسهم التجاني(٤)، وأنّ القطب هو خليفةُ الله في جميع الوجود جملةً وتفصيلًا(٥)، وادّعاء التّجاني المنزلةَ العليّةَ عند الله ﷻ(٦)، وأنّه هو خاتَمُ الأولياء الخاتَمُ المحمّديُّ النّائبُ عن الحقيقة المحمّدية والبرزخُ بين الحق والخلق(٧).

ومن أعظم الكذب والافتراء والتقوّل على الله ﷻ الذي ينسب للتّجاني قوله: "فلا يقدر أحدٌ من الرّجال أن يُدخل أصحابَه الجنّة بلا حساب ولا عقاب لو عملوا من الذنوب ما

---

(١) انظر: جواهر المعاني (١٣٤/١).
(٢) انظر: الدرة الخريدة (ص٢٣و٦٧و١٢٩).
(٣) انظر: جواهر المعاني (١٥٢/١).
(٤) انظر: الدرة الخريدة (ص٦٦).
(٥) انظر: جواهر المعاني (٢٩٠/٢).
(٦) انظر: جواهر المعاني (٢٩٩/٢).
(٧) انظر: الدرة الخريدة (ص٢٥).

عملوا إلّا أنا وحدي" مدّعيًا أنّ النّبيّ ﷺ من أخبره بذلك[١].

• يشترط التّيجانيّة خلوَّ المريد من أوراد شيخ آخر غير التّجاني وأن يكون منسلخًا وتاركًا لجميع الطرق في حال رغبته الانضمام للطريقة، قال التجاني على لسان النبي ﷺ: "لا يصلك شيء إلّا على يدي، فاترك عنك جميع الأولياء"[٢].

• من شعائر التيجانية عدم السماح للمريد بزيارة أحد من الأولياء الأحياء منهم أو الأموات إلّا من أذن الشيخ بزيارتهم وهم الأنبياء والنبي ﷺ وأتباع الطريقة[٣].

• من شعائرهم استحضار صورة القدوة بين يديه والأكمل استحضار صورة النبي ﷺ عند تلاوة الأوراد[٤].



المطلب السابع: أبرز الأحزاب والأوراد المشتهرة في الطريقة التيجانية.

• تنقسم الأورادُ عند التيجانية إلى:

١- أورادٍ غير لازمة.

٢- وأورادٍ - تسمّى بالوظيفة - لازمة، لابدّ من الإتيان بها.

فمن الأوراد اللّازمة وردُ يوم الجمعة، حيث يذكر المريد الهيللة (لا إله إلّا الله) من بعد صلاة الجمعة إلى غروب الشمس، ويجب فيها الجماعة، فإن كان في بلد لا يَعْرِفُ فيه أحدًا يقول وردَه وحدَه[٥].

• من أشهر أوراد التيجانية أورادُ الزّاوية، وهي:

صلاة الفاتح لما أغلق، وجوهرة الكمال لمن أراد رؤية النبي ﷺ، وياقوتة الحقائق في التعريف بسيد الخلائق، الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية، الحرز اليماني وهو دعاء السيفي،

---

(١) الدرة الخريدة (ص٨٧).

(٢) الدرة الخريدة (ص١١٩و١٣٢).

(٣) انظر: رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لعمر الفوتي (ص١٥٠) بهامش كتاب جواهر المعاني، ط: المحمودية - القاهرة، لطبعة الأولى (١٣١٨هـ)، نسخة قديمة.

(٤) انظر: جواهر المعاني (٩١/١).

(٥) انظر: جواهر المعاني (٩٢/١).

حزب البحر، الأسماء الإدريسية، استغفار الخضر، صلاة رفع الأعمال، المسبعات العشر: وهي أوراد يتلى كل واحد منها سبع مرات، دعاءٌ ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب، وظيفة اليوم والليلة، دعاء لرؤية النبي ج يقظةً بعد موته[١].



(١) سيأتي مزيد بيان لهذه الأذكار في الفصل الثالث والرابع بإذن الله.



المبحث السابع:
الطريقة الختمية

المطلب الأول: التعريف بالطّريقة.

الطريقة الختميّة هي إحدى الطّرق الصُّوفيَّة، التي نشأت في القرن الثالث عشر الهجري، وسميت بالختمية نسبة إلى مؤسسها محمد عثمان الميرغني الملقب بالختم؛ أي خاتم الأولياء.

كما تسمى بالطريقة الميرغنية، وهي طريقةٌ متوارثةٌ من الآباء إلى الأجداد، ويُسمّى شيخُ الطريقة (خليفةَ الخلفاء)، وهو أكبر الإخوان سنًّا، والخلفاء هم مشايخ الطريقة المتفرقون في البلاد[(١)].

وهي خليطٌ من عدّة طرق: النقشبندية والقادرية والشاذلية والجنيدية والميرغنية[(٢)]، تأسست الطريقة أوّل أمرها في السودان[(٣)]، ومنه انتشرت في باقي البلاد الأفريقية كمصر، وأرتيريا، وأثيوبيا، وكان لها أتباعٌ في اليمن والحجاز[(٤)].



المطلب الثاني: مؤسس الطريقة.

محمد عثمان بن محمد أبي بكر بن عبد الله الميرغني المحجوب، المكي بلدًا، الحُسيني نسبًا، الحنفي مذهبًا، وُلد بالطّائف سنة (١٢٠٨هـ)، توفي والده وعمرُه عشر سنين، فتولّى عمّه رعايتَه فأخذ عنه الفقه والحديث والتفسير واللغة، فأتقن جميع هذه الفنون.

تاقت نفسُه إلى أن يقف على حقيقة طرق الصُّوفيَّة، فتعلمها وأخذها عن شيخه أحمد

---

(١) انظر: الرسائل الميرغنية – رسائل في الذكر والآداب والسلوك والتصوف – تحتوي على سبع عشر رسالة، لعبد الله الميرغني المحجوب، ومحمد عثمان الميرغني الختم، وجعفر الصادق الميرغني (ص:٢٣٦)، ط: مجموعة نقشجم العلمية، إصدار رقم (٧) ٢٠١٨م.

(٢) انظر: النفحات المكية واللمحات الحقيقية ضمن الرسائل الميرغنية (ص:٢٥٦).

(٣) الهبات المقتبسة لإظهار المسائل الخمسة ضمن الرسائل الميرغنية (ص:١٩٤).

(٤) انظر: الموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني (ص:٦٨٧).

بن ادريس[(١)]، وعن بعض مشايخ الطرق الصُّوفيَّة، فتنقل بين النقشبندية والقادرية والشاذلية والجنيدية والميرغنية، وهي طريقة جدّه عبد الله الميرغني، فنشرها في الأقطار الحجازية ثمّ رحل إلى صعيد مصر وأقام في هذه البلاد مدّةً يسيرةً، ثم توجه إلى بلاد السودان فأكرمه أهلها، فوضع أساس طريقته فأخذوا الطريقة عنه وذاع صيته في البلاد، ثم عاد للحجاز وأقام ابنَه الحسنَ محلَّه في السّودان لنشر طريقته، من مؤلفاته (تاج التفاسير لكلام الملك الكبير)، كانت وفاته بالطائف سنة (١٢٦٨هـ)[(٢)].



المطلب الثالث: أبرز الشخصيات.

إنّ من أشهر أعلام الطّريقة الختميّة أبناءَ مؤسّس الطّريقة:

محمد سرّ الختم بن محمد عثمان الميرغني (ت١٢٨٠هـ) بعثه والده لليمن وحضرموت للدعوة إلى الطريقة الختمية، قام بإنشاء التكية الميرغنية في مصر القديمة عام (١٢٧٦هـ)، والحسن بن محمد عثمان الميرغني (ت١٢٨٦هـ) بعثه والده لنشر الطّريقة الختميّة في السّودان، وأسس قرية الختميّة كمركز للطّريقة فيها، ومحمد عثمان تاج السّرّ بن الحسن بن محمد عثمان الميرغني (ت١٣٠٣هـ)، وعلي بن محمد عثمان تاج السر (ت١٣٨٨هـ)، ومحمد عثمان بن علي الميرغني زعيم الطريقة الختمية في وقتنا الحالي.



(١) أحمد بن ادريس المغربي الحسيني، فقيه، صوفي، شاذلي الطريقة، صاحب الطريقة الإدريسية الأحمدية المعروفة بالمغرب، ولد بالقرب من مدينة فاس بالمغرب، ثمّ ارتحل إلى مكّة فالمدينة، ثم إلى زبيد باليمن، من مؤلفاته: «العقد النفيس في نظم جواهر التدريس في التصوف». توفي سنة ثلاث وخمسين ومئتين وألف. انظر ترجمته في: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص٢٠٦)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/٥٦٦).

(٢) انظر ترجمته في: الأعلام (٢/٢٦٢)، ومعجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٢/٥٧٤)، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة (٢/١٨٢٩)، ومعجم المؤلفين الصوفين (ص٣٩٧).

المطلب الرابع: أبرز مؤلفات الختمية.

تتفرد مؤلفات أتباع الطريقة الختمية بندرتها وقلّة تداولها، وأغلبها عبارةٌ عن دواوين شعر في المدائح النبوية ومدائح الأولياء، أو مخصّصةٌ للأوراد والأذكار الختمية ومنها: (مجموع الأوراد الكبير) و(فتح الرسول ومفتاح بابه للدخول لمن أراد الوصول) و(فيوض البحور المتلاطمة) و(الأساس والراتب) للمؤسس، و(العقود الفائقة الدرية في بث قصة الإسراء بسيد ولد عدنان) لجعفر الصادق بن محمد عثمان الميرغني.



المطلب الخامس: البيعة الختمية.

يشترط في البيعة الختمية:

أن يغتسل المريد كغسل الجنابة، على نية التوبة من كل الذنوب، يوم الأربعاء، بأمر شيخ الطريقة، وأن يصلي بعدها المريد ركعتين يقرأ فيهما سورتي الكافرون والنصر بعد الفاتحة، وتُقامُ البَيْعَة في الطّريقة الختمية في مجلس عامّ يتصدّره شيخُ الطّريقة، يأخذ به العهود من المريدين بصورة جماعية بعد تلاوة نصّ البيعة وهو: (اللهم إني تبت إليك ورضيت بسيدي السيد محمد عثمان شيخًا لي، في الدنيا والآخرة ثبتني اللهم على محبته وعلى طريقته، في الدنيا والآخرة، بحق سيدنا محمد بن عبد الله بن عدنان...)[1].



---

(١) انظر: النفحات المكية ضمن الرسائل الميرغنية (ص٢٨٠)، وحلقة عن البيعة الختمية على قناة محمد أزهري في برنامج اليوتيوب، بعنوان: بيعة الطريقة الختمية – السيد محمد عثمان الميرغني https://cutt.us/6m8mD

المطلب السادس: العقائد والشعائر الختمية.

• تعتقد الختمية بعقيدة (وحدة الوجود)، فمن أورادهم التي يلتزمونها في السَّحَر قولُ الميرغني مؤسس الطريقة: (إلهي شرّفني بشروق نور لاهوتيتك في ناسوتي، وشمني ذلك حتى لا أرى ولا أسمع إلا بك في رَغْبُوتي ورَهْبُوتي، واشدد قوتي بذلك حتى أفوز برَحْمُوتي)[١]، وتمتلئ قصائدهم ومدائحهم بألفاظ الوحدة، والفيض، والفناء.

• من عقائدهم إمكانية حصول التجلي الرباني[٢] من الله ﷻ في الدنيا للمريد، وذلك بصيام نهار عشرين يومًا وإحياء ليلها بالذكر والخلوة فيها، قال مؤسس الطريقة محمد عثمان الميرغني نقلًا عن ابن عربي الحاتمي: "فمن أراد من المتحققين الصديقين أن يناله – يعني التجلي الرباني– فليصم نهاره، وليُحيي بالذّكر ليلَه وخلوَتَه عشرين صباحًا بمساءها، على ترتيب الحكمة في إجرائها، وبعد العشرين فارقب الواردَ الأقدسَ، ونفسَ الرّحمن الأنْفس، إلى أن تُقضى ثلاثون، ولا تكتحل مُقْلَتَيْكَ فيه بنوم"[٣].

• القول بـ(الحقيقة المحمّدية)، وأنّ العوالم كلها ظهرت من النبي ﷺ ومن نوره خلقت[٤].

• القول (برؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته)، ونقلوا الإجماع على ذلك، قال محمد عثمان الميرغني: "أجمع أهل الله على جواز رؤيته ﷺ يقظة، وأنكرها بعض أهل الرسوم". يعني العلماء الربانيين من أهل السّنّة والجماعة[٥].

فمن أراد أن يرى النبي ﷺ يقظةً: فعليه بصلاة ركعتين يقرأ فيهما سورتي الانشراح والقدر، ويقول ثلاثًا وستين مرةً بعدها: " اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، بقدر عظمة ذاتك يا أحد"[٦]، وتدعي الختمية حضور النبي ﷺ المولد حقيقةً[٧].

---

(١) مجموع الأوراد الكبير لمحمد عثمان الميرغني (ص٦٥)، ط: مجموعة نقشجم العلمية – إصدار رقم (٤) (٢٠١٨م).

(٢) التجلي عندهم: هو ما يرد على قلوب العارفين من أنوار جمال المعين – بمعنى تجلي الذات الإلهية. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. انظر: شرح توسل تراكم الأنوار بأسماء أكابر العارفين الملحق بفيوض البحور المتلاطمة لمحمد عثمان الميرغني (ص١٧٥)، ط: مجموعة نقشجم العلمية، إصدار رقم (١٠) (٢٠١٨م).

(٣) فيوض البحور المتلاطمة لمحمد عثمان الميرغني (ص٣٠)

(٤) انظر: النفحات المكية ضمن الرسائل الميرغنية (ص٢٩٨).

(٥) فيوض البحور (ص٥٤).

(٦) فيوض البحور (ص٥٦).

(٧) انظر: النفحات المكية ضمن الرسائل الميرغنية (ص٢٥٢).

• الغلوُّ في الأولياء: فيصفونهم بصفات الألوهية كإحياء الموتى والتصرف في الأكوان، ومنها: قول محمد عثمان الميرغني في جدّه عبد الله الميرغني أنه: "كان من الأولياء العارفين، والعظماء المقربين، تَصَرّف في عصره، وتحكَّم وظهر بالسّطوة الإلهية"(١)، ويستغيثون بهم في كل أحوالهم وحاجاتهم(٢).

• الاعتقاد بالمعراج الرُّوحي للأولياء: فمن صفات المرشد الروحي في الطريقة الختمية أن يكون له معراجٌ روحيٌّ يحصل له منه التّجلي الإلهي(٣).

• القول بالتفسير الإشاري الباطني كما جاء في تفسيرهم لكلمة (آمين) بعد الفاتحة: فكلُّ حرفٍ من حروفها اسم لنبيّ: الألف (آدم)، الميم (محمد)، الياء(يحيى)، النون(نوح)(٤).

• الخلوةُ في الطّريقة الختمية هي من أركان الطّريقة ومن وسائل الحصول على التّجلّي الإلهي، ووسيلة لرؤية النبي ﷺ يقظةً(٥).

• من شعائرهم الحولية: وهي مناسباتٌ اجتماعيّة دينيّة، يجتمعون فيها لإحياء ذكرى وفاة ساداتهم من الأولياء، فكلّما مات أحدُ الأولياء التّابعين للطّريقة الختمية، أقاموا له احتفالًا وذكرى سنويّةً تتكرّر كلَّ عام في ذات الوقت، يكيلون له فيه المدائح والقصائد ويعلقون فيها الرّايات وهي أشبه بالموالد التي تُقام في باقي الطّرق الصُّوفيَّة(٦).

• من شعائرهم ترتيب الأجور العظيمة على ترديد الأبيات الشعرية بأعداد معينة ولزوم ذلك وجعله من أعمال اليوم والليلة للمريد الختمي، وهي من الأوراد اللّازمة التي يجب المحافظة عليها(٧).



(١) فيوض البحور (ص١١٧).

(٢) انظر: قصيدة «توسل تراكم الأنوار بأسماء أكابر العارفين» بتمامها، الملحقة: بفيوض البحور المتلاطمة (ص١٦٧).

(٣) انظر: الهبات المقتبسة ضمن الرسائل الميرغنية (ص١٩٥).

(٤) انظر: فيوض البحور (ص١٢٨).

(٥) انظر: فيوض البحور (ص٣٠).

(٦) انظر: حلقة عن الحوليات الختمية على قناة النيل الأزرق في برنامج اليوتيوب، بعنوان: الذكري السنوية (٥١) لمولانا السيد علي الميرغني https://cutt.us/cMpSA

(٧) انظر: شرح (التّوسل بأسماء الله الحسنى)، لمحمود المأمون الصّادق، الملحق: بفيوض البحور المتلاطمة (ص:١٣٦ وما بعدها).

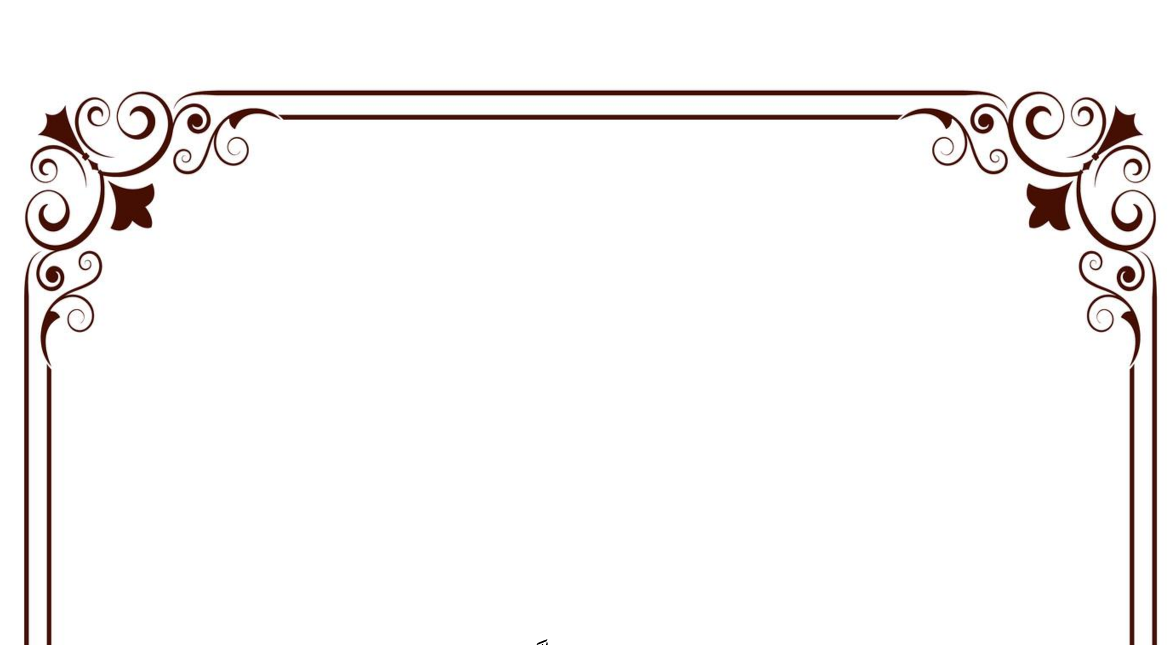
المطلب السابع: أبرز الأحزاب والأوراد المشتهرة في الطريقة الختمية.

● الأوراد الختمية تختلف عن باقي أوراد الطّرق الصُّوفيَّة، فهم يجعلون القصائدَ الشّعرية والمدائحَ المحمّدية – قصائد في مدح النبيﷺ – أساسًا في أورادهم وعمل اليوم وليلة عندهم، ويرتبون عليها الأجور العظيمة، إضافة إلى تلاوة بعض الآيات والأدعية.

من أحزابهم: (الأساس) الذي يُقرأ عَقِبَ الصّلوات المفروضة، وحزب الأنوار المتراكمة، وفتح الرسول، وحزب الفتح، وحزب النصر، وتوسل حبل الوصال بأسماء الله الحسنى، وتوسل بأسماء النبيﷺ، والصلاة الذاتية، و(الشكية) وهي قصيدةٌ يشكو فيها الميرغني للنّبيّﷺ حالَه، وأحزاب بعدد أيام الأسبوع، لكل يوم حزب خاصٍّ به[1].



(١) انظر: فتح الرسول (ص:١١ وما بعدها)، ط: مجموعة نقشجم العلمية، إصدار رقم (٢) (٢٠١٨م).



الفصل الثَّالث: الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة بين التَّأصيل والنَّقد

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأوَّل: الأحزاب الأوراد الشَّرعيَّة وضوابطها.

المبحث الثَّاني: الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة نشأتها وأسماؤها واستخداماتها.

التّمهيد

إنَّ مِنْ أجلِّ القُربات وأعظمها منزلةً عند الله ﷻ ذكره سبحانه، وجاء الحثُّ عليه والتَّرغيب فيه بنصوص الشَّرع الحكيم، ففي كتاب الله ﷻ آياتٌ كثيرةٌ جاءت بأساليب متنوِّعةٍ؛ تُبَيِّنُ عِظَمَ قدر الذِّكر وأهمِّيَّته في حياة المسلم، وما يترتَّب عليه مِنْ أجورٍ عظيمةٍ، قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٥].

وقال تعالى في الحثِّ على الإكثار مِنْ ذكره ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الأحزاب:٤١-٤٢]، وقال تعالى أيضًا: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة العنكبوت:٤٥].

وفي عظيم فضل الذِّكر وأنَّ الله ﷻ يتفضَّل على عباده فيذكر مَنْ يذكره ﷻ؛ قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة البقرة:١٥٢]. وأقوال أهل العلم في فضله وبركته ومكانته مستفيضةٌ في كتبهم ومقالاتهم.

والذِّكر هو: "الحفظ للشَّيء تَذْكُرُه... والذِّكر: جريُ الشَّيء على لسانك"(١)، فكلُّ ما جرى على اللِّسان ويكثر ترديده هو ذكرٌ، ومَنْ أَحَبَّ شيئًا أكثر مِنْ ذكره، فبقدر ما يَقَرُّ في القلب مِنْ محبَّةٍ لله ﷻ يجري على اللِّسان ذكره ﷻ؛ ولا يكون ذلك إلَّا لِمَنْ شُغِلَ قلبه وفِكره بذكره وتدبُّر آياته والوقوف على عظمته وجلاله ﷻ، قال ابن القيِّم ﵀: "وكلَّما ازداد الذَّاكر في ذكره استغراقًا؛ ازداد لمذكورِه محبَّةً وإلى لقائه اشتياقًا"(٢).

ويأتي معنى الذِّكر: "ما تُعُبِّدَ الشَّارع بلفظٍ ممَّا يتعلَّق بتعظيم الحقِّ والثَّناء عليه، ويُطلق على كلِّ مطلوبٍ قوليٍّ، وقريبٌ منه ما قيل؛ الذِّكر شرعًا: قولٌ سيق لثناءٍ أو دعاءٍ، وقد يُستعمل أيضًا لكلِّ قولٍ يُثاب قائله"(٣)، فيدخل الدُّعاء في مُسَمَّى الذِّكر مِنْ هذا الباب بشِقَّيْهِ: دعاء العبادة ودعاء المسألة.

---

(١) العين (٥/٣٤٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٧٥).

(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية لابن علان، ت: عبد المنعم إبراهيم (١/١٦)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

ويتنوَّع الذِّكر الشَّرعيُّ ما بين قرآنٍ يُتلى وهو أفضل الذِّكر، وسُنَّةٍ تُقرأ وهي نِعْمَ أنيس المرء، وعلمٍ يُدرس وهو زاد العمل، ودعاءٍ يُتقرَّب به ويُرجى، وقيل: "مجالس الذِّكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف يشتري ويبيع ويُصَلِّي ويصوم، وينكح ويُطَلِّقُ، ويحجُّ، وأشباه هذا"(١).

وقيل في أنواع الذِّكر؛ أنَّ منه: "ذكر الأسماء والصِّفات ومعانيها والثَّناء على الله بها وتوحيد الله بها، وذكر الأمر والنَّهي والحلال والحرام، وذكر الآلاء والنَّعماء والإحسان والأيادي"(٢)، وكلُّ هذه الأنواع تُؤَدَّى بكيفيَّاتٍ معلومةٍ صحَّ النَّقل فيها، مُوَافِقَةٌ لما جاء عن النَّبيِّ ﷺ وصحابته ﭫ.

وقال ابن القيِّم ﵀: إنَّ الذِّكر ثلاثة أنواعٍ:

- ذكر الثَّناء؛ نحو: سبحان الله، الحمد الله، الله أكبر، لا إله إلَّا الله... ونظائرها.
- ذكر الدُّعاء: وهو ذكر الطَّلب والمسألة كقولك: يا حيُّ يا قيُّوم برحمتك أستغيث.
- ذكر الرِّعاية؛ مثل قول الذَّاكر: الله معي، والله ناظرٌ إليَّ...، ونحو ذلك(٣).



(١) تاريخ أبي زرعة الدمشقي برواية أبي الميمون بن راشد، ت: شكر الله القوجاني (ص:٣٥٩)، ط: مجمع اللغة العربية – دمشق، بدون تاريخ طبع.

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٨٣).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/٤٨٧).




المبحث الأوَّل: الأحزاب الأوراد الشّرعيّة وضوابطها

المطلب الأوَّل: فضل الذِّكر ومنزلته في الكتاب والسنة

للذِّكر منزلةٌ عظيمةٌ في حياة المسلم، فبه صلاح قلبه، وطمأنينة نفسه، واستقرار حاله ومقاله؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [سورة الرعد:٢٨].

وفي الحديث القدسيّ: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ هم خيرٌ منهم...»[١].

وجاء عن النَّبيّ ﷺ في بيان حال الذَّاكر: «مثل الَّذي يذكر ربَّه والَّذي لا يذكر ربَّه مثل الحيّ والميّت»[٢].

وقال ابن القيّم رحمه الله في بيان منزلة الذِّكر: "وهي منزلة القوم الكبرى الَّتي منها يتزودون، وفيها يتَّجرون، وإليها دائمًا يتردَّدون"[٣].

وجميع النُّصوص الَّتي جاء فيها الذِّكر، تحثُّ على الإكثار والاستزادة منه، فهو سبيل فلاح العبد وصلاح حاله، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [سورة الجمعة:١٠]، وهو خير ما صُرفت به الأوقات، وقُطعت به الأنفاس، وهو الاستثمار الأغلى في حياة المسلم؛ بل هو خيرٌ مِنَ الدُّنيا وما فيها، فقد جاء عن النَّبيّ ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، أحبُّ إليَّ ممَّا طلعت عليه الشَّمس»[٤]، وعدّ أهل العلم أنَّ الذِّكر مِنَ النَّعيم المُعَجَّلِ للعباد في الدُّنيا لما يجدون فيه مِنْ حلاوةٍ ولَذَّةٍ، قال الحسن البصريُّ رحمه الله: "تفقَّدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصَّلاة وفي الذِّكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب الحث على ذكر الله تعالى (١٧/٥) رقم (٦٧٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات – باب فضل ذكر الله ﷻ (٤/١٦١٦) رقم (٦٤٠٧).

(٣) مدارج السالكين (٢/٤٧٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار– باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (١٧/٢٠) رقم (٦٧٨٧).

وإلَّا فاعلموا أنَّ الباب مغلقٌ"[١]، وقال الإمام مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: "ما تنعَّم المتنعِّمون بمثل ذكر الله"[٢]، وهو يسيرٌ على مَنْ يسَّره الله عَزَّوَجَلَّ له.

وقال رسول الله ﷺ في فضل الاجتماع في حِلَقِ الذِّكر وحفاوة الملائكة بأهلها: «إنَّ لله ملائكةً يطوفون في الطُّرُق يلتمسون أهل الذِّكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلمُّوا إلى حاجتكم، قال: فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى السَّماء الدُّنيا، قال: فيسألهم ربُّهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون: يُسبِّحونك ويُكبِّرونك ويحمدونك ويُمجِّدونك...»[٣]، والنُّصوص في الذِّكر وأهمِّيَّته وتنوّع فضائله كثيرةٌ مبسوطةٌ في كتب أهل العلم.

وقد تولَّى رسول الله ﷺ بيان كيفيَّة الذِّكر والدُّعاء والاستغفار والصَّلاة عليه ﷺ وأساليبها وأنواعها قولًا وعملًا، وعلَّم أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كيف يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ في كلِّ حينٍ، وأرشدهم إلى جوامع الكلم وخير الأذكار وما يترتَّب عليها مِنْ أجورٍ، فمنها قوله ﷺ حين سأله الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عن كيفيَّة الصَّلاة عليه، فقال لهم ﷺ: «فقولوا اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما صلَّيت على آل إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهمَّ بارك على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما باركت على آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيدٌ»[٤]، ومنه قوله ﷺ: «مَنْ قال: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، في يومٍ مائة مَرَّةٍ، كانت له عدل عشر رقابٍ، وكُتب له مائة حسنةٍ، ومُحيت عنه مائة سيِّئةٍ، وكانت له حرزًا مِنَ الشَّيطان يومه ذلك حتَّى يُمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضل ممَّا جاء إلَّا رجلٌ عمل أكثر منه»[٥].

والسُّنة مليئةٌ بالأحاديث الصَّحيحة الَّتي تُبَيِّنُ ذلك، وقد بَوَّبَ أهل العلم في مصنَّفاتهم للأذكار والأدعية أبوابًا كثيرةً فصَّلوا فيها، وزادوا في بيانها وشرحها بالعديد مِنَ التَّعليقات والإيضاحات؛ كالصَّحيحين وكتب السُّنن والأجزاء الحديثيَّة والمصنَّفات المفردة في الذِّكر؛ ككتابي

---

(١) الرسالة القشيرية (ص:٣٤٢).

(٢) الزهد للإمام أحمد، ت/ محمد شاهين (ص:٢٦٠)، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات - باب فضل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ(٤/١٦١٦) رقم (٦٤٠٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات - باب الصلاة على النبي ﷺ (٤/١٦٠٥) رقم (٦٣٥٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات - باب فضل التهليل (٤/١٦١٥) رقم (٦٤٠٣).

"عمل اليوم واللَّيلة" للإمام النَّسائيِّ رَحِمَهُ اللهُ وتلميذه ابن السُّنِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ[1]، وكتاب "الأذكار" للإمام النَّوويِّ رَحِمَهُ اللهُ، وكتاب "الوابل الصَّيِّب ورافع الكلم الطَّيِّب" لابن قيِّم الجوزيَّة رَحِمَهُ اللهُ، ولا يكاد يخلو كتابٌ مِنْ كتب التَّفسير أو الحديث أو الفقه مِنْ بيان وتفصيل كيفيَّة الأذكار وفضلها والأجور المترتِّبة عليها بشواهدها وأدلَّتها الشَّرعيَّة الصَّحيحة.



(١) أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري السني، قُلِّدَ قضاء القضاة بالري، حافظ، ثقة، سمع بمصر أبا عبد الرحمن النسائي، ثقة، صاحب تصانيف في الأبواب، صاحب كتاب «عمل اليوم والليلة» وراوي «سنن النسائي» ومختصرها في كتاب سماه «المجتبى»، توفِّي سنة أربعٍ وستين وثلاثمائةٍ. انظر ترجمته في: الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٦٢٩/٢)، وتاريخ أربل (٥٤٠/٢).

المطلب الثَّاني:
ضوابط الأوراد الشَّرعيَّة

لابدَّ لنا قبل الشُّروع في ذكر ضوابط الأوراد الشَّرعيَّة الَّتي يجب توافرها في الأذكار والأدعية الَّتي يلتزمها المسلم في يومه وليلته وفي شأنه كلِّه، معرفة ما يأتي:

١- أنَّ قبول العمل -أيُّ عملٍ- في الإسلام مداره على أمرين لابدَّ مِنْ تحقُّقهما فيه:

الأوَّل: الإخلاص: وهو ألَّا يعبد إلَّا الله ﷻ. ودليله: قول الله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ [سورة الزمر:٢].

الثَّاني: المتابعة: وهي ألَّا يعبد الله ﷻ إلَّا بما شرع على لسان نبيِّه محمَّدٍ ﷺ ودليله قول النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردٌّ»[1].

٢- معرفة أنَّ الأوراد الشَّرعيَّة مِنَ العبادات المحضة؛ والأصل في العبادات المنع، بمعنى أنَّها توقيفيَّةٌ على ما جاء في الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة لفظاً ومعناً، فلا يُشرع منها إلَّا ما شرعه الله ﷻ ورسوله ﷺ، فمَنْ شَرَعَ شيءٍ مِنَ العبادات فقد شَرَعَ في الدِّين ما ليس منه؛ وهذا هو مفهوم الابتداع[2] المنهيّ عنه.

أهم ضوابط الأوراد المستنبطة من النصوص الشرعية :

إنَّ للأوراد الشَّرعيَّة المستنبطة من الآيات والأحاديث النبوية ضوابط تضبطها وتمنع دخول ما ليس منها فيها، وقد استنبطها أهل العلم مِنَ النُّصوص الشَّرعيَّة الثَّابتة، ومِنْ هذه الضَّوابط:

- أن يتخيَّر مِنَ الألفاظ أحسنها وأنبلها وأجملها للمعاني وأَبْيَنُها، لأنَّه مقام مناجاة العبد لربِّه المعبود ﷻ.
- أن تكون الألفاظ وَفْقَ المعنى العربيّ.
- أن تكون خاليةً مِنْ أيِّ محذورٍ شرعًا أو لفظًا أو معنًى.
- أن تكون في باب الذِّكر والدُّعاء المطلق لا المقيَّد بزمانٍ أو حالٍ أو مكانٍ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح - باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٦٥٢/٢) رقم (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الأقضية - باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٢٤٢/١٢) رقم (٤٤٦٧).

(٢) الابتداع هو الاتيان بما لم يسبق مثله، وتعرف البدعة بـ: (طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه) انظر: الاعتصام للشاطبي، (٤٧/١).



- ألَّا تُتَّخذ سُنَّةً راتبةً يواظب عليها(١).
- ويُضاف إلى هذه الضَّوابط ألَّا يُدَّعى لهذه الأذكار بأنَّها مِنَ السُّنَّة الثَّابتة عن النَّبيِّ ﷺ لفظاً.

الأذكار الشَّرعيَّة تنقسم إلى قسمين: ذكرٌ مطلقٌ وذكرٌ مقيَّدٌ:

- الذِّكر المطلق هو: الذِّكر الَّذي لا يتقيَّد بزمانٍ مُعَيَّنٍ، ولا مكانٍ مُحَدَّدٍ، ولا عددٍ، ولا حالٍ، وهي الأذكار العامَّة الَّتي تُقال على كلِّ حالٍ كالتَّسبيح والتَّهليل والتَّحميد والتكبير، والمسلم في هذه الأذكار له أن يتخيَّر مِنَ الأذكار ما يُناسبه ويُردِّده بالعدد الَّذي يُريد وقتما يشاء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الفرقان:٦٢].
- الذِّكر المقيَّد هو: الذِّكر المقيَّد إمَّا بزمانٍ، أو بمكانٍ، أو عددٍ؛ كالأذكار دبر الصَّلوات المفروضة، وأذكار اليوم واللَّيلة... ونظائرها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النساء:١٠٣]، وقال تعالى أيضًا: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [سورة طه:١٣٠].

والواجب على المسلم أن يلتزم بما شرعه الله ﷻ له على لسان نبيِّه ﷺ، فيتقيَّد بما هو مقيَّدٌ له بنصوص الشَّرع ولا يزيد عليها بما يُمليه عليه هواه، وأن يُكثر مِنَ الذِّكر المطلق بما يشاء وقتما شاء ففيه الفضل العظيم الموجب لمحبَّة الله ﷻ ورضاه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قاعدةٌ نافعةٌ: في وجوب الاعتصام بالرِّسالة، وبيان أنَّ السَّعادة والهدى في متابعة الرَّسول ﷺ، وأنَّ الضَّلال والشَّقاء في مخالفته، وأنَّ كلَّ خيرٍ في الوجود إمَّا عامٌّ وإمَّا خاصٌّ فمنشؤه مِنْ جهة الرَّسول، وأنَّ كلَّ شرٍّ في العالم مختصٌّ بالعبد فسببه مخالفة الرَّسول، أو الجهل بما جاء به"(٢).



(١) تصحيح الدعاء لبكر أبو زيد (ص:٤٢)، ط: دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

(٢) مجموع الفتاوى (٥٢/١٩).



المبحث الثَّاني:
الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة نشأتها وأسماؤها واستخداماتها

مرَّ بنا في تمهيد هذه الرِّسالة المراحل الَّتي تطوَّر فيها التَّصوُّف، وكيف تدرَّجت البدع فيه، مِنَ البدع العمليَّة بالغلوِّ في العبادات، والزُّهد في الدُّنيا، إلى البدع القوليَّة الَّتي ظهرت على صورة شطحاتٍ ومنكراتٍ قوليَّةٍ في بادئ الأمر، ثمَّ استقرَّت أخيرًا في عقائد القوم وأصولهم.

ومِنَ البدع القوليَّة الَّتي اختَّص بها الصُّوفيَّة دون سائر الطَّوائف المُخالفة لنصوص الكتاب والسنة؛ القول بالأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة، والَّتي مزجوا فيها الحقَّ بالباطل، وألبسوها لباس الصِّدق والعصمة بنسبتها للنَّبيِّ ﷺ بل تجرَّأ بعضهم بنسبتها لله ﷻ وادَّعو فيها الإلهام والكشف كما مرَّ معنا.

أولًا: تعريف الأحزاب والأوراد:

الأحزاب: جمعٌ واحده حِزْبٌ؛ وهو: "تَجَمُّعُ الشَّيءِ"[١]، وقيل: الحِزْبُ: "الوِرْدُ مِنَ القُرآنِ"[٢].

الأوراد: جمعٌ واحده وِرْدٌ؛ وهو: "الحَظُّ مِنَ الماء، ثمَّ كثر ذلك في كلامهم حتَّى سُمِّيَ القوم الَّذين يَردون الماء وردًا، والجميع أورادٌ"[٣].

ويأتي الوِرْدُ والحِزْبُ بمعنًى واحدٍ في كثيرٍ مِنَ الأحيان، قال ابن الأثير ؒ: "الحِزْبُ ما يجعله الرَّجل على نفسه مِنْ قراءةٍ أو صلاةٍ كالوِرْدِ"[٤]، وقيل في معناهما: "هو شيءٌ يفرضه الإنسان على نفسه يقرؤه كلَّ يومٍ"[٥].

ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ نام عن حزبه أو عن شيءٍ منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظُّهر كُتِبَ له كأنَّما قرأه مِنَ اللَّيل»[٦].

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٥٥).

(٢) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد، ت: محمد آل ياسين (٣/١٦) ط: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

(٣) المخصص لابن سيده، ت: خليل جفال (٢/٤٥٨)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ت: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي (١/٢٧٦)، ط: المكتبة العلمية – بيروت، ١٩٧٩م.

(٥) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية لمحمد بن علان (١/٩٠).

(٦) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه... (٦/٢٧١) رقم (١٧٤٢).

ويُطلق بعض الطُّرُقيَّة على الأحزاب والأوراد اسم الرَّواتب فيقولون: الحزب الرَّاتب وهو: "الوِرْدُ مِنَ القرآن يقرأه الرَّجل كلَّ يومٍ...، وقيل: الرَّواتب هي: الأدعية والأذكار والمديح والثَّناء على الله يتلوها الفقراء أو الرُّهبان في أيَّامٍ معيَّنةٍ وساعاتٍ معيَّنةٍ"(١).

ثانيًا: الفرق بين الحزب والورد:

وقيل في الفرق بين الحزب والورد: "أنَّ الورد يُقرأ في أوقاتٍ منتظمةٍ، فيقال: أوراد النَّهار وأوراد اللَّيل، أمَّا الحزب فليس لقراءته وقتٌ مخصوصٌ"(٢).

ولهذا نجد الصُّوفيَّة يُفرِّقون بينهما، فيجعلون قراءة الأحزاب خاصَّةً في مناسباتٍ معيَّنةٍ، ويُسَمُّون أحزابهم باسم تلك المناسبات؛ كقولهم: حزب النَّصر، وحزب البرّ، وحزب البحر... وغيرها، بينما تُسَمَّى الأوراد بأسماء مؤلِّفيها مِنْ مشايخ الطُّرُق والأزمان الَّتي تُقرأ فيها؛ كقولهم: ورد الشَّيخ عبد القادر الجيلانيّ، وورد الشَّيخ الأكبر ويعنون به ابن عربيّ، والأزمان كورد الصَّلوات الخمس، وورد آخر اللَّيل، وغيرها كثيرٌ(٣). وهذا التفريق مخالف للحديث الذي مرّ معنا آنفاً؛ حديث «من نام عن حزبه أو عن شيءٍ منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظُّهر كُتِبَ له كأنَّما قرأه مِنَ اللَّيل».

وقال محمَّد ماضي أبو العزائم(٤) في اختلاف مفهوم الورد باختلاف حال الذَّاكر: "فالورد باعتباره وسيلة القرب إلى الله ﷻ يكون دعاءً، وباعتباره مِنْ روح العبادة يكون ذكرًا، وباعتباره خضوعًا لله تعالى يكون تسبيحًا، وباعتباره طلب رحمةٍ مِنَ الله يكون استغفارًا"(٥).

---

(١) تكملة المعاجم العربية لرينهارت دُوزي، نقله إلى العربية وعلَّق عليه: محمَّد النعيمي (٥/٨٥) ط: وزارة الثقافة والإعلام – بغداد، الطبعة: الأولى من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م.

(٢) التصوُّف الإسلامي في الأدب والأخلاق لزكي مبارك (ص:٤٤٦)، ط: مؤسسة هنداوي – القاهرة ٢٠١٢م.

(٣) سيأتي الحديث عنها بتوسُّعٍ في المبحث الثالث مِنْ هذا الفصل.

(٤) محمَّد ماضي أبو العزائم، فقيهٌ متصوِّفٌ مصريٌّ، وُلِدَ في مدينة رشيد، وانتقل مع أبيه إلى محلَّة أبي علي بالغربية مِنْ بلاد مصر فتعلَّم بها، وعُيِّنَ مدرِّسًا للشريعة بكلية غوردون بالخرطوم، ثمَّ ترأَّس (جماعة الخلافة) بالقاهرة، وتوفِّي بها سنة ستٍّ وخمسين وثلاث مئةٍ وألفٍ، له كتبٌ، منها: "أصول الوصول إلى معيَّة الرَّسول" و"معارج المقرَّبين". انظر ترجمته في: الأعلام (٧/١٦)، ومعجم المؤلِّفين (١١/١٦٧).

(٥) نيل الخيرات بملازمة الصلوات لمحمد ماضي أبو العزائم (ص:٤) ط: دار الكتاب الصوفي– القاهرة، الطبعة الثلاثون ٢٠١٠م.

ويُقَسِّمُ الصُّوفيَّة مراحل الأذكار إلى أقسامٍ منها:

- ذكر اللِّسان.
- ذكر القلب.
- تمكُّن الذِّكر مِنَ القلب واستيلاؤه عليه.
- تمكُّن المَذْكُور مِنَ القلب ومحو الذِّكر؛ وذلك بألَّا يلتفت الذَّاكر لا إلى الذِّكر ولا إلى القلب، وهذه الحالة هي ما يُعَبِّرُ عنها الصُّوفيَّة بالفناء، وهو الغاية مِنَ الذِّكر[(١)].

والفناء: هو غاية الصُّوفيِّ ومنتهى آماله، وثمرة مجاهداته ورياضاته الَّذي يسعى إليه بكلِّيَّته، ومِنْ أجله اختُرِعَت الأحزاب والأوراد وابتدع القوم الصَّلوات والاستغاثات.

والفناء الَّذي ينشده القوم ويسعون إلى نيله وتحصيله هو: "أن تذهب المُحدَثات في شهود العبد، وتغيب في أُفق العدم، كما كانت مِنْ قبل أن توجد، ويبقى الحقُّ تعالى كما لم يزل، ثمَّ تغيب صورة المُشاهَد ورسمه أيضًا، فلا يبقى له صورةٌ ولا رسمٌ، ثمَّ يغيب شهوده أيضًا، فلا يبقى له شهودٌ، ويصير الحقُّ هو الَّذي يُشاهد نفسه بنفسه، كما كان الأمر قبل إيجاد المكوَّنات، وحقيقته: أن يفنى مَنْ لم يكن ويبقى مَنْ لم يزل"[(٢)]، وهذا عين قول أهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود.

ثالثًا: والمعنى المقبول عند أهل السُّنَّة والجماعة لمعنى الفناء هو:

فناء العبد بعبادة الله ﷻ عن عبادة ما سواه، وبحبِّه والخوف منه ورجائه والتَّوكُّل عليه، والاستعانة به، واستغاثته، دون ما سواه، وتقديم رضاه وما يحبُّه على كلِّ رضًى وحبٍّ، وحقيقة هذا الفناء: فناء العبد عن هوى نفسه وحظوظها بمراضي ربِّه وحقوقه ﷻ[(٣)].



(١) الأربعين في أصول الدين للغزالي (ص:١٣٥).
(٢) مدارج السالكين (١/٢١٦).
(٣) انظر: مدارج السالكين (١/٢٣٤).

المطلب الأوّل:

الأحزاب والأوراد الصُّوفيّة نشأتها وأسماؤها واستخداماتها

أولًا: الورد عند الصُّوفيَّة:

تُمثِّل الأحزاب والأوراد حجر الأساس في الطُّرُق الصُّوفيَّة، فهي الرَّابطة المتينة بين الشَّيخ ومُريديه، وهي عمود وسنام التَّصوُّف.

قال أبو طالبٍ المكِّيُّ في بيان معنى ومنزلة الأوراد عند الصُّوفيَّة: "اعلم أنَّ الورد اسمٌ لوقتٍ مِنْ ليلٍ أو نهارٍ يرد على العبد مُكَرَّرًا فيقطعه في قربةٍ إلى الله، ويورد فيه محبوبًا يرد عليه في الآخرة... فسُمِّيَ الحزب مِنْ أحزاب القرآن لوقتٍ ما وردًا، فَمِنَ العمَّال مَنْ كان يجعل الأوراد مِنْ أجزاء القرآن، ومنهم مَنْ كان يجعله مِنْ أعداد الرُّكوع، وفوق هؤلاء مِنَ العلماء كانوا يجعلون الأوراد مِنْ أوقات اللَّيل والنَّهار...، وأمَّا العارفون فإنَّهم لم يوقِّتوا الأوراد ولم يُقَسِّموا الأوقات، بل جعلوا الورد واحدًا لمولاهم"(١).

ثانيًا: نشأة الأوراد:

تحدَّثنا عن تطوُّر التَّصوُّف وظهور البدع القوليَّة في المرحلة الثَّانية منه، فابتدأت بالشَّطح والهذيان في حال غيبة الصُّوفيّ عن وعيه، ثمَّ تطوَّرت بدعهم إلى أقوالٍ تُحفظ وتُتداول بين أتباع الصُّوفيَّة، حتَّى جاءت الفترة الَّتي ظهرت فيها الطُّرُق الصُّوفيَّة فتطوَّر الأمر شيئًا فشيئًا، فظهرت الأوراد الخاصَّة بكلِّ طريقةٍ، واختصَّ كلُّ صاحب طريقةٍ أتباعه بجملةٍ منها، فما كان مِنَ الأتباع إلَّا تعظيم ما يتلقَّونه عن مشايخهم أكثر ممَّا يُعظِّمون الأذكار الشَّرعيَّة المتلقَّاة مِنَ الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة، وأصبحت تلك الأقوال منتظمةً فيما يُسَمَّى بالأحزاب والأوراد،، ويُمكن القول: بأنَّ هذه الأحزاب والأوراد جاءت وحلَّت محلَّ الأذكار والأدعية الشَّرعيَّة المأثورة الَّتي صحَّ النَّقل فيها عند هؤلاء الصُّوفيَّة، ومِنْ هنا كانت نشأة الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة واكتمال بنائها، وابتداء انتشارها وشهرتها.

ثالثًا: أسماء الأوراد الصُّوفيَّة المشتهرة واستخداماتها:

كَثُرَت الأوراد الصُّوفيَّة وَكَثُرَت مُسمَّياتها واستخداماتها، فكلَّما نشأت طريقةٌ جديدةٌ في مكانٍ ما، اخترع مُنْشِؤها أورادًا خاصَّةً بطريقته يلتزم بها أتباعه؛ كما فعل أبو الحسن الشَّاذليّ

---

(١) قوت القلوب (١/٢٤٠).

في طريقته وغيره مِنْ مشايخ الطُّرُق. وهناك مَنْ يُبقي على أوراد الطَّريقة الأمِّ الَّتي نشأ فيها كحال أتباع النَّقشبنديَّة، فعامَّة أورادهم هي أوراد الطَّريقة الشَّاذليَّة، كما أنَّ منهم مَنْ يجمع عدَّة أحزابٍ وأورادٍ مِنْ طُرُقٍ عِدَّةٍ ويُلْزِمُ أتباعه بها كما مرَّ معنا في الطَّريقة الختميَّة، فالطَّريقة الختميَّة هي خليطٌ مِنْ خمسة طُرُقٍ: (القادريَّة - والنَّقشبنديَّة - والجنيديَّة - والخلوتيَّة- والميرغنيَّة)، وعلى هذا كانت أوراد الطَّريقة هي مزيجٌ مِنْ أحزاب وأوراد تلك الطُّرُق الخمس.

ومِنْ أسماء الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة المشتهرة[(١)]:

١- "ورد البسملة الشَّريفة": وهو وردٌ تقول به القادريَّة ويجعلون في فضله؛ بأنَّ مَنْ قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [سورة الفاتحة:١] ثمان مئة مرَّةٍ في اليوم فقد أُعتق مِنَ النَّار ووجبت له الجنَّة، في روايةٍ يروونها عن نبيِّ الله عيسى عليه السلام[(٢)].

٢- "ورد التَّوهيبات": وهو وردٌ يقرأه المريد في الطَّريقة القادريَّة يحتوي على آياتٍ وأذكارٍ وأدعيةٍ ويهب ثوابها للنَّبيِّ ﷺ وإلى فاطمة وعليٍّ والحسن والحسين والأئمَّة الاثني عشر ولباقي أئمَّة الطَّريقة[(٣)].

٣- "الحزب الكبير" و"الحزب الصَّغير" لأحمد الرِّفاعيِّ، وفيهما أذكارٌ وأدعيةٌ، ويختلف "الكبير" عن "الصَّغير" في بعض ألفاظه وعدد التَّكرار لجمل الورد، ففي الكبير يُكرَّر الدَّعاء (١٠ مرَّاتٍ) وفي (الصَّغير) (٣ مرَّاتٍ)، وهما لقضاء الحاجات ونيل المرادات، وقرب السَّالك مِنَ الله عز وجل، ووسيلةٍ للفتوح الصُّوفيَّة[(٤)].

٤- "أوراد أيَّام الأسبوع": وهذه الأوراد تكاد تكون معتمدةً في جميع الطُّرُق الصُّوفيَّة، فكلُّ طريقةٍ تضع ما يُناسبها في هذه الأوراد وتُلزم به المريدين، وهي بعدد أيَّام الأسبوع فتُسَمَّى: ورد السَّبت، ورد الأحد، ورد الإثنين، ورد الثُّلاثاء، ورد الأربعاء، ورد الخميس، ورد الجمعة وهو

---

(١) سأكتفي بذكر أسماء الأحزاب واستخداماتها من باب السرد لا الإقرار بها، وسيكون نقد ما جاء فيها في مضانه في الفصل القادم بإذن الله.

(٢) بصيرة القدسية بأوراد وأحزاب وأدعية السادة القادرية لمحمد أبي سفياني (ص:٢٦)، بدون بيانات طبعة.

(٣) الكنوز النورانية من أدعية وأوراد السادة القادرية لمخلف القادري الحسيني (ص: ١٦١)، ط: دار الريحانة – القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠١٧م.

(٤) انظر: قلادة الجواهر (ص:٢٦٠و٢٦١)، والمجموع الجامع (ص:٣ وما بعدها).

أعظمها، وتجعل لكلِّ وردٍ خصائص تختلف عن خصائص ورد اليوم الآخر[١].

٥- "الصَّلاة الجوهريَّة" أو "جوهرة الأسرار" لأحمد الرِّفاعيِّ، وهي صلاةٌ على النَّبيِّ ﷺ وفيها مِنَ الغلوِّ والشِّرك الشَّيء الكثير حتَّى قال فيها: "اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على نورك الأسبق... فهو سرُّك القديم السَّاري، وماء جوهر الجوهريَّة الجاري، الَّذي أحييت به الموجودات..."[٢].

٦- "الحزب السُّريانيُّ": ويقرأ بعد صلاة الظُّهر في الطَّريقة القادريَّة، ويحتوي على ألفاظٍ غير مفهومةٍ ولا يُعرف لها معنًى بالعربيَّة، ويغلب عليه معنى طلب التَّسخير واستجلاب الخلق للمُريد؛ لمحبَّته وطاعته والاشتياق إليه[٣].

٧- "حزب الجوهرة" لأبي الهدى الصَّياديِّ، وهو حزبٌ ادَّعى قائله بأنَّه أُلهمه وهو بالحضرة الإلهيَّة -تعالى الله عن ذلك- ويُسَمَّى بـ "الحزب الكبير: ويُقال لقضاء الحاجات والحصول على الفتوحات، وهو على العدوِّ كالسَّيف القاطع[٤].

٨- "ورد سورة الواقعة": وهو وردٌ معتمدٌ في أغلب الطُّرُق الصُّوفيَّة، حيث تقرأ سورة الواقعة كاملةً (٤٥ مرَّةً) بعد كلِّ صلاةٍ لمدَّة ستَّة أيَّامٍ وفي اليوم الأخير يقرأها (٤٥٠ مرَّةً) ويتخلَّل تلاوة آياتها بعض الأدعية، وذلك لدفع الشَّدائد وبها ينال المريد خيري الدُّنيا والآخرة[٥].

٩- "الدُّعاء السَّيفيُّ" لعليِّ بن أبي طالبٍ ﷺ، وهذا الدُّعاء يتناقله العديد مِنَ الطُّرُقيَّة في مجالسهم ويتواصون به، ويعتقدون فيه الحفظ مِنَ البلايا، والنَّصر على الأعداء، وهو حرزٌ للحفظ مِنْ كلِّ شيءٍ، ويسوقون له الأسانيد والأدلَّة[٦].

---

(١) انظر: الكنوز النورانية (ص:١٩١)، والنفحات العلية في الأوراد الشاذلية لعبد القادر زكي (ص: ٦٤و ما بعدها)، ط: مطبعة النيل، الطبعة الأولى ١٣٢١هـ، ومجموعة أوراد وأحزاب الطريقة النقشبندية لبهاء الدين النقشبندي (ص:١١٨)، بدون بيانات طبعة، ومجموعة أوراد وأحزاب الطريقة النقشبندية (ص:١٦٣).

(٢) المجموع الجامع (ص:٨)، وسيأتي مزيد بيان وتعليق لألفاظ هذه الصلاة في الفصل القادم بإذن الله.

(٣) انظر: الكنوز النورانية (ص:٢٢٢).

(٤) انظر: قلادة الجواهر (ص:٣٤٣).

(٥) انظر: الكنوز النورانية (ص:٢٧١)، وقلادة الجواهر (ص:٢٥١)، ومجموعة أوراد وأحزاب الطريقة النقشبندية (ص:١٦٢).

(٦) انظر: الكنوز النورانية (ص:٢٩٩)، ومجموعة أوراد وأحزاب الطريقة النقشبندية (ص:١٩٨).

١٠- "صلاة مدد المسترشد مِنْ جانب المرشد" قال عنها سادة الرِّفاعيَّة: "مَنْ داوم على قراءتها في كلِّ يومٍ صباحًا ومساءً ثلاث مرَّاتٍ مع الإخلاص بلا شبهةٍ، يحصل له مددٌ عظيمٌ مِنْ جانب الرَّسول الكريم، ويموت على الإيمان بفضل الله ويُحشر تحت لواء النَّبيِّ ﷺ"(١).

١١- "حزب البحر الشَّهير" لأبي الحسن الشَّاذليِّ، ويدَّعون فيه مِنَ الفضائل الكثير، فما قرأه خائفٌ إلَّا أمن، ولا مريضٌ إلَّا شفي، ولا ملهوفٌ إلَّا زال عنه لهفه، ولشدَّة ما يُعظِّمون هذا الحزب رُوي أن الشَّاذليَّ قال عنه: "لو قُرِئ حزبي هذا على بغداد ما أخذتها التَّتار"(٢).

١٢- "حزب البرِّ" الشَّهير بـ "الحزب الكبير" للشَّاذليِّ أيضًا، وهو وردٌ بعد صلاة الصُّبح ولا يُتَكَلَّمُ أثناء قراءته، ويُقال له: "الورد الكامل"، رُوي أن الشَّاذليَّ قال عنه: "مَنْ قرأ حزبنا فله مالنا وعليه ما علينا... وما كتبت منه حرفًا إلَّا بإذنٍ مِنَ الله ورسوله"(٣).

١٣- "حزب النَّصر": كلُّ طريقةٍ مِنَ الطُّرُق الصُّوفيَّة لديها حزبٌ يُسَمَّى بـ "حزب النَّصر"؛ يبتهلون فيه لطلب النَّصر وهزيمة الأعداء والدُّعاء عليهم بالويل والثُّبور(٤).

١٤- "ورد المسبَّعات العشر": وهو مِنَ الأوراد المشتهرة بين الطُّرُق الصُّوفيَّة يُزاد فيه ويُنقص، تُقرأ فيه السُّور (الفاتحة، وآية الكرسيِّ، والإخلاص، والمعوَّذتين، والكافرون) سبعًا سبعًا، ولكلِّ شيخ طريقةٍ له كيفيَّةٌ معيَّنةٌ فيها، وهذا الورد يُنسب للخضر عليه السلام(٥).

وغيرها كثيرٌ مِنَ الأحزاب والأوراد والاستغاثات مبثوثةٌ في كتب الصُّوفيَّة وهي بالمئات فلا يسعني حصرها هاهنا.



(١) قلادة الجواهر (ص:٢٥٤).
(٢) انظر: الكنوز النورانية (ص:٣٥٠).
(٣) انظر: النفحات العلية (ص: ٣).
(٤) انظر: الكنوز النورانية (ص:٣٧١)، والنفحات العلية (ص:١٣).
(٥) انظر: الكنوز النورانية (ص:٤١٢)، والنفحات العلية (ص:٢٣).

المطلب الثَّاني:

علاقة الأوراد والأحزاب بالمقامات والأحوال الصُّوفيَّة وآثارها المترتّبة عليها

أولًا: تعريف المقامات والأحوال عند الصوفية:

المقامات: جمع مقامٍ وهو: "مقام العبد بين يدي الله ﷻ، فيما يُقام فيه مِنَ العبادات والمجاهدات والرِّياضات والانقطاع إلى الله ﷻ"(١)، وعليه فيكون المقام هو نتيجةٌ لعبادة الصُّوفيّ ومجاهداته.

ومِنَ المقامات: مقام التَّوبة، والورع، والزُّهد، والصَّبر، والفقر، التَّوكُّل، والرِّضا، وغير ذلك.
ويستدلُّون على هذه المقامات بقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ١٦٤﴾ [سورة الصافات:١٦٤].

ويُرَدُّ على استدلالهم بالآية: أنَّ المقصود فيها هم الملائكة، فقد جاء في تفسير الآية الكريمة: "وهذا خبرٌ مِنَ الله عن قيل الملائكة أنَّهم قالوا: وما منَّا معشر الملائكة إلَّا مَنْ له مقامٌ في السَّماء معلومٌ"(٢)، ولم يأتِ في تفسيرها بأنَّها مقاماتٌ للنَّاس يترقُّون فيها ويجتهدون في تحصيلها.

واختلف الصُّوفيَّة فيما بينهم في المقامات؛ فاختلفوا في أعدادها، وترتيبها، وصفاتها، وهل التَّرقِّي فيها يسيرٌ لكلِّ أحدٍ؟ أم لا بدَّ مِنْ إعانة الشَّيخ وإذنه في ذلك؟

قال ابن القيِّم رحمه الله: "ولأرباب السُّلوك اختلافٌ كثيرٌ في عدد المقامات وترتيبها، كلٌّ يصف منازل سيره، وحال سلوكه..."(٣).

واتَّفقوا على أن تبدأ مقامات الصُّوفيَّة بمقام التَّوبة؛ وهي أوَّل درجات التَّرقِّي لديهم، وأوَّل ما يُطلب مِنَ المُريد ليُقبل في الطُّرُق الصُّوفيَّة، وأوَّل ما يُعاهد عليه شيخه، وتنتهي مقاماتهم بمقام الرِّضا، ويُعرِّفون الرِّضا بأنَّه: "باب الله الأعظم، وجنَّة الدُّنيا، وهو أن يكون قلب العبد ساكنًا تحت حكم الله ﷻ"(٤).

---

(١) اللمع (ص:٦٥).
(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢١/١٢٥).
(٣) مدارج السالكين (١/٢٠١).
(٤) انظر: اللمع (ص:٦٨ و٨٠).

الأحوال: جمع حالٍ، وهو: "ما يحلُّ بالقلوب، أو تحلُّ به القلوب مِنْ صفاء الأذكار"[١].

وجاء في معانيه أنَّه: "نازلةٌ بالقلوب فلا تدوم"، بمعنى: أمرٌ مؤقَّتٌ ينزل بالقلب نتيجة ظرفٍ مُعَيَّنٍ أو فعلٍ مُعَيَّنٍ، وقيل أيضًا: "الحال هو: الذِّكر الخفيُّ".

والحال أمرٌ وهبيٌّ مِنَ الله ﷻ؛ لا كسب للإنسان فيه وليس بمقدوره[٢]، وهو خلاف المقام، فلا يكون عن طريق المجاهدات والرِّياضات والعبادات. والحال مثل: المراقبة، والقُرب، والمحبَّة، والخوف، والرَّجاء، والحزن، والشَّوق، وغير ذلك[٣].

ويُمكن القول: بأنَّ الحال هو: حالةٌ شعوريَّةٌ تنتاب الصُّوفيَّ يهبها الله ﷻ له مِنْ غير عملٍ أو جهدٍ منه.

واشترط آخرون في الحال أن يدوم في قلب المُريد، فإن لم يدم فيُسَمَّى لوائح وطوالع وبوارق، وهي مقدِّماتٌ للحال، وليست بأحوالٍ[٤].

قال ابن القيِّم ؒ: "والصَّحيح في هذا أنَّ الواردات والمنازلات لها أسماءٌ باعتبار أحوالها، فتكون لوامع وبوارق ولوائح عند أوَّل ظهورها وبُدُوِّها، كما يلمع البارق ويلوح عن بعدٍ، فإذا نازلته وباشرها فهي أحوالٌ، فإذا تمكَّنت منه وثبتت له مِنْ غير انتقالٍ فهي مقاماتٌ، وهي لوامع ولوائح في أوَّلها، وأحوالٌ في أوسطها، ومقاماتٌ في نهاياتها"[٥].

ثانيًا: المقامات والأحوال عند الصُّوفيَّة:

أوَّل مَنْ تكلَّم في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النُّون المصريُّ، وقد أنكر عليه أمير مصر في حينها، وهجره علماء مصر لَمَّا شاع خبره ورموه بالزَّندقة[٦].

قال الكلاباذيُّ: "اعلم أنَّ علوم الصُّوفيَّة علوم الأحوال، والأحوال مواريث الأعمال، ولا يرث الأحوال إلَّا مَنْ صحَّح الأعمال"[٧]، وقوله "الأحوال مواريث الأعمال" حقٌّ لا ريب فيه؛

---

(١) اللمع: (ص:٦٦).
(٢) انظر: عوارف المعارف (ص:٥٢٤).
(٣) اللمع: (ص:٦٦).
(٤) انظر: عوارف المعارف (ص:٥٢٥).
(٥) مدارج السالكين (٢٠٢/١).
(٦) انظر: تلبيس إبليس (ص:١٦١).
(٧) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص:٥٨).

فلا يمتلأ قلب العبد خشيةً ومراقبةً ومحبَّةً إلَّا بعلمٍ صحيحٍ يَظْهَرُ أثرُه على القلب والجوارح، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة فاطر:٢٨].

ويُبَيِّنُ الكلاباذيُّ علاقة المقامات بالأحوال فيقول: "لكلِّ مقامٍ بدءٌ ونهايةٌ، وبينهما أحوالٌ متفاوتةٌ"(١)، فيمرُّ الصُّوفيُّ في أحوالٍ عِدَّةٍ في المقام الواحد حتَّى يستطيع تجاوزه لما بعده.

ويقول البعض بتداخل المقامات بالأحوال وتشابهما إلَّا أنَّ الأحوال مُتغيِّرةٌ غير ثابتةٍ، وسُمِّيت أحوالًا لتحوّلها، والمقامات مِنْ اسمها ثابتةٌ ومستقرّةٌ(٢).

قال ابن القيِّم ﵀: "والفرق بينهما: أنَّ المقامات كسبيَّةٌ، والأحوال وهبيَّةٌ، ومنهم مَنْ يقول: الأحوال مِنْ نتائج المقامات، والمقامات نتائج الأعمال، فكلُّ مَنْ كان أصلح عملًا كان أعلى مقامًا، وكلُّ مَنْ كان أعلى مقامًا كان أعظم حالًا"(٣).

- واختلف مشايخ الصُّوفيَّة هل للعبد أن يترقَّى لمقامٍ غير مقامه الَّذي هو فيه قبل إحكام مقامه؟ على أقوالٍ:

– فمنهم مَنْ قال: لا ينبغي للعبد الانتقال مِنْ مقامه إلى غيره حتَّى يُحكم مقامه.

– وقال آخرون: بل لا يُكمل المقام ويُحكم حتَّى يترقَّى لمقامٍ فوقه.

ويجمع السَّهرورديُّ بين القولين برأيٍ جامعٍ فيقول: إنَّ العبد في مقامه يُعطى حالًا مِنْ مقامه الأعلى الَّذي سوف يرتقي إليه، وهذا الحال هو مِنَ الله ﷻ فلا يُضاف للعبد أنَّه يترقَّى أو لا يترقَّى، فإنَّ العبد بالأحوال يترقَّى إلى المقامات، والأحوال مواهب لا مكاسب(٤).

ثالثًا: المقامات والأحوال عند أهل السُّنَّة والجماعة:

سَمَّى شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ المقامات والأحوال في مؤلَّفاته بـ (أعمال القلوب)، وهذه التَّسمية متعارفٌ عليها في أقوال أهل السُّنَّة والجماعة، وهي مبثوثةٌ في مؤلَّفاتهم، ولهم فيه عظيم عنايةٍ واهتمامٍ، فهي مِنْ أصول الإيمان، ويُثاب عليها العبد ويُعاقب، وهي الباعث لعمل الجوارح، إلَّا أنَّها عند الصُّوفيَّة بمُسَمَّى (المقامات والأحوال) كعادتهم في مخالفة أهل السُّنَّة والجماعة وانتقائهم لألفاظ يختصُّون بها دون غيرهم.

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص:٥٩).

(٢) انظر: عوارف المعارف (ص:٥٢٣).

(٣) مدارج السالكين (٢٠١/١)

(٤) انظر: عوارف المعارف (ص:٥٢٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: "فإنَّ (أعمال القلوب) الَّتي يُسَمِّيها بعض الصُّوفيَّة أحوالًا ومقاماتٍ، أو منازل السَّائرين إلى الله، أو مقامات العارفين، أو غير ذلك، كلُّ ما فيها ممَّا فرضه الله ورسوله فهو مِنَ الإيمان الواجب، وفيها ما أحبَّه ولم يفرضه، فهو مِنَ الإيمان المستحبِّ، فالأوَّل لا بدَّ لكلِّ مؤمنٍ منه، ومَنِ اقتصر عليه فهو مِنَ الأبرار أصحاب اليمين، ومَنْ فعله وفعل الثَّاني كان مِنَ المقرَّبين السَّابقين"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ أيضًا: "وطائفةُ تظنُّ أنَّ التَّوكُّل إنَّما هو مِنْ مقامات الخاصَّة المتقرِّبين إلى الله بالنَّوافل، كذلك قولهم في أعمال القلوب وتوابعها كالحبِّ والرَّجاء والخوف والشُّكر ونحو ذلك، وهذا ضلالٌ مبينٌ، بل جميع هذه الأمور فروضٌ على الأعيان باتِّفاق أهل الإيمان، ومَنْ تركها بالكلِّيَّة فهو إمَّا كافرٌ وإمَّا منافقٌ، لكنَّ النَّاس هم فيها كما هم في الأعمال الظَّاهرة فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات"(٢).

ويُرَدُّ على مَنْ قال بترتيب المقامات والأحوال وتسلسلها، ولا يمكن الانتقال مِنْ مقامٍ إلَّا باستيفاء المقام الأوَّل بقول ابن القيِّم ﵀: "أنَّ التَّرتيب الَّذي يُشير إليه كلُّ مُرَتِّبٍ للمنازل لا يخلو عن تَحَكُّمٍ، ودعوى مِنْ غير مطابقةٍ، فإنَّ العبد إذا التزم عقد الإسلام، ودخل فه كلِّه، فقد التزم لوازمه الظَّاهرة والباطنة، ومقاماته وأحواله، وله في كلِّ عقدٍ مِنْ عقوده وواجبٍ مِنْ واجباته أحوالٌ ومقاماتٌ..."(٣).

وخالف متأخِّرو الصُّوفيَّة مشايخهم الأوائل في مسألة ترتيب المقامات والأحوال وبالغوا في تعدادها وتسميتها والحديث عنها، بينما كلام المتقدِّمين مِنَ الصُّوفية كان كلامًا مطلقًا في كلِّ مقامٍ، قال ابن القيِّم ﵀ في متقدِّمي الصُّوفيَّة: "فإنَّهم تكلَّموا على أعمال القلوب، وعلى الأحوال كلامًا مُفَصَّلًا جامعًا مُبَيَّنًا مطلقًا مِنْ غير ترتيبٍ ولا حصرٍ للمقامات بعددٍ معلومٍ، فإنَّهم كانوا أجلَّ مِنْ هذا، وهمهم أعلى وأشرف"(٤)، على خلاف الطُّرُقيَّة الَّذين يشترطون التَّرتيب في التَّرقِّي بين المقامات والأحوال، وتقسيم المُريدين إلى مُبتدئين ومُتقدمين وواصلين.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/١٢١).

(٢) الفتاوى الكبرى (١/٥٤).

(٣) مدارج السالكين (١/٢٠٤).

(٤) مدارج السالكين (١/٢٠٥).

رابعًا: علاقة الأحزاب والأوراد بالمقامات والأحوال الصُّوفيَّة:

المقامات والأحوال هي درجات الوصول لله ﷻ عند الصُّوفيَّة، وبها يترقُّون، ويكون ترقِّيهم فيها بحسب اجتهادهم في الأحزاب والأوراد، قال القشيريُّ: "الذِّكر ركنٌ قويٌّ في طريق الحقِّ ﷻ، بل هو العمدة في هذا الطَّريق، ولا يصل أحدٌ إلى الله إلَّا بدوام الذِّكر"[١]. وقال أيضًا عن حال الشَّيخ مع المُريد المبتدأ: "وإن تفرَّس شيخه فيه القوَّة والثَّبات في الطَّريقة أمره بالصَّبر واستدامة الذِّكر حتَّى تسطع في قلبه أنوار القَبول، وتطلع في سرِّه شموس الوصول"[٢]، وقيل أيضًا: "الحال هو الذِّكر الخفيُّ"[٣].

قال ابن القيِّم رحمه الله في بيان صلة الأوراد بأحوال الصُّوفيَّة، ومنها الوجد الَّذي هو ثمرة أعمال القلوب -المقامات والأحوال- والَّذي يكون نتيجة ترديد الأذكار والتزامها: "والمواجيد ثمرات الأوراد، وكلَّما كثرت الأوراد قويت المواجيد"[٤].

فالصُّوفيُّ يلتزم تلاوة الأحزاب والأوراد بهيئاتٍ مُعَيَّنَةٍ بصورةٍ جماعيَّةٍ، يتخلَّلها السَّماع والرَّقص والاهتزاز والتَّواجد، حتَّى يصل لحالةٍ مِنَ السُّكر والهذيان، وكلَّما زاد ذكره زاد وَجده وارتقى مَقامه.

وقد بوَّب الغزاليُّ رحمه الله في كتابه "إحياء علوم الدِّين" بابًا بعنوان: "بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال"، وذكر فيه أحوال السَّالك لطريق الآخرة وأنَّ أوراده تختلف وتتغيَّر باختلاف حاله، وأعلى أحوال السَّالك هي الصِّدِّيقيَّة ولا وصول إليها إلَّا بعد ترتيب الأوراد على كلِّ ساعات اليوم والمواظبة عليها دهرًا طويلًا[٥].



---

(١) الرسالة القشيرية (ص:٣٣٨).

(٢) الرسالة القشيرية (ص:٥٧٨).

(٣) اللمع (ص:٦٦).

(٤) مدارج السالكين (٣/٣٣).

(٥) انظر: الإحياء (٢/٥٢٣ وما بعدها).

المطلب الثَّالث:
النَّقد العامُّ للأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة

إنَّ الإكثار مِنْ ذكر الله ﷻ وملء الأوقات بالاستغفار والصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ لهو أمرٌ مندوبٌ في شريعتنا الحقَّة، وفيه حياة القلوب وطمأنينة النُّفوس، وهو مِنْ أشدِّ الحاجات الَّتي يستأنس بها المرء وتزول به وحشته.

إلَّا أنَّ القارئ في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة، والمتتبِّع لها في مؤلَّفات قائليها ليلحظ عِظَم وفداحة المآخذ الشَّرعيَّة فيها؛ فهي ما بين مآخذ عقديَّةٍ، وأُخرى حديثيَّةٍ وفقهيَّةٍ وتفسيريَّةٍ، وما كانت هذه المآخذ مستشريةً في تلك الأحزاب والأوراد إلَّا لبُعدها عن المعين الشَّرعيّ الصَّافي كتاب الله ﷻ وسنَّة نبيِّه ﷺ، واتِّباع مُنشِئيها ومُبْتَدِعيها للأهواء والشُّبهات والشَّهوات الَّتي استحكمت في نفوسهم، وزيَّنها لهم الشَّيطان، فأعرضوا عن النُّصوص المعصومة بالوحيّ إلى ما تُمْلِيه عليهم أهواؤهم وخيالاتهم التي زينها الشيطان لهم، فكان ابتداء أمرهم إرادتهم للخير والاستزادة منه، كما جاء عن جماعةٍ كانوا في عهد الصَّحابة ﷺ ابتدعوا طريقةً في الذِّكر فأنكرها عليهم الصَّحابة ﷺ وبيَّنوا لهم أنَّها خلاف السُّنَّة الَّتي أُمروا بها، فقد جاء في الأثر: «قال أبو موسى الأشعريُّ ﷺ يا أبا عبد الرَّحمن –يعني عبد الله بن مسعودٍ ﷺ–: إنِّي رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته،... رأيت في المسجد قومًا حِلَقًا جلوسًا ينتظرون الصَّلاة، في كلِّ حلقةٍ رجلٌ، وفي أيديهم حصًى، فيقول: كبِّروا مائةً، فيُكبِّرون مائةً، فيقول: هلِّلوا مائةً، فيُهلِّلون مائةً، ويقول: سبِّحوا مائةً، فيُسبِّحون مائةً، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك،... ثمَّ مضى، ومضينا معه، حتَّى أتى حلقةً مِنْ تلك الحِلَق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الَّذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرَّحمن، حصًى نعدُّ به التَّكبير والتَّهليل والتَّسبيح، قال: فعُدُّوا سيِّئاتكم، فأنا ضامنٌ أن لا يضيع مِنْ حسناتكم شيءٌ، ويحكم يا أمَّة محمَّدٍ، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيِّكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ وآنيته لم تُكسَر، والَّذي نفسي بيده إنَّكم لعلى مِلَّةٍ هي أهدى مِنْ مِلَّةِ محمَّدٍ ﷺ، أو مُفتتحو باب ضلالةٍ، قالوا: والله يا أبا عبد الرَّحمن، ما أردنا إلَّا الخير، قال: وكم مِنْ مُريدٍ للخير لن يُصيبه»[(١)]، فذهبت مقولته مثالًا مُشتهرًا للرَّد على البدع المُستَحدَثَة في الدِّين بنيَّة إرادة الخير.

---

(١) أخرجه الدارمي في مسنده، كتاب العلم – باب في كراهية أخذ الرأي (١/٢٩٧) رقم (٢١٢) وصححه الألباني.

وقال الشَّيخ الألبانيُّ ﷺ في سياق هذا الأثر وبدعيَّة حلقات الذِّكر الَّتي يقوم بها الصُّوفيَّة: "وإنَّما المنكر ما أُلصق به مِنَ الهيئات والتَّجمُّعات الَّتي لم تكن مشروعةً على عهد النَّبيِّ ﷺ، وإلَّا فما الَّذي أنكره ابن مسعودٍ ﷺ على أصحاب تلك الحلقات؟ ليس هو إلَّا هذا التَّجمُّع في يومٍ مُعَيَّنٍ، والذِّكر بعددٍ لم يرد، وإنَّما يحصره الشَّيخ صاحب الحلقة، ويأمرهم به مِنْ عند نفسه، وكأنَّه مُشَرِّعٌ عن الله تعالى! قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الشورى:٢١]"[(١)]. فالقول ببدعية هذه الحلقات ليس بكونها حلقات ذكر لله ﷻ؛ فهذا أمرٌ مستحب، ومأمور به، وفعله النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، بل الذي أنكره ابن مسعود ﷺ إنما هو الكيفية التي يذكرون بها الله ﷻ وما يصاحبها من ترديد بأعداد معينة وكيفيات معينة. وزاد عليهم المتأخرين من الصوفية الطرقية السماع والرقص والاهتزاز والتمايل في حلق الذكر.

ويترتَّب على ابتداع هذه الأذكار والأحزاب وإلزام النَّاس بها أمورًا وآثامًا. "فكلُّ مَنْ أَحدث في التَّعبُّد كالذِّكر والدُّعاء المقيَّد ما ليس منه تَسَنُّنًا، فقد أَثِم مِنْ جهاتٍ أربعٍ:

١- هجر المشروع.

٢- الاستدراك على الشَّرع.

٣- استحباب مالم يُشَرَع.

٤- إيهام العامَّة بمشروعيَّته"[(٢)].

قال شيخ الإسلام ﷺ: "والعبادات مبناها على التَّوقيف والاتِّباع، لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النَّبويَّة هي أفضل ما يتحرَّاه المُتحرِّي مِنَ الذِّكر والدُّعاء، وسالكها على سبيل أمانٍ وسلامةٍ، والفوائد والنَّتائج الَّتي تحصل لا يُعَبِّرُ عنه لسانٌ، ولا يحيط به إنسانٌ، وما سواها مِنَ الأذكار قد يكون مُحَرَّمًا، وقد يكون مكروها، وقد يكون فيه شركٌ ممَّا لا يهتدي إليه أكثر النَّاس"[(٣)].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لناصر الدين الألباني (١٣/٥)، ط: مكتبة المعارف – الرياض الطبعة: الأولى ٢٠٠٢م.

(٢) تصحيح الدعاء (ص:٤٤).

(٣) الفتاوى الكبرى (١٧٧/٢).

النَّقد العامُّ على الأوراد الصُّوفيَّة:

ويمكن أن يرد عليهم بوجهٍ عام بما يلي:

١- خلطهم في أورادهم بين الألفاظ الصحيحة التي وردت في نصوص الشرع وبين ألفاظ مبتدعة تخالف نصوص الشرع في الألفاظ والمعاني.

٢- المتأمل لأورادهم وأحزابهم يتضح له كذبهم وافترائهم وتَّقوُّلهم على الله ﷻ بأنَّه مَنْ أفاض عليهم هذه الأوراد ورتَّب عليها الأجور، قال أحد الصُّوفيَّة الَّذي جمع أشهر الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة في كتابٍ واحدٍ بعد أن أوصى بالتزام ما جاء في كتابه، وهو محكيٌّ على لسان الأولياء وسادات الطُّرُق وشيوخها: "أنَّ هذا المجموع المبارك الَّذي هو بشموليَّته منهلٌ عذبٌ لتحصيل الفيض والإفاضة الَّتي تُنتج الحالة الرُّوحيَّة والقلبيَّة للتَّرقِّي وقضاء الحاجات بإذنه تعالى، لأنَّ هذه الأوراد مِنْ إفاضة الرَّحمن الرَّحيم لأوليائه الصَّالحين"[١].

٣- ادِّعائهم العصمة لهذا الأوراد وأنَّها إمّا حاصلة لهم بالفيض الإلهي أوصايا مِنَ النَّبيِّ ﷺ أو من الخضر أو ممَّنْ سبقهم مِنَ الأولياء، وكأنَّها وحيٌّ يوحى؛ فقد نسبوا "المسبَّعات" مِنْ أورادهم للخضر عليه السلام[٢] وأنَّه أهداها في فناء الكعبة لإبراهيم التَّيميّ رحمه الله[٣]، وما ذكر عليُّ حرازم عن أوراد شيخه التِّجانيّ: "وهذه الأذكار بعينها هي الَّتي رتَّبها رسول الله ﷺ وأمره بتلقينها لكلِّ مَنْ طلبه مِنَ المسلمين"[٤]. ومنها القول المنسوب للميرغنيُّ في نظم الأسماء الحسنى الَّذي نظمه حين كان في زيارةٍ لقبر النَّبيِّ ﷺ قال: "رأيت النَّبيَّ ﷺ واقفًا، وسألته، وقال لي: قُمْ بقضاء حوائج النَّاس، وأَذِنَ لي أن أنظم الأسماء الحسنى، وقال لي: كلُّ شطرٍ منها طريقةٌ موصلةٌ"[٥].

---

(١) الإفاضة الكبرى لناصر الدين الخطيب (ص:١٠)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠١٢م.

(٢) الإحياء (٤٧٦/٢).

(٣) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي من تيم الرباب ويكنى أبا أسماء، كوفي، سمع مِنْ أبيه، وروى عنه الحكم، وسلمة بن كهيل، والأعمش، سجنه الحجَّاج ومات في السجن. انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٩١/٦) والتاريخ الكبير للبخاري (٣٣٤/١).

(٤) جواهر المعاني (٩١/١).

(٥) فيوض البحور (ص:١٣٧).

٤- اعتمادهم على الرُّؤى المناميَّة والهواتف والإلهام في تحديد أوراد اليوم واللَّيلة، قال أبو بكرٍ الكتَّانيُّ[١]: "رأيت المصطفى ﷺ في المنام فقلت: أدعُ الله لي أن لا يُميت قلبي، فقال: قل كلَّ يومٍ أربعين مرَّةً: يا حيُّ يا قيُّوم لا إله إلَّا أنت"[٢]، وكـ "حزب الجوهرة" لأبي الهدى الصَّيَّاديّ الَّذي ادَّعى إلهامه مِنَ الله ﷻ[٣]، وغالبيَّة أورادهم مِنْ هذا القبيل.

٥- إلزام المُريد بتلاوة آياتٍ وسورٍ مُعَيَّنَةٍ في أوقاتٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ غير مُخَصِّصٍ شرعيٍّ، كتلاوة سورة ﴿يس﴾ و﴿الصَّافَّات﴾ وبضع آياتٍ مِنْ سورة ﴿الواقعة﴾ في أوقاتٍ مُعَيَّنَةٍ، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: "وليس لأحدٍ أن يَسُنَّ للنَّاس نوعًا مِنَ الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادةً راتبةً يُواظب النَّاس عليها كما يُواظبون على الصَّلوات الخمس؛ بل هذا ابتداع دينٍ لم يأذن الله به؛ بخلاف ما يدعو به المرء أحيانًا مِنْ غير أن يجعله للنَّاس سُنَّةً"[٤]، وقال الإمام الشَّاطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في أنَّ مِنَ البدع الَّتي لا أصل لها في الشَّرع وفيها مضاهاةٌ للشَّرعيَّة: "التزام العبادات المُعيَّنة في أوقاتٍ مُعَيَّنَةٍ لم يوجد لها ذلك التَّعيين في الشَّريعة... فإنَّ صاحب البدعة إنَّما يخترعها ليُضاهي بها السُّنَّة حتَّى يكون مُلَبِّسًا بها على الغير"[٥]، ثم إن هذا إحداث في الدين ما ليس منه قال ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[٦].

٦- إلزام المُريد بأوراد الطَّريقة ومنعه مِنْ ترديد أوراد طريقةٍ أُخرى، كما قال عليُّ حرازم مِنْ التِّيجانيَّة: "واعلم أنَّ هذا الورد -يعني "صلاة الفاتح"- لا يُلَقَّنُ لِمَنْ كان له وردٌ مِنْ أوراد المشايخ... إلَّا أنَّه تركه وانسلخ منه ولا يعود إليه أبدًا، وعاهد الله على ذلك"[٧]. ويدل ذلك على أن كل طريقة تُنكر ما عند الأخرى من الأوراد والأحزاب، وتنهى عن أخذ غير أحزابها

---

(١) محمد بن علي بن جعفر الكتاني، أحد مشايخ الصوفية، أصله من بغداد صحب الجنيد وأبا سعيد الخراز وأبا الحسين النوري، وأقام بمكة مجاورًا بها إلى أن مات سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة، انظر ترجمته في: الطبقات الصوفية (ص:١٢٨)، وتاريخ بغداد (١٢٧/٤).

(٢) البشائر الحاتمة بأسباب حسن الخاتمة لعبد الله الميرغني ضمن الرسائل الميرغنية (ص:٥٥).

(٣) انظر: قلادة الجواهر (ص:٣٤٣).

(٤) الفتاوى الكبرى (١٧٧/٢).

(٥) الاعتصام (٥١/١).

(٦) سبق تخريجه (ص: ٢٠٠).

(٧) جواهر المعاني (٩٢/١)، والدرة الخريدة (ص:١٣٢).

وأورادها؛ مثلهم في ذلك مثل الملل الضالة من اليهود والنصارى، الذين قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾ [سورة البقرة:١١٣].

٧- تحديد أوقات الذِّكر وعدم جواز الحيدة عنها والتزامها، ويردُّ عليهم أبو طالبٍ المكِّيُّ مِنَ الصُّوفيَّة الأوائل قبل ظهور بدع الطُّرُقيَّة بقوله: "وأمَّا العارفون فإنَّهم لم يوقِّتوا الأوراد، ولم يُقَسِّمُوا الأوقات، بل جعلوا الوِرْدَ واحدًا لمولاهم"[١]، ويقول القشيريُّ: "مِنْ خصائص الذِّكر: أنَّه غير مؤقَّتٍ، بل ما مِنْ وقتٍ مِنَ الأوقات إلَّا والعبد مأمورٌ بذكر الله"[٢].

٨- جعل القصائد الشِّعريَّة مِنَ الأوراد الملزمة عند بعض الفرق كالختميَّة التي تُكثر في أورادها القصائد كـ "نظم التَّوسُّل بأسماء الله الحسنى" وغيره، وعند الشَّاذليَّة تُقرأ المنظومة على "سفينة النَّجاة" صباحًا وعصرًا قبل وظيفة "سفينة النَّجاة"، و"البردة" للبوصيريّ الَّتي تُقرأ يوم الجمعة على طهارةٍ مع استقبال القبلة، و"القصيدة الميميَّة" لدى أتباع الطَّريقة النَّقشبنديَّة[٣].

وهذا لم يعرف عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة رضي الله عنهم ولا عن التابعين لهم بإحسان، بالإضافة إلى ما تضمنته هذه الأشعار من مخالفات عقدية وغلو في النبي ﷺ ورفعه عن مقام النبوة والرسالة والعبودية لله تعالى.

٩- استخدام ألفاظٍ مُخالفةٍ للشَّرع ولا أصل لها في اللُّغة العربيَّة مثل: الطَّلاسم، والألفاظ الغريبة، وإدخال الألفاظ الأجنبيَّة مثل: اللُّغة الفارسيَّة عند النَّقشبنديَّة، واللُّغة التُّركيَّة والألبانيَّة عند البكتاشيَّة، وكبعض الألفاظ الواردة في الحزب السُّريانيّ عند أتباع الطَّريقة القادريَّة:"... بلطفٍ خفيٍّ يا الله يا الله يا الله، بصعصع صعصع، والبهاء والنُّور التَّامّ، بسهسوب سهسوب ذي العزِّ الشَّامخ، بطهطهوب لهوب يالله..."[٤]. وهذه الألفاظ تخرج عن الضوابط الشرعية

---

(١) قوت القلوب (١/٢٤٠).

(٢) الرسالة القشيرية (ص:٣٤٠).

(٣) انظر: النفحات العلية (ص:٢٦و٢٨)، ومجموعة أوراد وأحزاب الطريقة النقشبندية (ص:١٣٩).

(٤) الكنوز النورانية من أدعية وأوراد السادة القادرية لمخلف القادري الحسيني (ص:٢٢٢)، ط: دار الريحانة- القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠١٧م.

للأوراد والأحزاب الشرعية التي مرت معنا آنفاً[(١)].

١٠- تحديد أعدادٍ مُعَيَّنَةٍ للأوراد، ويُلزم المُريد بالعدد مهما بلغ ظَرفه وحاله، ومنها قراءة المُريدين في الطَّريقة القادريَّة لسورة ﴿يس﴾ (٤١ مرَّةً) قبل البدء بمجلس الذِّكر ويكون عدُّها بحصًى يوضع في وسط الحلقة، وكلَّما انتهى أحدهم مِنْ تلاوة السُّورة أخذ منها، فإن رأى الشَّيخ أنَّ سورة ﴿يس﴾ ثقيلةٌ على الحاضرين -والعياذ بالله- فيستبدلها بالصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ (١٠٠٠ مرَّةٍ)[(٢)]. وهذا خلاف ما جاء في السُّنَّة الصَّحيحة؛ وقد سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ: أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: «أدومها، وإن قلَّ»، وقال: «اكلَفوا مِنَ الأعمال ما تُطيقون»[(٣)]. وقال الشَّيخ بكر أبو زيدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فتوظيف الإنسان على نفسه ذكرًا مُقَيَّدًا بعددٍ لم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ هو زيادةٌ على المشروع، ونفس المؤمن لا تشبع مِنَ الخير وكثرة الدُّعاء والذِّكر، وهذا الأمر المُطلق مِنْ فضل الله على عباده في حدود ما شرعه الله مِنَ الأدعية والأذكار المطلقة بلا عددٍ مُعَيَّنٍ، كلٌّ حسب طاقته ووُسعِه وفَرَاغِه، وهذا مِنْ تيسير الله على عباده ورحمته بهم"[(٤)].

١١- إلزام المُريدين بتلاوة الأوراد وترديدها في اجتماعٍ راتبٍ منتظمٍ يتكرَّر في حلقات الذِّكر الجماعيَّة كالهيللة -قول لا إله إلَّا الله- كلَّ يوم جمعةٍ عند أتباع الطَّريقة التِّيجانيَّة[(٥)]، وهي مِنَ البدع الَّتي استُحدثت في دين الله ولم ترد في كتاب الله ﷻ ولا في سنَّة نبيِّه ﷺ ولا فعلها الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وما كانت مجالس الذِّكر الَّتي أوصى بها النَّبيُّ ﷺ، واجتمع هو وأصحابه فيها إلَّا مجالس مدارسةٍ للعلم والتَّفقُّه في الدِّين ووعظٍ مِنْ كلام الله ﷻ وكلام نبيِّه ﷺ، ويُفَسِّرُ هيئتها وكيفيَّتها فعله ﷺ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وكان المشهور مِنْ حالهم؛ أنّ النَّبيَّ ﷺ يجلس المجلس يتحدَّث ويُعَلِّمُ ويُوَجِّهُ وينصح ويُرشد، والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ منصتون متعلِّمون مسترشدون، ولم يرد في كتب السُّنَّة الصَّحيحة الهيئة الَّتي يصنعها الصُّوفيَّة في حلقاتهم وحضراتهم، وهي عين ما أنكره عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقوله: «ويحكم يا أمَّة محمَّدٍ، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيِّكم

---

(١) انظر: ضوابط الأوراد والأحزاب المستنبطة من النصوص الشرعية (ص: ١٨٥).

(٢) الكنوز النورانية (ص:١٣٤و١٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب القصد والمداومة على العمل (٤/١٦٣٠) رقم (٦٤٦٥).

(٤) السبحة تاريخها وحكمها لبكر أبو زيد (ص:١٠٢) ط: دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

(٥) انظر: جواهر المعاني (١/١٩٢).

ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ وآنيته لم تُكسر، والَّذي نفسي بيده إنَّكم لعلى مِلَّةٍ هي أهدى مِنْ مِلَّةِ محمَّدٍ ﷺ، أو مفتتحو باب ضلالةٍ، قالوا: والله يا أبا عبد الرَّحمن، ما أردنا إلَّا الخير، قال: وكم مِنْ مُريدٍ للخير لن يُصيبه»[١]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فأمَّا اتِّخاذ اجتماعٍ راتبٍ يتكرَّر بتكرُّر الأسابيع أو الشُّهور أو الأعوام، غير الاجتماعات المشروعة، فإن ذلك يُضاهي الاجتماع للصَّلوات الخمس وللجمعة وللعيدين وللحجّ، وذلك هو المُبتَدَع المُحدَث"[٢]، وقال الإمام الشَّاطبيُّ رحمه الله أنَّ مِنَ البدع: "التزام الكيفيَّات والهيئات المعيَّنة كالذِّكر بهيئة اجتماعٍ على صوتٍ واحدٍ"[٣].

١٢- اشتراطهم الخلوة والانعزال عند ترديد بعض الأوراد كفعلهم في الرَّابطة الَّتي يدَّعونها بين الشَّيخ والمُريدين[٤]، بحيث يقوم المُريد بترديد بعض الآيات كآية الكرسيّ (٢٠ مرَّةً)، وسورة الإخلاص (٤٠ مرَّةً)، وبعض الأذكار كالاستغفار (١٠٠ مرَّةٍ)، والأدعية كأن يهب ثواب ما قال للأولياء مِنْ أصحاب الطَّريقة ثمَّ يطلب المدد مِنَ الله عز وجل والنَّبيّ ﷺ ومِنَ الأولياء، مستحضرًا صورة شيخه وتصوُّره بين عينيه بشدَّةٍ[٥]. وغير ذلك مما لم يدل عليه كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ القائل: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[٦].

١٣- ابتداعهم لأذكارٍ لم ترد لا في كتاب الله عز وجل ولا سنَّة نبيّه ﷺ ولا قال بها أحدٌ مِنْ صحابة رسول الله رضي الله عنهم بهيئاتٍ مبتدعةٍ، كترديد اسم الجلالة (الله) المفرد قيامًا وقعودًا مُظهَرًا ومُضمَرًا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأمَّا اتِّخاذ وردٍ غير شرعيٍّ، واستنان ذكرٍ غير شرعيٍّ فهذا ممَّا يُنهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشَّرعيَّة والأذكار الشَّرعيَّة غاية المطالب الصَّحيحة، ونهاية المقاصد العليَّة، ولا يَعدل عنها إلى غيرها مِنَ الأذكار المُحدَثة المُبتَدَعة إلَّا جاهلٌ أو مُفَرِّطٌ أو مُتَعَدٍّ"[٧].

(١) سبق تخريجه (ص: ١٩٧) في نفس المبحث.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١٤٠/٢).

(٣) الاعتصام (٥١/١).

(٤) انظر الطريقة القادرية في الفصل الأول (ص: ١٢٥) يوضع الرقم بعد الإخراج النهائي

(٥) الكنوز النورانية (ص:١٤٩).

(٦) سبق تخريجه (ص: ٢٠٠).

(٧) الفتاوى الكبرى (١٧٧/٢).

١٤- ابتداع طرقٍ للذِّكر لم ترد بالكتاب والسُّنَّة كالسَّماع والرَّقص وغيرها، فينسبون للجُنيد ﷺ قوله: "تتنزّل الرّحمة على الفقراء -الصُّوفيّة- في ثلاثة مواطن: عند السَّماع؛ فإنَّهم لا يسمعون إلّا عن حقٍّ، ولا يقولون إلّا عن وَجدٍ..."[١]، بل جاء النَّهي عن السَّماع والرَّقص واستخدام المعازف والآلات الموسيقيَّة، قال ﷺ: «ليكوننَّ مِنْ أمَّتي أقوامٌ يستحلُّون الحِرَّ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ»[٢]، وجاء عن الإمام الشَّافعيّ ﷺ أنَّه قال: "خَلَّفْتُ بالعراق شيئًا أحدثته الزَّنادقة يُسمُّونه التَّغبير، يشغلون به النَّاس عن القرآن"[٣]، وقيل في معنى التَّغبير: "يُسَمَّى ما يُقرأ بالتَّطريب مِنَ الشِّعر في ذكر الله تعالى تغبيرًا كأنَّهم إذا تناشدوها بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا فسُمُّوا مُغَبِّرَةً"[٤].

١٥- استغنائهم واستبدالهم ما جاء في الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة مِنْ أذكارٍ وأورادٍ، والاكتفاء بأوراد الطَّريقة والتزامها وذلك بإشغال المُريد بأوراد الطَّريقة طوال يومه وأسبوعه وشهره، فلا يبقون له وقتًا للأوراد والأذكار المسنونة الشَّرعيَّة، وهذا في جميع طُرُق الصُّوفيَّة، فهم يقرؤون السُّور والآيات المحدَّدة لهم في وردهم اليوميّ، ولا يُمكنهم التَّنويع فيها أو تغييرها والعدول عنها، ولم أقف على ختمةٍ للقرآن الكريم يُوصى بها المُريد في أيٍّ مِنَ الطُّرُق الصُّوفيَّة، أو وصيَّةٍ بقراءة الصَّحيحين وغيرها مِنْ كتب العلم الصَّحيحة المتعلّقة بالأوراد والأذكار ولو قليلًا. وعن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال: "الاقتصاد في السُّنَّة خيرٌ مِنَ الاجتهاد في البدعة"[٥].

١٦- ترتيب الأجور الخياليَّة المكذوبة والباطلة على حفظ وتلاوة هذه الأوراد وترديدها ومبالغتهم وكذبهم فيها، كقول التِّيجانيَّة في (الحزب السَّيفيّ): بأنَّ مَنْ داوم عليه مرَّةً في الصَّباح ومرَّةً في المساء لم يُكتب عليه ذنبٌ، ومَنْ ذكره مرَّةً تكتب له عبادة سنةٍ، ومرَّتين سنتين... وهكذا، ويعدل صيام رمضان، وقيام ليلة القدر، بل أعظم منه أنَّ مَنْ حمله كُتِبَ مِنَ الذَّاكرين الله كثيرًا ولو لم يذكره!![٦].

(١) الرسالة القشيرية (ص:٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة – باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه (١٤٣٢/٣) رقم (٥٥٩٠).

(٣) تلبيس إبليس (ص:٢٢٢).

(٤) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ت: محمد عوض مرعب (١٢٣/٨) ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(٥) الزهد للإمام أحمد (ص:١٣١).

(٦) انظر: جوهرة المعاني(٩٣/١)، والدرة الخريدة (ص:١٥٠).

١٧- ادِّعائهم أنَّ بعض هذه الأوراد هي أعظم أجرًا مِنَ القرآن الكريم الَّذي هو كلام الله ﷻ؛ مثل: "صلاة الفاتح لما أُغلق" عند التِّيجانيَّة، فيقولون فيها على لسان التِّجانيّ: "سألته ﷺ عن فضلها، فأخبرني أوَّلًا: بأنَّ المرَّة الواحدة منها تعدل مِنَ القرآن ستَّ مرَّاتٍ، ثمَّ أخبرني ثانيًا: أنَّ المرَّة الواحدة منها تعدل مِنْ كلِّ تسبيحٍ وقع في الكون، ومِنْ كلِّ ذكرٍ، ومِنْ كلِّ دعاءٍ كبيرٍ أو صغيرٍ، ومِنَ القرآن ستَّة آلاف مرَّةٍ لأنَّه مِنَ الأذكار"[١].

١٨- تقسيم الأوراد إلى أورادٍ عامَّةٍ للمبتدئين وأورادٍ خاصَّةٍ للمتقدِّمين، وتحديد أعداد التِّلاوة، ثمَّ التَّرقِّي والزِّيادة بحسب حال المُريد، فالأوراد عن الطَّريقة النَّقشبنديَّة تنقسم إلى: أوراد المجتهدين بالرِّياضات الرُّوحيَّة، وأوراد السَّائرين إلى الله، وأوراد الواصلين[٢]، وهذا التقسيم في العبادة مخالف لكون العبادة مطلوبة من الناس جميعاً، بل من الجن والإنس على حد سواء قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [سورة الذاريات:٥٦].

١٩- تخويف المريدين مِنْ ترك هذه الأوراد أو الإخلال بشروطها، فقد جاء في كتبهم أنَّ مِنَ الأمراض الَّتي ابتُلي بها بعض المريدين مرض التَّقليل مِنَ الورد فقالوا: "هذا مِنْ أعظم الأمراض -التَّقليل مِنَ الورد- وهو أنَّ الكثير مِنَ المريدين يُريد الولاية والفتح والخير ببعض مئاتٍ أو الآلاف، وهذا خلاف ما عليه أهل الله تعالى"[٣]، ومنه قول التِّيجانيَّة فيمَنْ أخذ ورد التِّجانيّ "صلاة الفاتح" ثمَّ تركه بالكلِّيَّة: "ومَنْ أخذ هذ الورد وتركه تركًا كلِّيًّا أو مُتهاونًا به، حلَّت به عقوبةٌ ويأتيه الهلاك، وهذا إخبارٌ مِنْ سيِّد الوجود ﷺ لشيخنا"[٤].

٢٠- ممارسة بعض الطُّقوس المُبتَدَعَة المأخوذة مِنْ بعض الدِّيانات الشَّرقيَّة عند ترديد الأوراد كإغماض العين وحبس الأنفاس والجلوس في أماكن مظلمةٍ كما جاء في طُرُق التَّعبُّد عند النَّقشبنديَّة[٥]. وهذا مصادم لنصوص الشريعة فلم يأت لا في كتاب الله ﷻ ولا سنة نبيه ﷺ ولا جاء عن الصحابة ﵃ هذه الكيفيات التي يقوم بها الصوفية في ذكرهم.

---

(١) جواهر المعاني (١/١٠٠).

(٢) انظر: مجموعة أوراد وأحزاب الطريقة النقشبندية (ص:٥).

(٣) الكنوز النورانية (ص:١١٥).

(٤) جواهر المعاني (١/٩١).

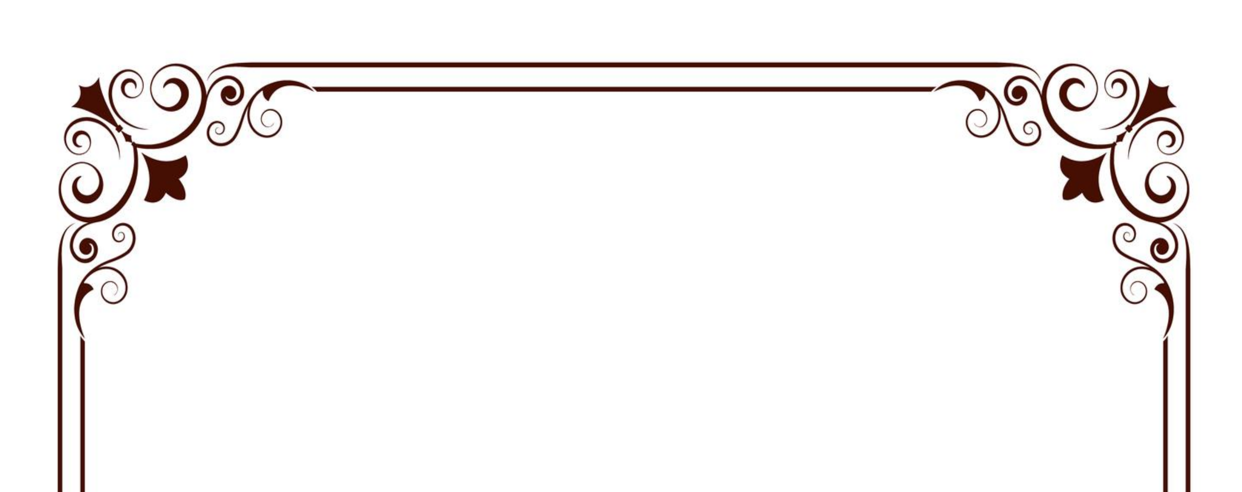
(٥) طبقات الخواجكان النقشبندية (ص:٧٣).

٢١- اختلاط أماكن الذِّكر بين الرِّجال والنِّساء مع استعمال الآلات الموسيقيَّة أثناء الذِّكر[١]. وهذا تحويل لحلق الذكر إلى حفلات غناء ورقص واستحلال للمعازف التي نهى الله عَزَّوَجَلَّ عنها في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾ [سورة لقمان:٦]. وقوله ﷺ: «ليكوننَّ مِنْ أمَّتي أقوامٌ يستحلُّون الحِرَّ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ»[٢].



(١) انظر: حلقة ذكر جماعية لأتباع الطريقة البكتاشية مصورة على قناة الاتحاد العالمي للمسلمين العلويين في برنامج اليوتيوب بعنوان: حلقة ذكر علوية بكتاشية (قزلباشية) من أوراد شاه إسماعيل الصفوي https://cutt.us/To7PB.

(٢) سبق تخريجه (ص: ٢٠٤).



الفصل الرَّابع:
المآخذ اللَّفظيَّة العقديَّة في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأوَّل: المآخذ العقديَّة في باب الرُّبوبيَّة.

المبحث الثاني: المآخذ العقديَّة في باب الألوهيَّة.

المبحث الثَّالث: المآخذ العقديَّة في باب الأسماء والصِّفات.

المبحث الرَّابع: مآخذ عقديَّةٌ متفرِّقةٌ في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة.

التَّمهيد

قال رسول ﷺ: «الدِّين النَّصيحة، قلنا: لِمَنْ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم»(١)، فهذا الحديث العظيم يدلُّ على عِظَمِ شأن النَّصيحة، فقد سمَّاها النَّبيُّ ﷺ دينًا لمنزلتها العظيمة وتأثيرها على الخلق وشدَّة حاجتهم لها كحاجتهم للدِّين، والنُّصح: "بذل المودَّة والاجتهاد في المشورة"(٢).

ويكون النُّصح لعامَّة المسلمين بتعليمهم وتفقيههم في الدِّين، وإرشادهم للحقِّ، ودعوتهم لتَعَلُّمِ كتاب الله ﷻ وسنَّة نبيِّه ﷺ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وبيان الخطأ في أعمالهم وما جانبوا فيه الصَّواب، فالنَّصيحة عماد الدِّين وقوامه، وبها يصلح حال العباد والبلاد، وهي ما اجتهد بها الرُّسل مِنْ قبل، قال الله تعالى على لسان نبيِّه نوحٌ عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الأعراف:٦٢]. وقال تعالى في فلاح مَنْ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٤]. وجعل الله ﷻ مِنَ الولاية الحقَّة بين المؤمنين الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر في قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿٧١﴾﴾ [سورة التوبة:٧١].

ومِنَ النُّصح للصُّوفيَّة عامَّةً وأتباع الطُّرُق فيها خاصَّةً، بيان ما في أحزابهم وأورادهم مِنْ مآخذ عقديَّةٍ؛ قد تُفضي بقائلها للابتداع في دين الله ﷻ أو الوقوع في الشِّرك والكفر، إمَّا جاهلًا بها وإمَّا متأوِّلًا فيها، ولنبرأ إلى الله مِنْ كلِّ قولٍ وعملٍ لا يُرضيه سبحانه وتعالى.

وأصل هذه المآخذ هو الخروج عمَّا جاء في كتاب الله ﷻ وسنَّة نبيِّه ﷺ الصَّحيحة، وتحكيم الأهواء والأذواق والكُشوفات في العبادات والقُرُبات، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ ويُقَدَّمَ على ما سواه، قال أبو سُليمان الدَّارانيُّ رحمه الله: "ليس لِمَنْ أُلهم شيئًا مِنَ الخير أن يفعله حتَّى يسمع فيه بأثرٍ، فإذا سمع فيه بأثرٍ كان نورًا على نورٍ"(٣). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكثيرٌ مِنَ النَّاس أدخلوا في الاعتقادات ألفاظًا مجملةً تتضمَّن مخالفة النُّصوص، فخرجوا عن السُّنَّة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلَّا المؤمنون (٢/٢٢٥) رقم (١٩٤).

(٢) جمهرة اللغة (١/٥٤٤).

(٣) الاستقامة (٢/٩٥).

والجماعة، مع ظنِّهم أنَّ ذلك هو السُّنَّة والجماعة، إنَّما اعتقاد أهل السُّنَّة: ما ثبت عن الرَّسول ﷺ في القرآن والحديث الصَّحيح الثَّابت عنه، واعتقاد الجماعة: ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتَّابعون لهم بإحسانٍ"(١).

ومِنَ النَّاس مَنْ يجتهد في العبادات ويجعل له حزبًا مِنَ الأذكار أو الصَّلوات يؤدِّيها في يومه وليلته، أو وردًا مِنَ القرآن يلتزم بقراءته ولا يُفَرِّطُ فيه، فإن كان جنس ما يلتزمه مشروعًا وليس فيه ما يُنهى عنه؛ فهو مشروعٌ له ولغيره، ويكون الابتداع والمنكر فيما لو جعل تلك العبادات سنَّةً راتبةً للنَّاس، يدعوهم لها فيجتمعون عليها اجتماعًا راتبًا، ويدَّعي أنَّ هذا مِنَ السُّنَّة ومِنَ القُرُبات، فيكون بذلك مبتدعًا مُخالفًا لنصوص الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة الَّتي تنهى عن الابتداع ومُخالفة إجماع المسلمين(٢).

وأَتباع الطُّرُق الصُّوفيَّة جمعوا بين مُنكرين: اختراع أحزابٍ وأورادٍ مُنكَرَةٍ ما أنزل الله ﷻ بها مِنْ سُلطانٍ، والاجتماع عليها بلا دليلٍ شرعيّ.

والواجب على كلِّ مسلمٍ التزام الأذكار والأدعية الَّتي جاءت في الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة؛ ففيها الغُنية، وفيها صلاح أحواله ومآله، فالنَّبيُّ ﷺ قد بلَّغ الرِّسالة وأدَّى الأمانة، ونصح للأمَّة، وبيَّن للنَّاس عقائدهم وما ينفعهم مِنْ شرائع في الدِّنيا والآخرة، وأكمل الله ﷻ الدِّين له ولأُمَّته، قال أُبَيُّ بنُ كعبٍ ﵁: "إنَّ اقتصادًا في سبيلٍ وسُنَّةٍ خيرٌ مِنِ اجتهادٍ في خلاف سبيلٍ وسُنَّةٍ"(٣). وكان أفضل البشر بعد الأنبياء والرُّسل ﵈ يسأل النَّبيَّ ﷺ أن يُعَلِّمَه كيف يدعو، فكيف بِمَنْ هو دونه منزلةً وديانةً؟ فقد جاء عن «أبي بكرٍ الصِّدِّيق ﵁: أنَّه قال لرسول الله ﷺ: عَلِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: قل: اللَّهمَّ إنِّي ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفرُ الذُّنوبَ إلَّا أنتَ، فاغفر لي مغفرةً مِنْ عندكَ، وارحمني إنَّك أنتَ الغفورُ الرَّحيم»(٤)؛ فلم يدعُ أبو بكرٍ الصِّدِّيق ﵁ حتَّى سأل النَّبيَّ ﷺ فأرشده لدعاءٍ جامعٍ نافعٍ، ونحن أولى بالسُّؤال عن الأوراد والأدعية والأذكار النَّافعة الصَّحيحة الثَّابتة عن النَّبيِّ ﷺ مِنْ أبي

(١) الرد على الشاذلي (ص:٢٨).

(٢) انظر: الرد على الشاذلي (ص:٢٧).

(٣) شرح السنة للبغوي ت: شعيب الأرناؤوط (٢٠٨/١، ط: المكتب الإسلامي — بيروت، الطبعة: الثانية ١٩٨٣م.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الأذان – باب الدعاء قبل السلام (٢٠١/١) رقم (٨٣٤)، ومسلم – كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٣٠/١٧) رقم (٦٨٠٩).

بكرٍ ﷺ. وقال الإمام مالكٌ ﷺ في هذا المعنى: "لم يأتِ آخر هذه الأمَّة بأهدى ممَّا كان عليه أوَّلها"[١]، وقال ﷺ أيضًا: "فما لم يكن يومئذٍ دينًا، لا يكون اليوم دينًا"[٢]، وصلاح الأمَّة بصلاح أفرادها، ولا يكون ذلك إلَّا بالاعتصام بالكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة.

وسأنبِّه في هذا الفصل على جملةٍ مِنَ المآخذ العقديَّة فيما اشتهر مِنَ الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة، ولا يَسعني الاستدراك على جميع الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة فهي تبلغ المئات، ولا إيضاح جميع الألفاظ والتَّراكيب المبهمة والغريبة فيها؛ فهي كثيرةٌ لا حصر لها، وهي في كلِّ أحزابهم وأورادهم، وسأكتفي ببعضها، فحسبي مِنَ القلادة ما أحاط بالعنق، وقد قَسَّمتُ هذه الاستدراكات إلى أربعة أقسامٍ:

١- المآخذ العقديَّة في باب الرُّبوبيَّة.

٢- المآخذ العقديَّة في باب الألوهيَّة.

٣- المآخذ العقديَّة في باب الأسماء والصِّفات.

٤- مآخذ عقديَّةٌ مُتَفَرِّقَةٌ في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة.



(١) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة لابن رشد (الجد) القرطبي، ت: د محمد حجي وآخرون (٢٤٢/١) ط: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثانية ١٩٨٨م.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي، ت: الشيخ أحمد محمد شاكر (٥٨/٦)، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ طبع.




المبحث الأوّل: المآخذ العقديّة في باب الرُّبوبيَّة

أولًا: العقيدة الصحيحة في توحيد الرُّبوبيَّة:

هي: "الإقرار أنَّ الله تعالى ربُّ كلِّ شيءٍ ومالكه وخالقه ورازقه، وأنَّه المحيي والمميت، النَّافع الضَّارُّ الَّذي له الأمر كلُّه، وبيده الخير كلُّه، القادر على كلِّ شيءٍ ليس له في ذلك شريكٌ"[1].

ثانيًا: المآخذ العقديَّة في بعض الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة في باب الرُّبوبيَّة:

• نسبة صفات الله ﷻ للنَّبيِّ ﷺ وللأولياء كالخلق، والرِّزق، والتَّدبير، والملك، والتَّصرُّف في الأكوان، ولهم فيها أساليب متعدِّدةٌ؛ منها:

– نسبة المُلك الإلهيِّ للنَّبيِّ ﷺ؛ قال ابن عربيٍّ في (صلاة فواتح الحقيقة): "اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله... مالك أزمة الأمر الإلهيِّ تهيُّأً واستعدادًا"[2]. وهذا قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة آل عمران:١٢٨]. وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٤]. وقال ﷺ: «ألا أيُّها النَّاس فإنَّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربِّي فأُجيب»[3]، وهذا مِنَ الشِّرك العظيم المنهيِّ عنه والمتوعَّد فاعله وقائله بالعذاب، وفيما ذكرنا في عقيدة الصُّوفيَّة بالنَّبيِّ ﷺ والرَّدِّ على الغلوِّ بالنَّبيِّ ﷺ الكفاية[4].

– سؤال الله ﷻ خاصيَّةً مِنْ خواص ربوبيَّته، وهي التَّدبير، فيسأل الصُّوفيَّة الله ﷻ الكشف لتدبير الأفلاك؛ مثل قول عبد القادر الجيلانيِّ في (حزب الحفظ): "واكشف لي سرَّ

---

(١) قانون التأويل للقاضي أبو بكر بن العربي، ت: محمد السليماني (ص: ٣٧٧)، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٨٦ م.

(٢) مجموعة أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر ابن عربي، جمع: أحمد كمشخانوي (ص: ٣٠)، ط: كتاب ناشرون- بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (١٧٤/١٦) رقم (٦١٧٥).

(٤) انظر: الفصل الأول: أهم عقائد الصوفية، عقيدتهم بالنبي ﷺ (ص: ٧١)

أسرار أفلاك التَّدوير في حواس التَّصرير لأدبِّر كلَّ فلكٍ بما أقمته مِنْ أسرار"[١].

قلت: وتدبير الأفلاك وتدبير غيرها مِنْ مخلوقات الله ﷻ صفةٌ خاصَّةٌ بالله ﷻ وحده لا يُنازعه أحدٌ مِنْ خلقه فيها؛ والرد عليهم بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة يونس:٣]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة يونس:٣١].

- قولهم بتصرُّف القطب في الكون، وإحاطة علمه بكلِّ السَّكنات والحركات فيه؛ قال ابن عربيٍّ في (حزب صلاة النُّور): "وارضَ عن خليفته في هذا الزَّمان، مِنْ جنس عالم الإنسان... فهو قطب دائرة الوجود ومحلُّ السَّمع والشُّهود، فلا تتحرَّك ذرَّةٌ في الكون إلَّا بعلمه، ولا تسكن إلَّا بحكمه، لأنَّه مظهر الحقِّ ومعدن الصِّدقِ"[٢]. ويرد عليهم بقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة فاطر:١١]. وقوله تعالى: ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة فصلت:٤٧].

- سؤال الله ﷻ أن يمنحهم اسمًا مِنْ أسماء نوره ﷻ ليكون اسمًا يُتَضَرَّعُ به عند طلب الحاجات وأن يُفضي ﷻ عليهم بعض صفاته؛ قال الرِّفاعيُّ في (حزبه الكبير): "وامنحني اسمًا مِنْ أسماء نورك مَنْ تضرَّع به أجبته"[٣]، وقوله في (حزب الأسرار): "اللَّهمَّ إنَّا نسألك بأحدية ووحدانيَّة أسمائك، وفردانيَّة صفاتك، أن تؤتينا سطوةً مِنْ جلالك، وبسطةً مِنْ جمالك، ونشطةً

(١) الأوراد القادرية (ص:١٧).

(٢) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٢٦)، وانظر: الرد على غلو الصوفية بالأولياء في الفصل الأول (ص: ٨١).

(٣) المجموع الجامع (ص:٤).

مِنْ كمالك"[١]، وهذه مضاهاةٌ لله ﷻ في أسمائه وصفاته، بسؤاله سبحانه إيَّاها ومضاهاة أفعاله ﷻ ويرد عليهم بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١]. قال الشيخ عبدالرحمن السعدي: "ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه"[٢].

- سؤال الله ﷻ أن يُقَدِّسَهم عن النَّقائص وطلبهم للكمال؛ قال الشَّاذليُّ في (حزب البرِّ): "وقدِّسنا عن كلِّ وصفٍ يوجب نقصًا"[٣]، وهذا التَّقديس لا يكون إلَّا لله ﷻ وحده فهو المتَّصف بصفات الكمال والجلال الَّتي لا نقص فيها؛ والتَّقديس: "تنزيه الله ﷻ"[٤]. قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [سورة الجمعة:١].

- التَّوسُّل إلى النَّبيِّ ﷺ مِنْ دون الله ﷻ بقولهم: "يا أقوى مستندٍ، أتوسَّل إلى جنابك الأعظم، بهؤلاء السَّادات، وأهل الله، وأهل بيتك الكرام، لدفع ضرٍّ لا يُدفع إلَّا بواسطتك، ولرفع ضيمٍ لا يُرفع إلَّا بدلالتك"[٥]، وهذا مِنَ الشِّرك العظيم الصَّريح البيِّن بالله ﷻ المتوعَّد صاحبه بالعذاب؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس:١٠٦-١٠٧]. وقال تعالى في عقوبة الشِّرك في الآخرة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة:٧٢].

---

(١) المجموع الجامع (ص:١٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن السعدي (ص:٨٩٣)، ط:دار ابن الجوزي- الرياض، الطبعة الخامسة ١٤٣٢هـ.

(٣) أوراد الطريقة الشاذلية (ص:٢١).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي، ت: عبد الحميد هنداوي، (٢٢٥/٦)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠٠ م.

(٥) دليل المريد (ص:٦).

• القول بربوبيَّة النَّبيّ ﷺ -والعياذ بالله-، قال ابن عربيٍّ في صلواته على النَّبيّ ﷺ: "اللَّهمَّ أفض صلة صلواتكَ وسلامة تسليماتكَ على أوَّل التَّعيُّنات المفاضة مِنَ العماء[1] الرَّبَّانيّ... الجامع بين العبوديَّة والرُّبوبيَّة والمنشأ الأعمّ... ومركز إحاطة الباطن والظَّاهر، حبيبك الَّذي استجلبتَ به جمال ذاتك على منصَّة تجلّياتك، ونصَّبته قبلة توجُّهاتكَ في جامع تجلّياتكَ، وخلعتَ عليه خلعة الصِّفات والأسماء"[2]، وقال أيضًا في صلاة "فواتح الحقيقة": اللَّهمَّ صلّ وسلِّم على سيّدنا محمَّدٍ وآله... أقنوم[3] المعاهد الَّتي سجدت له جباه العقول، أقنوم الوحدة ولا ولا أقنوم"[4]، وقولهم في الصَّلاة على النَّبيّ ﷺ: "اللَّهمَّ صلِ على كاشف الغُمَّة، اللَّهمَّ صلِّ على مُجلي الظُّلمة، اللَّهمَّ صلِّ على مولي النِّعمة"[5]، ويُعلم ما في هذه الأقوال مِنْ فسادٍ وضلالٍ عظيمٍ؛ وأنَّها مِنَ الشِّرك بالله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النساء:٤٨]. وقد أوردنا ردَّ أهل السُّنَّة والجماعة على الغالين في النَّبيّ ﷺ فيما سبق[6].

• مساواتهم النَّبيَّ ﷺ بالله ﷻ بوضع (٩٩) اسمًا له يُردِّدونها في أورادهم، وهناك مَنْ يزيدها منهم، ومنها ما يُنسب لعبد القادر الجيلانيّ في الصَّلوات المسمَّاة بـ "الكبريت الأحمر":

---

(١) العماء: السحابة الكثيفة السوداء، انظر: المحيط في اللغة (١/١٢٧)، وفي الحديث سئل النبي ﷺ: يا رسول الله، أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء» أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب ومن سورة هود (ص:٦٩٨) رقم (٣١٠٩)، قال أحمد بن منيع: قال يزيد بن هارون: العماء: أي ليس معه شيء، ضعفه الألباني.

(٢) مجموعة أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٢٠-٢١).

(٣) الأقنوم: من الألفاظ الرومية المأخوذة من النصارى؛ ومعناه: "الأصل، ولهذا يضطربون- النصارى- في تفسير الأقانيم تارة يقولون: أشخاص، وتارة: خواص، وتارة: صفات، وتارة جواهر، وتارة يجعلون الأقنوم اسمًا للذات والصفة معًا"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيه: "أنَّ قولهم بالأقانيم مع بطلانه في العقل والشرع لم ينطق به عندهم كتاب، ولم يوجد هذا اللفظ في شيءٍ من كتب الأنبياء التي بأيديهم ولا في كلام الحواريين، بل هي لفظةٌ ابتدعوها". انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ت: علي بن حسن وآخرون، (٣/٢٠٠)، ط: دار العاصمة- الرياض، الطبعة: الثانية ١٩٩٩م.

(٤) مجموعة أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٣١).

(٥) البدور النيرات في اختصار دلائل الخيرات لمحمد الجزولي (ص:٢٥)، ط: دار المصطفي – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

(٦) انظر: الفصل الأول من الرسالة؛ أهم العقائد الصوفية وأشهرها، عقيدتهم بالنبي ﷺ (ص: ٧١).

"اللَّهمَّ اجعل صلواتك أبدًا، وأنمى بركاتك سرمدًا، وأزكى تحيَّاتك فضلًا وعددًا على أشرف الإنسانيَّة ومعدن الدَّقائق الإيمانيَّة... السِّرِّ الباطن، النُّور الظَّاهر، السَّيِّد الكامل، الفاتح، الخاتم، الأوَّل، الأخير، الباطن، الظَّاهر، العاقب، الحاشر، النَّاهي، الآمر... الماحي، الماجد، العزيز، المؤمن... والرَّسول المُجتبى، الحكم، العدل، الحكيم، العليم، العزيز، الرَّؤوف، الرَّحيم، نورك القديم، وصراطك المستقيم..."[1].وهذه أسماء الله ﷻ وصفاته لا يماثله ولا يشابهه فيها أحد من خلقه ولا يشركه فيها أحد؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف:١٨٠]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١].

● استخدام ألفاظٍ مجملةٍ تحتمل معنًى صالحًا وآخر فاسدًا، كقول الشَّاذليِّ في (الحزب الكبير) المسمَّى بـ: (حزب البرِّ): "نسألك الفقر ممَّا سواك، والغنى بك، حتَّى لا نشهد إلَّا إيَّاك"، وقوله: "وعلِّمنا مِنْ لدنك علمًا نصير به كاملين في المحيا والممات"[2]، فهذه ألفاظٌ مجملةٌ تحتمل معنين؛ لا تُقبل ابتداءً إلى بعد الاستفصال عن مُراد قائلها؛ فإن كان يقصد بـ "إلَّا إيَّاك": "حتى لا نشهد مُعطيًا وربًّا وإلهًا إلَّا إيَّاك كان حسنًا... وقد يعني: حتَّى لا نشهد موجودًا إلَّا إيَّاك، وهذا مشهد أهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتِّحاد"[3]، وهذا الكفر الموجب للعقوبة، وإن كان يُقصد بـ "كاملين" الكمال البشريَّ فهذا لا بأس به، وإن لم يكن الغاية الَّتي يفترض بالمسلم السَّعي لتحقيقها، أمَّا إن كان الكمال المقصود هو الكمال الإلهيُّ بناءً على نظريَّة التَّخلُّق بأخلاق الله ﷻ والتَّشبُّه به – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- فهذا مِنْ مضاهاة الله ﷻ في صفاته قد تُفضي بصاحبها إلى الكفر إن لم يتب منها.

● ظهور عقيدة وحدة الوجود في أذكارهم، والنِّيَّات الَّتي يعقدها الذَّاكر في قلبه عند الذِّكر وهي مُتَغَيِّرَةٌ بحسب حاله كما مرَّ معنا في علاقة الأحوال والمقامات بالأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة، فعند الشَّاذليَّة ترديد قول "لا إله إلا الله"، له ثلاث مراتب:

– الأولى: مرتبة السَّالك المبتدأ فهو يُرَدِّدُ كلمة التَّوحيد "لا إله إلَّا الله" بمعنى: لا مقصود

---

(١) الأوراد القادرية (ص:٢٦-٢٧).

(٢) أوراد الطريقة الشاذلية (ص:٢٢).

(٣) الرد على الشاذلي (ص:١٥٠).

إلَّا الله، لأنَّها مُقتضى الطَّلب عنده.

- الثَّانية: مرتبة المتوسِّط فيُرَدِّدُ كلمة التَّوحيد "لا إله إلَّا الله" بمعنى: لا معبود إلَّا الله، لأنَّها مُقتضى العبادة عنده.

- الثَّالثة: مرتبة المنتهي وهو مَنْ يُرَدِّدُ كلمة التَّوحيد "لا إله إلَّا الله" بمعنى: لا موجود إلَّا الله، لأنَّ مقتضاه الفناء لما سوى الله والبقاء به[١].

وكقول النَّقشبنديَّة في (حزب شهر رجبٍ): "يا ربِّي إنَّني نويت التَّقدُّم نحو بحر وحدانيَّتك إلى مقام الفناء فيك فلا تردَّني يا ربِّي يا الله خائبًا حتَّى توصلني إلى ذلك المقام"[٢].

وفي قول ابن عربيٍّ في صلاته على النَّبيِّ ﷺ: "صلِّ اللَّهمَّ عليه صلاةً تصل بها فرعي بأصلي، ويصل بعضي إلى كلِّي، لتتَّحد ذاتي بذاته وصفاتي بصفاته وتقرَّ العين بالعين"[٣]، وقوله أيضًا في ذات الصَّلاة: "واجعل لي نورًا أمشي به بين النَّاس، فأرى به وجهك أينما تولَّيت بدون اشتباهٍ ولا التباسٍ"[٤]، وقوله أيضًا في (حزب المحو[٥] والفناء): "إلهي أستهلك كلِّيتي في كلِّيتك، وأمدُّ أوَّليَّتي لأوَّليَّتك حتَّى أشهد أوَّليَّتك في أوَّليَّتي، وآخريَّتك في آخريَّتي...، وأنت في أنيَّتي، وهويَّتك في هويَّتي، ومعيَّتك في معيَّتي حتَّى أكون عنوان ذلك السِّرِّ كلِّه"[٦].

وقال ابن مشيش في صلاته: "وزجَّ بي في بحار الأحديَّة، وانتشلني مِنْ أوحال التَّوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة"[٧]. وقد سبق الرَّدُّ على القائلين بوحدة الوجود[٨].



(١) انظر: المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لأحمد المحلي (ص:١٤٨)، ط: المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة ٢٠٠٢م.

(٢) دليل المريد (ص:٦٨).

(٣) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٢١).

(٤) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٢٢).

(٥) تعريف المحو هو: (رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله، ويحصل منه أفعالٌ وأقوالٌ لا مدخل لعقله فيها كالسكر من الخمر)، انظر: التعريفات (ص:٢٧٨).

(٦) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٢٨).

(٧) شوارق الأنوار (ص:٢٣٤).

(٨) انظر: الفصل الأول؛ أهم العقائد الصوفية وأشهرها: عقيدة الصوفية بالله ﷻ (ص: ٧١).



المبحث الثاني: المآخذ العقديَّة في باب الألوهيَّة

أولًا: العقيدة الصحيحة في توحيد الألوهيَّة:

"أن يُعْبَدَ الله وحده، ولا يُشْرَكَ بعبادته أحدٌ مِنْ خلقه"[1]. وهو المقصود من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، بل هو المقصود من خلق الجن والإنس؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [سورة الذاريات:٥٦]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾ [سورة النحل:٣٦].

ثانيًا: المآخذ العقديَّة في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة في باب الألوهيَّة:

- دعاء الله ﷻ بالاسم المفرد المظهر مثل: "الله، الله" والمضمر مثل "هو، هو". قال ابن مشيش في صلاته: "الله، الله، الله، إنَّ الَّذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معادٍ"[2]، وقول ابن عربيّ في (صلاة الفتح الأزليّ): "أظهر عليَّ مظاهر الجلال العظمى، ورقّني بها مقام شهودك الأسمى، يا الله يوه واه هو يا هو يا مَنْ هو أنت، أنت هو يوه هو يا يوه هو..."[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فأمَّا الاسم المفرد فلا يكون كلامًا مفيدًا عند أحدٍ مِنْ أهل الأرض، بل ولا أهل السَّماء، وإن كان وحده كان معه غيره مضمرًا أو كان المقصود به تنبيهًا، أو إشارةً... ولهذا عدَّ النَّاس مِنَ البدع ما يفعله بعض النُّسَّاك مِنْ ذكر اسم "الله" وحده، بدون تأليف كلامٍ"[4]، وقال أيضًا رحمه الله في حكمه: "فأمَّا الاسم المفرد مظهرًا مثل: "الله، الله" أو مضمرًا مثل: "هو، هو" فهذا ليس بمشروعٍ في كتابٍ ولا سنَّةٍ، ولا هو بمأثورٍ أيضًا عن أحدٍ مِنَ سلف الأمَّة، ولا عن أعيان الأمَّة المُقتدى بهم، وإنَّما لهج به قومٌ مِنْ ضُلَّالِ المتأخِّرين"[5].

---

(١) قانون التأويل (ص:٣٧٧).

(٢) شوارق الأنوار (ص:٢٣٥).

(٣) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٣٢).

(٤) الرد على المنطقيين لابن تيمية، ت: عبدالصمد الكتبي (ص:٧٦-٧٧).ط: مؤسسة الريان، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

(٥) مجموع الفتاوى (٣١٥/١٠).

وتجعل الصُّوفيَّة ذكر كلمة التَّوحيد على ثلاث مراتب:

الأولى: مرتبة العامَّة أو المؤمنين وذكرهم: "لا إله إلَّا الله".

والثَّانية: مرتبة الخاصَّة أو العارفين وذكرهم: "الله، الله".

والثَّالثة: مرتبة خاصَّة الخاصَّة أو المحقِّقين وذكرهم: "هو، هو"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: "ولو كرَّر الإنسان اسم "الله" ألف ألف مرَّةٍ لم يصر بذلك مؤمنًا، ولم يستحقَّ ثواب الله وجنَّته، فإنَّ الكفَّار مِنْ جميع الأمم يذكرون الاسم المفرد، سواءٌ أقرَّوا به وبوحدانيته أم لا"(٢).

• الغلوُّ بالنَّبيِّ ﷺ وإضفاء الصِّفات الإلهيَّة عليه كقولهم: "يا سيِّد السَّادات، ويا نور الموجودات، يا مَنْ هو ملجأٌ لِمَنْ مسَّه ضيمٌ وغمٌّ وألمٌ"(٣)، وقول ابن عربيٍّ في (حزب صلاة النُّور): "اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ أكمل المخلوقات، وسيِّد أهل أرضك وسماواتك، النُّور الأعظم والكنز المظلم والجوهر الفرد، والسِّرِّ الممتدِّ، الَّذي ليس له مثلٌ منطوقٌ ولا شبهٌ مخلوقٌ"(٤).

• الغلوُّ في النَّبيِّ ﷺ وجعله سببًا في وجود كلِّ شيءٍ في الكون، ونور الله – تعالى الله علوًا كبيرًا– جاء في أوراد الشَّاذليَّة في (الصَّلاة المشيشيَّة) نسبةً إلى عبد السَّلام بن مشيش شيخ أبي الحسن الشَّاذليِّ والَّتي تُسَمَّى بـ (الوظيفة): "ولا شيء إلَّا هو به منوطٌ"(٥)، كقول الرِّفاعيِّ في (الصَّلاة الجوهريَّة): "اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على نورك الأسبق، وصراطك المحقَّق، الَّذي أبرزته رحمةً شاملةً لوجودك... الَّذي أحييت به الموجودات، مِنْ معدنٍ وحيوانٍ ونباتٍ"(٦)، وقوله في (حزب البركات): "وصلِّ على نبيِّك الَّذي اخترته مِنْ جوهر خلقك"(٧)، وقال ابن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣١٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٣١٧).

(٣) دليل المريد للأوراد والوظائف في الطريقة النقشبندية العلية لعدنان القباني (ص:٦)، بدون بيانات طبع.

(٤) مجموع أحزاب وأورد الشيخ الأكبر (ص:٢٦).

(٥) شوارق الأنوار من أدعية السادة الأخيار لمحمد بن علوي (ص:٢٣٣) ط: دار جوامع الكلم –القاهرة، بدون تاريخ طبع

(٦) المجموع الجامع (ص:٨).

(٧) المجموع لجامع (ص:١٥).

عربيٍ في أنَّ أوَّل المخلوقات هو النَّبيُّ ﷺ وأنَّه مِنْ فيض الله ﷻ: "اللَّهمَّ أفض صلة صلواتك وسلامة تسليماتك على أوَّل التَّعيُّنات المفاضة مِنَ العماء الرَّبَّانيّ، وآخر التَّنزيلات المُضافة إلى النَّوع الإنسانيِّ... والنَّفس السَّاري بمواد الكلمات التَّامَّات، الفيض الأقدس الَّذي تعيَّنت به الأعيان واستعداداتها، والفيض المقدَّس الذَّاتيّ الَّذي تكوَّنت به أكوان استمداداتها، مطلع شمس الذَّات في أسماء الأسماء والصِّفات"[١]، وقال في (صلاة السِّرِّ الأعظم): "اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ النُّور الأوَّل، والسِّرِّ الأنزه الأكمل، وعين الرَّحمة الرَّبَّانيَّة... نور كلِّ شيءٍ وهداه"[٢].

• التَّوسُّل بالنَّبيِّ ﷺ بعد موته، قال عبد القادر الجيلانيُّ في (حزب الإشراق): "دخلتُ في كنفِ اللهِ واستجرتُ برسولِ اللهِ ﷺ"[٣]، وقول النَّقشبنديَّة في أورادهم: "يا أقرب الوسائل إلى الله تعالى ويا أقوى مستندٍ، أتوسَّل إلى جنابك الأعظم، بهؤلاء السَّادات، وأهل الله، وأهل بيتك الكرام، لدفع ضرٍّ لا يُدفع إلَّا بواسطتك، ولرفع ضيمٍ لا يُرفع إلَّا بدلالتك."[٤]، وقولهم في (صلاة قضاء الحوائج) التي يزعمونها: "اللَّهمَّ إنِّي أسألك وأتوجَّه إليك بحبيبك المصطفى، يا سِيدي يا رسول الله إنِّي أتوسَّل إلى ربِّك فأشفع لي عند المولى العظيم بقضاء حاجتي"[٥].

ومِنَ التَّوسُّل غير المشروع التَّوسُّل بالنَّبيِّ ﷺ بعد موته؛ وجاء في الحديث الصَّحيح مِنْ قول النَّبيِّ ﷺ: «يا معشر قريشٍ، اشتروا أنفسكم مِنَ الله، لا أُغني عنكم مِنَ الله شيئًا، يا بني عبد المطَّلب، لا أُغني عنكم مِنَ الله شيئًا، يا عبَّاس بن عبد المطَّلب، لا أُغني عنك مِنَ الله شيئًا، يا صفيَّة عمَّة رسول الله، لا أُغني عنك مِنَ الله شيئًا، يا فاطمة بنت رسول الله، سليني بما شئت لا أُغني عنك مِنَ الله شيئًا»[٦]، إذا كان هذا كلامه ﷺ في حياته ولأقرب النَّاس إليه ابنته وعمِّه وعمّته وعشيرته، فكيف مع باقي الخلق وبعد موته ﷺ.

(١) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٢٠).
(٢) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٢٨).
(٣) الأوراد القادرية لعبد القادر الجيلاني (ص:١٥) ط: دار الألباب- بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.
(٤) دليل المريد (ص:٦).
(٥) دليل المريد (ص: ٣٦).
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه -كتاب الإيمان - باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين (٣/٧٦) رقم (٥٠٣).

وجاء في الأثر: " أنَّ عمر بن الخطَّاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعبَّاس بن عبد المطَّلب فقال: «اللَّهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنَّا نتوسَّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا، قال فيسقون»[(١)]، فلو كان التَّوسُّل بالنَّبيّ ﷺ مشروعًا بعد وفاته لَمَا عَدَلَ الصَّحابة ﷺ عنه إلى التَّوسُّل بالعبَّاس ﷺ، وقد سبق الرَّدُّ على الغلوِّ بالنَّبيِّ ﷺ في هذه الرِّسالة[(٢)].

• الاستشفاع بالنَّبيّ ﷺ والأولياء في الدُّنيا بقولهم: "بجاه النَّبيّ"، "وجاه فلانٍ"، أو "بحقّ النَّبيّ"، و"بحقّ فلانٍ" مِنَ الأولياء أو مشايخ الطُّرُق؛ قال الرِّفاعيُّ في (حزب الأسرار): "اللَّهمَّ بجاه أهل الجاه..."[(٣)]، وقوله في (حزب الفرج): "اللَّهمَّ بجاه الحسين وأخيه وجدِّه وأبيه وأمِّه وبنيه، فرّج عنّي وعن المسلمين ما نحن فيه"[(٤)]، فهذا الاستشفاع محذورٌ مِنْ جهتين:

إحداهما: أنَّه إقسامٌ بغير الله ﷻ، والحلف بغير الله لا يجوز ومنهيٌّ عنه؛ قال رسول الله ﷺ: «ألا إنَّ الله ﷻ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فَمَنْ كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[(٥)].

والثانية: اعتقاده أنَّ لأحدٍ على الله ﷻ حقًّا، وهذا باطلٌ فليس لأحدٍ على الله ﷻ حقًّا إلَّا ما أحقَّه الله ﷻ على نفسه، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الروم:٤٧]، وقول النَّبيّ ﷺ: «يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حقُّهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يُعذِّبهم»[(٦)]، وهذا حقٌّ أوجبه الله ﷻ على نفسه لا أنَّ العبد نفسه مستحقٌّ على الله ﷻ شيئًا[(٧)]. والشَّفاعة لا تكون إلَّا لِمَنْ أذن له الله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة السجدة:٤]. وقال تعالى: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الاستسقاء – باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٢٣٨/١) رقم (١٠١٠).

(٢) انظر: الفصل الأول من الرسالة؛ أهم العقائد الصوفية وأشهرها، عقيدتهم بالنبي ﷺ (ص: ٧١).

(٣) المجموع الجامع (ص:١٢).

(٤) المجموع الجامع (ص:٤٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه –كتاب الأيمان – باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (١٠٨/١١) رقم (٤٢٣٣).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله (١٨٤٧/٤) رقم (٧٣٧٣)، ومسلم – كتاب الإيمان– باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١٧٨/١) رقم(١٤٤).

(٧) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٣٦).

﴿ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فأمَّا قول القائل عند الميِّت مِنَ الأنبياء والصَّالحين: اللَّهمَّ إِنِّي أسألك بفلانٍ أو بجاه فلانٍ أو بحرمة فلانٍ، فهذا لم يُنقل عن النَّبيِّ ﷺ ولا عن الصَّحابة ولا التَّابعين، وقد نصَّ غير واحدٍ مِنَ العلماء أنَّه لا يجوز"[١].

• الإقسام والحلف بغير الله ﷻ كقول الرِّفاعيِّ في (الحزب الكبير): "اللَّهمَّ إِنِّي أسألك يا الله، بالحقوق الأزليَّة، والنُّعوت الإلهيَّة، والصِّفات الرَّبَّانيَّة، والأجسام السَّماويَّة، والملائكة العرشيَّة، والأفلاك الدَّائرة النُّورانيَّة..."[٢]، وقوله في (حزب الأسرار): "اللَّهمَّ بجاه أهل الجاه، وبمحلِّ أصحاب المحلّ، وبحرمة أصحاب الحرمة، وبِمَنْ قلتَ في حقِّه: ألم نشرح لك صدر، اشرح صدورنا"[٣]، وقوله في وردٍ آخر له: "اللَّهمَّ إنِّي أسألك بمعاقد العزِّ مِنْ عرشك"[٤].

• التَّوسُّل بالصَّالحين كقول الرِّفاعيِّ في (حزب الفرج): "اللَّهمَّ بجاه الحسين وأخيه وجدِّه وأبيه وأمِّه وبنيه، فرِّج عنِّي وعن المسلمين ما نحن فيه"[٥].

• التَّوسُّل بذوات الملائكة والأنبياء عليهم السلام والأولياء الأحياء منهم غير مشروعٍ ولم تأتِ به نصوص الشَّرع ولم يُنقل عن الصَّحابة رضي الله عنهم في ذلك شيءٌ يصحُّ.

• الاستغاثة بالملائكة والأنبياء وبالأولياء الأحياء والأموات كقولهم: "يا صاحب الزَّمان، يا سيِّدنا، يا محمَّد، يا مهدي، يا صاحب العصر، يا خضر، يا جبريل، يا إسرافيل، يا ميكائيل، يا عزرائيل، يا عيسى نبيَّ الله، يا بُدلاء، يا نُجباء، يا نُقباء، يا أوتاد، يا أخيار، يا أقطاب... يا سيِّدنا أويس القرنيَّ، يا أولياء الله... أعينونا بعون الله عونًا لنا"[٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه عن عدم جواز الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الخالق ﷻ: "فليس لأحدٍ أن يسأل غير الله ما لا يقدر عليه إلَّا الله لا نبيًّا ولا غيره، ولا يستغيث بمخلوقٍ فيما لا يقدر عليه إلَّا الخالق، وليس لأحدٍ أن يسأل ميِّتًا؛

(١) الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيمية، ت: عبدالله السهلي (ص٢٢٥)، ط: دار المنهاج- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
(٢) المجموع الجامع في أحزاب وأوراد الطريقة الرفاعية لعلي جامع الرفاعي (ص:٣)، ط: بيت جامع، بدون تاريخ طبع.
(٣) المجموع الجامع (ص:١٢).
(٤) المجموع الجامع (ص:٢١).
(٥) المجموع الجامع (ص:٤٧).
(٦) دليل المريد (ص:٦).

أو يستغيث به في شيءٍ مِنَ الأشياء، سواءٌ كان نبيًّا أو غيره"[١].

● الاعتداء في الدِّعاء، وجاء النَّهي عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [سورة الأعراف:٥٥]، "أمَّا قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾، فإنَّ معناه: إنَّ ربَّكم لا يحبُّ مَنِ اعتدى فتجاوز حدَّه الَّذي حدَّه لعباده في دعائه ومسألته ربَّه"[٢]، وقيل: "لا تسألوا منازل الأنبياء"[٣]، وقيل: "مِنَ الاعتداء في الدُّعاء: أن يسأل لنفسه درجةً ليس مِنْ أهلها؛ بأن يسأل درجة الأنبياء، وليس بنبيٍّ، ودرجة الشُّهداء، وليس بشهيدٍ"[٤]، وقيل: "ومنها أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة نبيٍّ، أو يدعو في مُحَالٍ، ونحو هذا مِنَ التَّشَطُّط، ومنها أن يدعو طالبًا معصيةً، وغير ذلك"[٥]، ولهم في أحزابهم وأورادهم النَّصيب الأكبر منه، وسأورد جملةً مِنَ الأمثلة عليه:

- سؤال الله ﷻ شيئًا مِنْ خصائصه كمحبَّة المخلوق للخالق المحبة التعبدية، قال ابن عربيٍّ في (حزب الدَّور الأعلى): "والقِ يا عزيز يا ودود عليَّ محبَّةً منك تنقاد لي بها قلوب جميع عبادك بالمحبَّة والمعزَّة والمودَّة مِنْ تعطيف تأليفٍ ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ۝١٦٥﴾ [سورة البقرة:١٦٥]"[٦].

وهذا مِنْ منازعة غُلاة الصُّوفيَّة لله ﷻ في خصائصه، ولم يأذن الشَّرع بذلك ولم يأتِ به سؤال الله ﷻ أن تكون محبة الخلق للمخلوق كمحبة الخلق للخالق، وهو من طلب المستحيل غير المتحقق وهو طلب انقياد جميع الخلق له بالمحبة والمعزة والمودة، والأنبياء عليهم السلام مع ما تلقَّوه مِنْ أقوامهم مِنْ أذًى وخصومةٍ وبغضاء لم يسألوا الله ﷻ أن يُحبَّهم أقوامهم أو حتَّى أتباعهم؛

---

(١) الاستغاثة (ص:٢٣٩).

(٢) جامع البيان (١٢/٤٨٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب (٥/١٥٠٠)، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، الطبعة: الثالثة ١٤١٩ هـ.

(٤) تفسير القرآن لأبو المظفر السمعاني، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم (٢/١٨٩)، ط: دار الوطن- الرياض، الطبعة: الأولى ١٩٩٧م.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ت: عبد السلام عبد الشافي محمد (٢/٤١٠)، ط: دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ.

(٦) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٢٤).

كحبِّ المؤمنين لله ﷻ. وجاء في قول الله تعالى بيان حالهم مع أقوامهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة الفرقان: ٣١].

- سؤال الله ﷻ أمورًا هي مِنْ جنس معجزات الأنبياء عليهم السلام؛ كطلب التَّسخير في شيءٍ غير معتادٍ؛ كتسخير البحر كما سُخِّرَ لنبيِّ الله موسى عليه السلام بانقلابه يبساً. وطلب منزلة الأنبياء عليهم السلام الَّتي ظهرت في معجزاتهم.

والتَّسخير هو: "تذليل الشَّيء وجعلكَ إيَّاه منقادًا"[(١)]، والمقصود بالتَّسخير: هو الانتفاع بالشَّيء[(٢)]، لا تغيير خصائصه كجعل النَّار بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام.

قال عبد القادر الجيلانيُّ في حزبه السُّريانيُّ المُسَمَّى "حزب البرِّ": "أسألك أن تُسَخِّرَ لي قلوب عبادك كما سَخَّرتَ الطَّير في جو السَّماء، وكما سَخَّرتَ الشَّمس والقمر كلٌّ يجري إلى أجلٍ مُسَمَّى، وكما سَخَّرتَ البحر لموسى بن عمران، اللَّهُمَّ إنِّي بأمرك أمرتهم وبدعوتك استجلبتهم... استجلبهم لروحي إن رأوني جاءوني وإن دعوتهم أجابوني... ولا يعصون أمري ولا ينظرون إلى مجلس غيري"[(٣)]. وهذه الأدعية لم تكن للأنبياء عليهم السلام مِنْ قبل هذا الدَّاعي، فقد كان حالهم مع أُممهم معلومٌ، وفيه مِنَ التَّنافر والجفوة والظُّلم والتَّآمر الشَّيء العظيم، ومع هذا لم يرد عن أحدهم مثل هذه الألفاظ في سؤالهم الله ﷻ النَّصر والتَّمكين للدِّين. وطلب التسخير: أمر يحتمل معنين: فإن قصد طلب تسخير البحر بما فيه من خيرات وأرزاق وأقوات ونحوها من أنواع التسخير فهذا أمر مشروع، وإن قصد في طلبه التسخير حصول التمكين الذي حصل لموسى عليه السلام بأن استحال البحر له يبساً واجتازه هو أتباعه من غير سوء، فهذا من معجزاته التي اختص بها، فيكون هذا من الاعتداء في الدعاء المنهي عنه.

- سؤال الله ﷻ العصمة، قال عبد القادر الجيلانيُّ في (حزب الفتح): "اللَّهمَّ إنَّا نسألك مِنَ العصمة دوامها، ومِنَ النِّعمة تمامها"[(٤)]، وقول الشَّاذليِّ في (حزب البحر): "نسألك العصمة في الحركات والسَّكنات والكلمات والإرادات والخطرات مِنَ الشُّكوك والظُّنون والأوهام السَّاترة

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ت: محمد سليم (ص:٢٥٥)، ط: دار العلم والثقافة - القاهرة، بدون تاريخ طبع.

(٢) انظر: لسان العرب (٤/٣٥٣).

(٣) الأوراد القادرية (ص: ٥٨).

(٤) الأوراد القادرية (ص:٢٢).

للقلوب عن مُطالعة الغيوب"[١]، وقوله في (حزب البرّ): "واكسنا جلابيب العصمة في الأنفاس واللّحظات"[٢].

العصمة في الدِّين: "إنَّما هو المنع مِنَ المعاصي"[٣]، ولا تكون إلّا للأنبياء عليهم السلام فهم المعصومون بعصمة الله ﷻ لهم، والعصمة في حقِّ الأنبياء عليهم السلام على حالين:

الأوّل: العصمة في تبليغ الرِّسالة، وهي ما جاء فيها قول الله تعالى في حقّ نبيّنا محمَّدٍ ﷺ: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ③ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ⑤ ﴾ [سورة النجم:١-٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإنّهم متّفقون على أنَّ الأنبياء معصومون في تبليغ الرِّسالة، ولا يجوز أن يستقرَّ في شيءٍ مِنَ الشّريعة خطأٌ باتّفاق المسلمين، وكلُّ ما يُبَلِّغونه عن الله ﷻ مِنَ الأمر والنَّهيِ يجب طاعتهم فيه باتّفاق المسلمين"[٤].

الثّاني: العصمة مِنَ الكبائر والصّغائر، وقع فيها خلافٌ بين طوائف المسلمين، وخلاصته ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأكثر النّاس- أو كثيرٌ منهم - لا يُجوّزون عليهم الكبائر، والجمهور الّذي يُجوِّزون الصّغائر، يقولون: إنَّهم لا يُقَرُّون عليها، بل يحصل لهم بالتّوبة منها مِنَ المنزلة أعظم ممّا كان قبل ذلك"[٥].

وفي حديث سجود السّهو ما يُبَيِّنُ وقوع السّهو والنِّسيان مِنَ النَّبيّ ﷺ وهو أعظم الأنبياء عليهم السلام منزلةً، ولو عصم الله ﷻ الأنبياء عليهم السلام مِنَ السّهو والظّنّ والشّكِّ والوهم لكان النَّبيُّ ﷺ أولاهم بذلك؛ فقد قال ﷺ: «إنَّما أنا بشرٌ مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكِّروني»[٦]، فكيف بأتباع الصُّوفيَّة الّذين يسألون الله ﷻ العصمة مِنَ الشُّكوك والظُّنون والأوهام وهم أدنى منزلةً مِنَ الأنبياء عليهم السلام، بل إنَّ بعض مَنْ يدعو هذا الدُّعاء منغمسٌ في

---

(١) أوراد الطريقة الشاذلية جمعها نوح حاميم كلر (ص:١٤)، ط: دار الزاهد- القاهرة ١٩٩٧م.

(٢) أوراد الطريقة الشاذلية (ص:٢٢).

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ت: عبدالله الجبوري (٣٢٤/١) ط: مطبعة العاني — بغداد الطبعة الأولى ١٩٧٧م.

(٤) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية ت: محمد رشاد سالم (٣٧٢/٣) ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

(٥) منهاج السنة (٣٧٣/٣).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه -كتاب الصلاة - باب التوجه نحو القبلة حيث كان (١١١/١) رقم (٤٠١).

الشِّرك والبدع.

- سؤال الله ﷻ مشاهدته ومكالمته في الدُّنيا، قال الشَّاذليُّ في (حزب البرّ): "وهب لنا مشاهدةً تصحبها مكالمةً"(١). وهذا سؤال منهي عنه، كما نهي موسى عليه السلام عن طلب رؤيته تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة الأعراف:١٤٣]. وأنا التكليم فخص الله ﷻ به موسى عليه السلام دون الأنبياء عليهم السلام قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة النساء:١٦٤].

- التَّقوُّل والكذب على الله ﷻ؛ بنسبة ما لم يثبت عنه، كالقول بأنَّه سبحانه وتعالى يحبُّ مَنْ يُسيء ويبغض مَنْ يُحسن مِنْ عباده، كقول الشَّاذلِيّ: "واجعل سيّئاتنا سيِّئات مَنْ أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات مَنْ أبغضت، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك والإساءة لا تضرُّ مع الحبِّ منك"(٢)، ومنها قول ابن عربيّ في (الصَّلاة المعراجيَّة): "اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ مَنْ صلَّى بالملأ الأعلى ﷺ إمامًا بالأملاك الَّذي كشفتَ له الحجابَ حتَّى رآكَ وعرضت عليه العرشَ والكرسيَ فلم يلتفت إلسواك"(٣) وقد جاءت النُّصوص بالوعيد على مَنْ يتقوَّل على الله ﷻ؛ قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [سورة الأنعام:١٤٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة الأعراف:١٦٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحاقة:٤٤-٤٦].

- سوء الأدب مع الله ﷻ وادِّعاء حقّ العبد على الله ﷻ في سؤاله كقول النَّقشبنديَّة في دعائهم المُسَمَّى بالدُّعاء الأعظم: "وأسألك أن تكرمني برحمتك الَّتي وَسِعَت كلَّ شيءٍ ولا تُهينني بعذابك، وتُعطيني ما أسألك فإنِّي حقيقٌ برحمتك يا أرحم الرَّاحمين"(٤). ويرد على هذا

(١) أوراد الطريقة الشاذلية (ص:٢٧).

(٢) أوراد الطريقة الشاذلية (ص:٢٩).

(٣) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٣٤).

(٤) دليل المريد: (ص:٤٤).

ببيان معنى حق الله ﷻ على عباده وحقهم عليه ﷻ؛ بقوله ﷺ: «يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حقُّهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يُعذِّبهم»(١).

- ومِنَ الاعتداء بالدُّعاء؛ دعاء المرء على نفسه بالسُّوء كقول الشَّاذليّ في (حزب البرِّ): "فكلُّ عزٍّ يمنع دونك فنسألك ذُلًّا تصحبه لطائف رحمتك، وكلُّ وجدٍ يحجب عنك فنسألك عوضه فقدًا تصحبه أنوار محبَّتك"(٢)، وقد جاء النَّهي في السُّنَّة عن الدُّعاء على النَّفس بالسُّوء والشَّرِّ، قال ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا مِنَ الله ساعةً يُسأل فيها عطاءٌ فيستجيب لكم»"(٣).

- الإقسام على الله ﷻ: قال الشَّاذليُّ في (حزب البرِّ): "أقسمت عليك ببسط يديك وكرم وجهك ونور عينك وكمال أعينك أن تُعطينا خير ما نفذت به مشيئتك، وتعلَّقت به قدرتك، وأحاط به علمك"(٤).

والإقسام على الله ﷻ مقبولٌ مِنْ جهةٍ ومردودٌ مِنْ جهةٍ أُخرى؛ فقد جاء في السُّنَّة الصَّحيحة؛ قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ عباد الله مَنْ لو أقسم على الله لأبرَّه»(٥)، وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنَّة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لو أقسم على الله لأبرَّه»(٦)، هذان الحديثان في بيان صفات مَنْ يَبَرُّ الله ﷻ بقسمه، وهو عبد الله المؤمن البسيط في حاله وهيئته غير مُتَكَبِّرٍ ولا متعالٍ، تقيًّا نقيًّا، رفعته تقواه منزلةً عليّةً عند الله ﷻ؛ ومنه قوله ﷺ: «رُبَّ أشعث، مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه»(٧)، ويكون هذا الإقسام مِمَّنْ عظُمت

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٢٢٠).

(٢) أوراد الطريقة الشاذلية (ص:٢٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الزهد والرقائق – باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر (٣٣٢/١٨) رقم (٧٤٣٧).

(٤) أوراد الشاذلية: (ص:٢٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه –كتاب الصلح – باب الصلح في الدية (٦٥٣/٢) رقم(٢٧٠٣).

(٦) أخرجه البخاري –كتاب تفسير القرآن – سورة ن والقلم – باب عتل بعد ذلك زنيم (١٢٥٥/٣) رقم (٤٩١٨).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الضعفاء والخاملين (٣٩٠/١٦) رقم (٦٦٢٤).

ثقته بالله ﷻ وعظُم رجاؤه، وقال الإمام النَّوويُّ ﷺ: "حلف على وقوع شيءٍ أوقعه الله إكرامًا له بإجابة سؤاله، وصيانته مِنَ الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى، وإن كان حقيرًا عند النَّاس، وقيل: معنى القسم هنا الدُّعاء، وإبراره إجابته"[١]، أمَّا مَنْ لم تتحقَّق فيه هذه الصِّفات فلا يصحُّ منه الإقسام، بل هو مِنْ سوء الأدب والتَّكبُّر والغرور.

• دعاء الله بألفاظٍ مبهمةٍ ومعجمةٍ وتراكيب لا معنى لها يُفهم، ولا تُعرف في لغة العرب وتُشتهر؛ كقول الرِّفاعيّ في (حزبه الصَّغير): "اللَّهمَّ إنَّا نسألك بعظيم قديم كريم مكنون مخزون أسمائك... وبلوامع بوارق صواعق عجيج وهيج بهيج رهيج نور ذاتك، وببهر جهر قهر ميمون ارتباط وحدانيَّتك"[٢]، وقال ابن عربيٍّ في (صلاته الوسطى): "اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وأبر وأكرم وأنعم على العزِّ... الحقِّ الواضح، ميم المملكة، حاء الرَّحمة، ميم العلم، دال الدَّلالة، ألف الذَّات، حاء الرَّحموت..."[٣]، فَمِنْ شروط الدُّعاء والذِّكر المقبول أن يكون موافقًا للَّفظ العربيِّ ولو بوجهٍ مِنَ الوجوه، وقد مرَّ معنا سابقًا[٤].

• سؤال الله أن يُغنيه عن سؤاله، قال الشَّاذليُّ في (حزب البرِّ): "والسَّعيد حقًّا مَنْ أغنيته عن السُّؤال منك، والشَّقيُّ حقًّا مَنْ حرمته مع كثرة السُّؤال لك، فأغننا بفضلك عن سؤالنا منك"[٥]، وقال في إحدى دعواته: "فحقِّقني بحقائق الزُّهد حتَّى أستغني عن طلب غيرك، وبمعرفتك حتَّى لا أحتاج إلى طلبك"[٦]، وقولهم في (الصَّلاة الإلهيَّة الكبرى) في كلِّ جملةٍ مِنْ جملها: "يا مَنْ علمك بحالي يُغني عن سؤالي"[٧]، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [سورة غافر:٦٠]، ففي هذه الآية الكريمة الحثُّ على دعاء الله ﷻ، ووعده لعباده بالاستجابة إن هم دعوه، وفيها الوعيد لِمَنْ يستكبر ويستغني عن دعاء الله ﷻ وسَمَّى الدُّعاء عبادةً في الآية

---

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٢٦٦/١٦)، ط: مؤسسة قرطبة – الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

(٢) المجموع الجامع (ص:٧)

(٣) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٣٩).

(٤) انظر: الفصل الثالث، ضوابط الأوراد الشرعية من هذه الرسالة. (ص: ١٨٣).

(٥) أوراد الطريقة الشاذلية (ص:٢٤).

(٦) أوراد الطريقة الشاذلية (ص:٥٣).

(٧) الصلاة الإلهية الكبرى، لأحمد الحسيني (ص:٣)، ط: دار جوامع الكلم– القاهرة، ٢٠٠٨م.

الكريمة، قال شيخ الإسلام ﷺ: "ومازال الأنبياء وأتباعهم يسألون الله مصالح دينهم ودنياهم وآخرتهم، فَمَنْ هو الَّذي استغني عن سؤال الله تعالى؟! ثمَّ خاصيَّة العبد أن يسأل ربَّه، وخاصيَّة الرَّب أن يُجيبه، فَمَنْ ظنَّ أنَّه يستغني عن سؤاله فقد خرج عن رِبْقَة العبوديَّة"[١].



(١) الرد على الشاذلي (ص:١٠٧).



المبحث الثَّالث:
المآخذ العقديَّة في باب الأسماء والصِّفات

أولًا: توحيد الأسماء والصِّفات:

هو: "أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ مِنْ غير تحريفٍ أو تعطيلٍ، ومِنْ غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ"(١). فطريقة الأئمة وأهل الحق أنهم:

١- "يُسَمُّون الله بما سَمَّى به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، ولا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه.

٢- يثبتون لله ﷻ ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسول ﷺ مِنْ غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومِنْ غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

٣- ينفون عن الله ﷻ ما نفاه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، مع اعتقاد أنَّ الله ﷻ موصوفٌ بكمال ضدِّ ذلك الأمر المنفي"(٢).

والقاعدة الشَّرعيَّة العاصمة مِنَ الخلل والزَّلل في باب الصِّفات هي: "الألفاظ الَّتي ورد بها النَّصُّ يعتصم بها في الإثبات والنَّفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله مِنَ الألفاظ والمعاني، وأمَّا الألفاظ الَّتي لم يرد نفيها ولا اثباتها فلا تطلق حتَّى يُنظر في مقصود قائلها، فإن كان معنًى صحيحًا قُبِلَ، لكن ينبغي التَّعبير عنه بألفاظ النُّصوص، دون الألفاظ المجملة، إلَّا عند الحاجة، مع قرائن تُبَيِّن المراد"(٣).

ثانيًا: المآخذ العقديَّة في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة في باب الأسماء والصِّفات:

• الإلحاد في أسماء الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف:١٨٠]، والإلحاد: هو الميل عمَّا يجب فيها، وقيل: "الإلحاد بأسماء الله هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحقّ الثَّابت"(٤).

---

(١) قانون التأويل (ص:٣٧٩).

(٢) مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات لمحمد التميمي (ص:٢١)، ط: أضواء السلف -الرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص:٢١٨).

(٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد لمحمد القرعاوي، ت: محمد أحمد، ط: مكتبة السوادي- جدة، الطبعة: الخامسة، ٢٠٠٣م

• تسمية الله ﷻ بما لم يُسَمِّ به نفسه لا في الكتاب ولا في السُّنَّة الصَّحيحة كتسميته بالدَّائم والأزلي وغيرها، قال الرِّفاعيُّ في (حزبه الكبير): "اللَّهمَّ إنَّا نسألك يا الله، بالحقوق الأزليَّة، والنُّعوت الإلهيَّة... وبتشديد تأييد تأكيد متين قوَّة قواعد أصول بقاء أبديَّة خلود دوام ديموميَّتك يا دائم، وبعجيب غريب لطيف خفيٍّ غامض مخزون جواهر معادن ثغور بحور أسرة معالم علوم أزليَّتك يا أزل"، وكقول النَّقشبنديَّة في (ختم الخواجكان الصَّغير): "يا سبحان يا سبحان يا سبحان يا الله... يا سلطان يا سلطان يا سلطان يا الله... يا أمان يا أمان يا أمان يا الله"[(١)]، ويقولون في أورادهم في شهر رمضان: "يا قاضي، والله يقضي بالحقِّ... يا طاهر والله يحبُّ المتطهِّرين"[(٢)]. فهم يصفونه ﷻ بصفات لم يصف الله ﷻ بها نفسه ولم يصفه بها رسوله ﷺ ولم تدل على كمال مطلق يليق به ﷻ.

• تسمية الله ﷻ بالحروف المقطَّعة في فواتح سور القرآن الكريم، كقول ابن عربيٍّ في اختتام (حزب الدَّور الأعلى): "وبقدرة بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، ارفع قدري، واشرح صدري، ويسِّر أمري، وارزقني من حيث لا أحتسب بفضلك وكرمك وإحسانك يا مَنْ هو ﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ [سورة مريم:١] ﴿عٓسٓقٓ ②﴾ [سورة الشورى:٢] ﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ ②﴾ [سورة الشورى:١-٢]"[(٣)]. وهذه الحروف وإن كانت من كلام الله تعالى إلا أن الله ﷻ لم يخبرنا بأنها صفات له وإنما هي من كلامه تبارك وتعالى.

• وصف الله ﷻ بما لم يصف به نفسه لا في الكتاب ولا السُّنَّة الصَّحيحة كوصفه بالسَّريع، واستعمال فعل الأمر في مخاطبة الله ﷻ – ولله الكبرياء والعظمة– فيه سوء أدبٍ مِنَ الدَّاعي، قال الجيلانيُّ في (حزب التَّودُّد): "يا سريعًا لِمَنْ قصده، يا قريبًا لِمَنْ ناجاه... يا ربِّ أسرع لي بقضاء حاجتي وبلوغ إرادتي"[(٤)]، وكقول الرِّفاعيِّ في (حزب الحصن): "يا حامل العرش عن حملة العرش"[(٥)]، وقول النَّقشبنديَّة في ورد شهر شعبان: "لا إله إلَّا أنت ظهر اللَّاجئين وجار المستجيرين"[(٦)]، وهذا

(١) دليل المريد (ص:٦١).

(٢) دليل المريد (ص:٧٧).

(٣) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٢٥).

(٤) الأوراد القادرية (ص:١٨).

(٥) المجموع الجامع (ص:٩).

(٦) دليل المريد(ص:٧٢).

والله مِنَ الجهل الَّذي قد يُفضي بصاحبه لارتكاب المحظور والوقوع في الكفر بتسمية الله ﷻ بما لم يُسَمِّ به نفسه، ووصفه بما لم يصف به نفسه لا في كتابه ولا سنَّة نبيّه ﷺ، وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله وصفاته قائمةٌ على الإيمان بكلِّ ما جاءت به نصوص الشَّرع فيُسَمُّون الله ﷻ بما سَمَّى به نفسه في كتابه أو على لسان نبيّه ﷺ، مع نفي ما نفاه عن نفسه ﷻ أو نفي ما نفاه عنه نبيه ﷺ.

• نفي صفة العلوِّ بقولهم: "إنَّ الله ﷻ في كلِّ مكانٍ"، قال الجيلانيُّ في (حزب النصر): "إنَّك أنت الحقيق، يا مشرق البرهان يا مَنْ لا يخلو منه مكان..."[1]، وفي هذا تكذيبٌ لله ﷻ ولرسوله ﷺ وتكذيبٌ للقرآن؛ فقد جاءت الآيات صريحةً على علوِّ الله ﷻ واستوائه على العرش، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة يونس:٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، وقال أيضًا: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٤٢].

• نفي صفة القيام والحركة عن الله ﷻ - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- جاء في (الصَّلاة الإلهيَّة الكبرى): "يا مَنْ ليس له شبيهٌ ولا مثيلٌ موجودٌ، يا مَنْ ليس له والدٌ وليس بمولودٍ، يا مَنْ ليس يوصف بقيامٍ ولا بقعودٍ، ولا بحركةٍ ولا جمودٍ"[2]. وآيات القرآن تكذب قولهم هذا، قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الفجر:٢٢]، وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢١٠]. وقال تعالى: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ [سورة طه:١١١].

---

(١) الأوراد القادرية (ص:١٩).

(٢) الصلاة الإلهية الكبرى (ص:٢٥).

• وقال ﷺ: «ينزل الله إلى السَّماء الدُّنيا كلَّ ليلةٍ حين يمضي ثلث اللَّيل الأوَّل»[1].

فالنُّصوص ثابتٌ فيها استواء الله ﷻ على العرش، ونزوله في الثُّلث الأخير مِنَ اللَّيل وعشيَّة عرفة، والمجيء يوم القيامة.

• قال ابن عربيّ في (حزب الدَّور الأعلى): "أذقهم يا ضارُّ يا مميت نكال وبال زوال ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ﴾ [سورة الأنعام:٤٥])"[2]. ويجب في بعض الأسماء والصِّفات ذكرها مقيَّدةً كالضَّارِّ والمستهزئ، والمحال، والمكر، والخداع وغيرها، قال الشَّيخ ابن عثيمين رحمه الله: "المكرُ والكيد والمحال مِنْ صفات الله الفعليَّة الَّتي لا يوصف بها على سبيل الإطلاق؛ لأنَّها تكون مدحًا في حالٍ، وذمًّا في حالٍ؛ فيوصف بها حين تكون مدحًا، ولا يوصف بها إذا لم تكن مدحًا؛ فيُقال: الله خير الماكرين، خير الكائدين، أو يُقال: الله ماكرٌ بالماكرين، خادعٌ لِمَنْ يُخادعه"[3].



(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٦/٢٧٩) رقم (١٧٦٩).

(٢) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٢٣).

(٣) شرح العقيدة الواسطية لمحمد العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل(١/٣٣٦)، ط: دار ابن الجوزي- الرياض الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ.



المبحث الرَّابع: مآخذ عقديَّةٌ متفرِّقةٌ في الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة



● قال الشَّاذليُّ في (حزب البرّ): "وقد أوجبت كون ما أردته فينا ومنَّا، ولا نسألك دفع ما تُريد، ولكن نسألك التَّأييد"[١]، في هذا الدُّعاء إشعارٌ بأنَّ القائل لا إرادة له في أفعاله ولا اختيار وهذا عين قول الجبرية. والإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ مِنْ أركان الإيمان السِّتَّة الَّتي أوجبها الله ﷻ على عباده، وهما واقعان بإرادة الله ﷻ ومشيئته وعلمه، وقد كتبهما على خلقه منذ الأزل، ولا يقع منهما شيءٌ في ملكه ﷻ ما لم يُقَدِّره ويُريده ﷻ، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الحديد:٢٢]، وقال ﷺ في حديث جبريل عليه السلام الطَّويل المشهور: «قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشرَّه»[٢]، وحقيقة الإيمان بالقدر: "أن يؤمن الرَّجل بالقدر خيره وشرِّه، حلوه ومرِّه، وأن يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليُصيبه، وأنَّ ذلك كلَّه فضلٌ مِنَ الله ﷻ "[٣].

● تعطيلهم للأمر والنَّهي والوعد والوعيد، قال الشَّاذليُّ في (حزب البرّ): "فالإحسان لا ينفع مع البغض منك، والإساءة لا تضرُّ مع الحبِّ منك"[٤] قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وهذا كلام يتضمَّن إلغاء الأمر والنَّهي، والوعد والوعيد، والثَّواب والعقاب، وجعل النَّعيم والعذاب يحصل للعباد بخلاف ما أخبرت به الرُّسل عن الله مِنْ وعده ووعيده، ومثل هذا الرَّأي يحصل لقومٍ مِنَ النَّاس مِنَ المتصوِّفة... إذا نظروا إلى القدر والمشيئة المطلقة أعرضوا عمَّا جاءت به الرُّسل مِنَ الأمر والنَّهي والوعد والوعيد، ولا ريب أنَّ هذا ضلالٌ مبينٌ، وخروجٌ عن أتباع السُّنن)[٥].

---

(١) أوراد الطريقة الشاذلية (ص:٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه –كتاب الإيمان– باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان... (١٠٩/١) رقم (٩٣).

(٣) أصول السنة للحميدي (ص:٣٦-٣٧).

(٤) أوراد الطريقة الشاذلية (ص:٢٩).

(٥) الرد على الشاذلي (ص:١١٧).

ومِنْ تعطيل الأمر والنَّهي، ومساواة الطَّاعة بالمعصية قولهم في (الصَّلاة الإلهيَّة الكبرى): "يا مَنْ برُّه ورزقه للعاصين ممدودٌ"[1]، وأمثال هذه العبارات تُشعر بأنَّ أمر المعصية هَيِّنٌ، وتحتمل معنيين: معنًى صحيحًا حقًّا بأنَّ الله ﷻ برٌّ بجميع خلقه فيشمل ذلك الطَّائع والعاصي، ومعنًى فاسدًا بأنَّ البِرَّ والرِّزق هنا خاصٌّ بالعصاة، وأنَّ العاصي مع ما لديه مِنَ الذُّنوب والمعاصي فإنَّ الله يبرُّه ويمدُّه بالخير والرِّزق، وهذا مِنَ التَّقوُّل على ﷻ، وفيه تغريرٌ بالمسلمين، وتهوين أمر المعصية، فإن كان هذا المعنى مرادًا؛ فلما العمل والطَّاعة؟ وإن كانت رحمة الله ﷻ وسعت كلَّ شيءٍ ويدخل فيه العاصي وغيره إلَّا أنَّ تحديد البرِّ والرِّزق في هذه الصَّلاة بالعصاة محلُّ نظرٍ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٩]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة النمل:٨٩-٩٠].

كما أنَّ لفظ "ممدودٌ" الوارد فيها، فيه اشتباهٌ بالمدِّ الدَّائم مِنَ الله ﷻ في كلِّ ما يُصيبه العاصي مِنَ الأفعال والأقوال، وهذا أمرٌ يختصُّ به المؤمن الطَّائع، قال تعالى: ﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾﴾ [سورة نوح:١٢].

• مِنْ أوراد النَّقشبنديَّة الَّتي يُردِّدونها في شهر رجبٍ ورد "تجديد الإيمان": "آمنتُ بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر خيره وشرِّه مِنَ الله تعالى"[2]، مع صحَّة القول الَّذي يُردِّدونه وثبوته في نصوص الشَّرع إلَّا أنَّه لم يأتِ في الشَّرع الأمر بتجديد الإيمان في شهر رجبٍ ولا في أي شهرٍ سواه، وليس أمرًا مندوبًا أو مستحبًّا، ولو كان كذلك لأمر الله ﷻ به في كتابه، ولعلَّمه النَّبيُّ ﷺ لأصحابه ﵃ وتواصوا به فيما بينهم.

• انتقاص حرمة كلام الله ﷻ كقول الشَّاذليِّ في (حزب البحر): "﴿بسم الله﴾ بابنا، ﴿تبارك﴾ حيطاننا، ﴿يس﴾ سقفنا، ﴿كهيعص﴾ كفايتنا، ﴿حم عسق﴾ حمايتنا ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾)"[3]، وقول ابن عربيٍّ في (حزب الدَّور الأعلى): "اللَّهمَّ يا حيُّ يا قيُّوم بك تحصَّنت فاحمني بحماية كفاية وقاية حقيقة برهان حرز أمان ﴿بسم الله﴾، وأدخلني يا أوَّل يا آخر

(١) الصلاة الإلهية الكبرى (ص:٢٧).

(٢) دليل المريد (ص:٦٧).

(٣) أوراد الطريقة الشاذلية (ص:١٧).

في مكنون غيب سرِّ دائرة كنز ﴿ما شاء الله ولا قوة إلاَّ بالله﴾، واسبل اللَّهم يا حليم يا ستَّار كنف ستر حجاب صيانة نجاة ﴿واعتصموا بحبل الله﴾)[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "إنَّ جعل كلام الله بمنزلة الباب والسَّقف والحيطان يحتاج مثله إلى أثرٍ وإلَّا فهو بدعةٌ، وقد يُفهم مِنْ ذلك انتقاص حُرمته"[٢].

● استهزاء الصُّوفيَّة واستهتارهم بكتاب الله ﷻ وذلك بترتيبهم الأجور الخياليَّة على أذكارهم ومقارنتها بالقرآن العظيم، بما يُضفي مزيَّةً وهميَّةً باطلةً فاسدةً عليها؛ كما زعم التِّيجانيُّ في (صلاة الفاتح لما أُغلق) وأنَّ أجر تلاوتها يعدل مِنَ القرآن ستَّة آلاف ختمةٍ، فالتَّفضيل يكون بين شيئين مُتماثلين ومُتشابهين وبينهما اشتراكٌ، وشتَّان بين كلام الله ﷻ المُحكم المُعجز مِنْ أوَّله إلى آخره، وبين كلام أولياء الشَّيطان الكذبة، فهذا مِنَ الاستهزاء والاستهتار بكتاب الله ﷻ[٣].

● التزامهم بأحزابٍ هي خاصَّةٌ بحالةٍ معينةٍ وقولها في غير وقتها ولا الوضع المناسب لها؛ مثل "حزب البحر" لركوب البحر، و"النصر" في ملاقاة الأعداء، فهم يلتزمون ترديد هذه الأحزاب كل يوم وهم جلوسٌ في حلقهم وفي مساجدهم دون ركوبهم في بحر أو خوضهم لمعركة، فلو كانت هذا الأحزاب سائغةً ومشروعة في أصلها؛ لم تكن مشروعةً في غير محلِّها كأن يُتلى حزب البحر الذي فيه الدعاء بتسخير البحر في المساجد وفي كلِّ مكانٍ، فلا يفعل ذلك إلَّا جاهلٌ لا يُدرك ما يقول أو مُستهزئٌ بالله[٤].

● انتزاع الآيات ووضعها في غير موضعها والاستشهاد فيها بغير المعنى الَّذي أُنزلت فيه، كاستخدام الآيات الَّتي نزلت في الكفَّار والمنافقين في الدُّعاء، وكقول الشَّاذليِّ في (حزب النَّصر): "بحقِّ ﴿كهيعص﴾ كُفيت، وبـ ﴿حم عسق﴾ حُميت... اللَّهم بحقِّ ﴿كهيعص﴾ ﴿كهيعص﴾ ﴿كهيعص﴾ اكفنا همَّ العدا... ﴿حم عسق﴾ حمايتنا ممَّا نخاف، اللَّهمَّ بحقِّ طه

---

(١) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٢٣).

(٢) الرد على الشاذلي (ص:٩٢).

(٣) انظر: التيجانية (ص١١٥).

(٤) انظر: الرد على الشاذلي (ص:٩٣).

وقاف وسورة الأحقاف، بلطفك يا خفي الألطاف"[١]. ومنه: التّلاعب بآي القرآن كتكرار الحروف المقطَّعة في بداية السُّور بصورةٍ لا تليق بكلام الله ﷻ، ووضعها في تراكيب مخالفةٍ لما جاء في كتاب الله العزيز، ومنه ما وضعه الشّاذليُّ في (حزب البحر): "طس حم عسق ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخٌ لا يبغيان﴾ حم حم حم حم حم حم حم، حُمّ الأمر وجاء النَّصر فعلينا لا ينصرون"[٢]. فهذا انتزاع لا مسوغ له وغير مشروع في تلاوة كتاب الله ﷻ والاستشهاد بآياته، "فإن تلاوة القرآن على غير الوجه المشروع، فأشبه تنكيس السورة، فإنه منهي عنه بالاتفاق"[٣].

• التَّقوُّل والكذب على الله ﷻ؛ والقول بأنَّه خلق قطب الصُّوفيَّة على صورته، وأنَّه أمان العالمين، قال ابن عربيٍّ في (حزب صلاة النُّور) في صفات القطب الَّذي هو عنده خليفة رسول ﷺ: "وعمدة الله في الأمضية، محلُّ نظر الله مِنْ خلقه، ومُنَفِّذًا أحكامه منهم بصدقه، المُمِدِّ للعوالم بروحانيَّة المفيض عليهم مِنْ نور نورانيَّته، مَنْ خلقه على صورته، وأشهده أرواح ملائكته، وخصَّصه في هذا الزَّمان ليكون للعالمين أمانٌ"[٤]. ولم يأت أن الله ﷻ قد خلق أحد على صورته إلا ما جاء في الحديث: «فإن الله خلق آدم على صورته»[٥].

• استحلال التَّمائم وتعليقها، فَمِنْ صلواتهم: "اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ ما سجعت الحمائم، وحامت الحوائم، وسرحت البهائم، ونفعت التَّمائم"[٦]، وقد قال ﷺ: «إنَّ الرُّقى، والتَّمائم، والتِّولة شركٌ»[٧]، فهي شركٌ لاعتقاد المعلِّق لها بأنَّها تنفع وتضرُّ.



(١) شوارق الأنوار (ص:١١٣-١١٧).

(٢) أوراد الطريقة الشاذلية (ص:١٧).

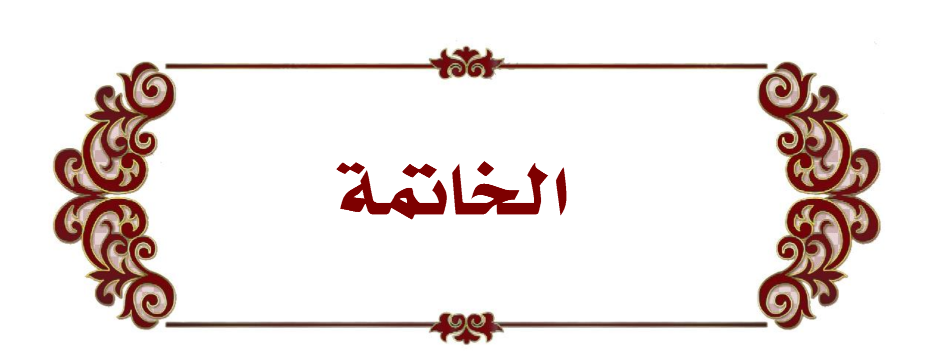
(٣) الرد على الشاذلي (ص:٩٤)

(٤) مجموع أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر (ص:٢٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب - باب النهي عن ضرب الوجه (١٦/٣٨١) رقم (٦٥٩٧).

(٦) البدور النيرات (ص:٥٦)

(٧) أخرجه أبو داود -كتاب الطب - باب في تعليق التمائم (ص:٦٩٧) رقم (٣٨٨٣)، صححه الألباني.



الخاتمة

الخاتمة

وتحتوي على **أهمِّ النَّتائج والتَّوصيات**:

وبعد هذه الدِّراسة الَّتي أسأل الله العليَّ العظيم، أن يجعل فيها القَبول والنَّفع للإسلام والمسلمين عامَّةً، وللصُّوفيَّة خاصَّةً، وأن أكون قد وفِّقت فيها إلى ما يُحبُّه الله ويرضاه، خرجتُ ببعض النَّتائج.

أهمُّ النتائج:

١- عدم وجود تعريفٍ منضبطٍ يُعَرِّفُ الصُّوفيَّة كفرقةٍ مُخالفةٍ للكتاب والسنة، وارتباط تعريفها بمراحل نشأتها وتطوُّرها.

٢- تعمد الصُّوفيَّة إلى جعل الكتاب والسُّنَّة مِنْ مصادر التَّلقِّي والاستدلال في وصاياهم لأتباعهم، في حين أنَّ الواقع يُخالف تلك الوصايا، إمَّا مِنْ باب التُّقية غير المصرَّح بها، أو خوفًا مِنَ التَّشنيع والازدراء مِنْ عامَّة المسلمين.

٣- العلم اللَّدُنِّيُّ هو أساس المعرفة والاستدلال عند الصُّوفيَّة، وإن اختلفت وسائل الحصول عليه، وهو مرتعٌ خصبٌ لنشر خرافات الصُّوفيَّة، واختراعات كراماتهم.

٤- تقديس الأشخاص ركنٌ أساسيٌّ في عقيدة الصُّوفيَّة، فالأولياء مقدَّمون على كلِّ مَنْ سواهم، ولهم مراتب ودرجاتٌ.

٥- خروج الصُّوفيَّة المتأخِّرين عن عقيدة ومنهج الصُّوفيَّة الأوائل المشهود لهم بصحَّة المعتقد أدَّى إلى انحرافاتهم العقديَّة.

٦- الانحراف لدى الصُّوفيَّة حقيقةً؛ هو انحرافٌ في توحيد الله ﷻ ولا يقتصر على الانحراف السُّلوكيِّ البدعيِّ كما هو مشتهرٌ.

٧- ظهرت عقيدة وحدة الوجود عند متقدِّمي الصُّوفيَّة كالبسطاميِّ والنُّوريِّ والشِّبليِّ في شطحاتهم وحالة الغيبة وإن لم يصرِّحوا بها.

٨- تلبَّس كثيرٌ مِنْ متأخِّري الصُّوفيَّة بعقيدة وحدة الوجود والاتِّحاد والحلول والَّتي ظهرت جليَّةً في أحزابهم، وأورادهم، وصلواتهم، وأدعيتهم.

٩- الأحزاب والأوراد هي حجر الأساس الَّذي تقوم عليه الطُّرُق الصُّوفيَّة، وبه يجذبون المُريدين لطُرُقهم.

١٠- ارتباط الأحزاب والأوراد بالأحوال والمقامات الصُّوفيَّة ارتباطًا وثيقًا، فبقدر تلاوة المُريد للأوراد تكون منزلته ومقامه.

١١- أهمِّيَّة التَّنبُّه للأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة وما فيها مِنْ مزالق عقديَّةٍ، قد تُفضي بقائلها إلى الكفر والإشراك بالله ﷻ.

١٢- عدم الاغترار بالأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة عند شحنها وملئها بالآيات والنُّصوص الشَّرعيَّة. وسياقها في غير مضانها ومناسباتها الصحيحة.

١٣- الأحزاب والأوراد مِنْ أهمِّ وسائل الصُّوفيَّة في بثِّ أفكارهم، ونشر عقائدهم الباطلة.

١٤- أكثر المتأثِّرين مِنَ العامَّة بالصُّوفيَّة، هم أصحاب الحاجات سواءٌ الدُّنيويَّة أو الأخرويَّة، فالتَّصوُّف كالمخدِّر للفقراء في قَبول أحوالهم وعدم العمل على تحسينها، أمَّا الموسرون فإنَّ الأحزاب والأوراد أسهل طريق لتحصيل الأجور العظيمة بأقلِّ جهدٍ.

١٥- شيوع الأحزاب والأوراد الصُّوفيَّة بسبب ما يدعيه الصوفية فيها مِنْ أجورٍ خياليَّةٍ تُغري بحفظها والتزامها.

أهمُّ التَّوصيات:

١- أوصي نفسي أوَّلًا وكلَّ محبٍّ للخير راغبٍ في الأجور العظيمة؛ الحرص على الالتزام بالكتاب والسُّنَّة عند الأخذ بالأوراد والأذكار، والتزام الأوراد والأذكار المأثورة الصَّحيحة الثَّابتة عن النَّبيِّ ﷺ، وعرض كلِّ وردٍ أو ذكرٍ يتمُّ نشره في أيِّ وسيلةٍ على الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة.

٢- أوصي الصُّوفيَّة المتأخِّرين بالرُّجوع إلى المنهج الحق، وعرض كلِّ ما يقوله ويسلكه شيوخهم على كتاب الله ﷻ وسنَّة نبيِّه ﷺ ؛ فإن وافقتهما فبها ونعمت وإلاّ استبدلت أقوالهم بما في النصوص الشرعية الصحيحة.

٣- التَّثبُّت مِنْ كلِّ وردٍ وذكرٍ يُنشر، والتَّوقُّف فيه لمعرفة مدى مشروعيَّته، فليس كلُّ ما يُملأ بالآيات القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة يكون مقبولًا شرعًا.

٤- دعوة الباحثين في تخصص العقيدة إلى الالتفات للشَّخصيات التي اشتهرت باختراع وترويج الأحزاب والأوراد وفضح عقائدهم الباطلة، ومدى تأثيرها على أورادهم، كابن عربيٍّ الحاتميِّ، وأبي الحسن الشَّاذليِّ ومحمد عثمان الميرغنيِّ في مواضيع تتعلَّق وتربط بين عقائدهم وأباطيلهم في أذكارهم.

٥- تكاتف الجهود في بيان بطلان هذه الأوراد المخالفة للنصوص الشرعية وعظم خطرها على عقيدة المسلم، وحثُّ العلماء وأئمَّة المساجد على تنبيه العامَّة بالتزام الأذكار المشروعة وتجنُّب البدع والضَّلالات.

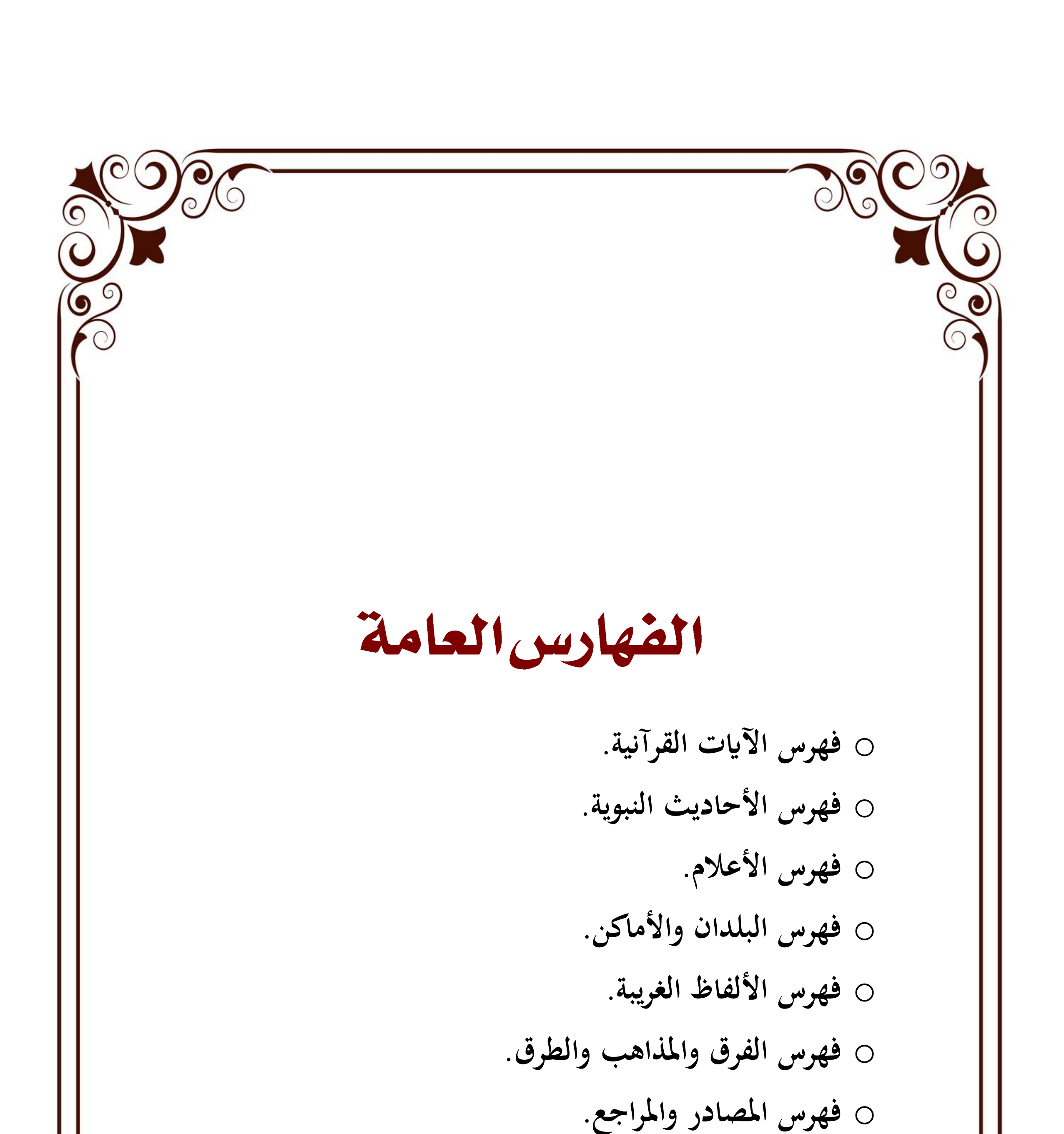
٦- الحرص على نشر الأوراد المشروعة بجعلها متاحةً لكلِّ يد مسلمٍ، وبأسهل الطُّرُق.

٧- توظيف وسائل التَّواصل الاجتماعيِّ والتَّطبيقات الذَّكيَّة في نشر الأوراد المشروعة، وبيان ضوابط وشروط الذِّكر المقبول.

٨- الحثُّ على عمل برامج للنَّاشئة تتعلَّق بالأذكار المأثورة الصَّحيحة لسهولة حفظهم إيَّاها.

وبعد: فلا أنسى في ختام هذا العرض لموضوع هذه الرسالة أن أتقدَّم بشكر الله ﷻ فهو المُعين على ما تقدَّم، وهو صاحب الفضل المقدِّم والمؤخِّر، وهذا ما وفَّقني إليه ربِّي في توضيح هذا الموضوع وبيان تقسيماته وفصوله ومباحثه، ومنهجي في كتابته، وتشييد مبانيه، وتحرير مضامينه، وما هذا إلَّا جهد المقلِّ ولا أدَّعي فيه الكمال، ولكن عذري أنّني بذلتُ فيه قُصارى جهدي، فإن أصبتُ فَمِنَ الله ﷻ وحده وذاك مرادي، وإن أخطأتُ فَمِنْ نفسي وقصور علمي، ويكفيني شرف المحاولة والتَّعلُّم، والحمد لله في الأولى والآخرة على ما أنعم وتفضَّل، وعلى ما بلَّغني إيَّاه في هذه الرِّسالة، وأسأله تعالى القَبول والسَّداد والتَّوفيق في الأمر كلِّه، وصلِّ اللَّهمَّ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه والتَّابعين ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين وسلِّم تسليمًا كثيرًا.





الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس البلدان والأماكن.
- فهرس الألفاظ الغريبة.
- فهرس الفرق والمذاهب والطرق.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
المائدة		
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ﴾	٣	٨، ١٠٧
﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾	١٥	٩٠
﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾	٧٢	٢١٣
﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ٧٧﴾	٧٧	٨١
الأنعام		
﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾	٢٧	١٠٣
﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾	٤٥	٢٣٢
﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ١٠٣﴾	١٠٣	٤٧
﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾	١٤٤	٢٢٥
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	١١٠
﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ ١٦٤﴾	١٦٤	٧٨
الأعراف		
﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾	٣	١٠٨
﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾	٣١	٣٠
﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ﴾	٣٣-٣٤	١٢١
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾	٥٤	٨٢، ٢٣١
﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾	٥٤	٢١١
﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾	٥٥	١٦٢، ٢٢٢

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾	٦٢	٢٠٨
﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾	١٤٣	٤٧
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾	١٤٣	٢٢٥
﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴿١٦٩﴾ ﴾	١٦٩	٢٢٥
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾	١٨٠	٢١٥، ٢٢٩
﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾	١٨٨	٨١
التوبة		
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا ﴾	٤	١٢١
﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ ﴾	٧١	٢٠٨
يونس		
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٣	٢١٢
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾	٣	٢٣١
﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ ﴾	٣١	٢١٢
﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾	٦٢-٦٤	٨٦، ٨٣
﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾	١٠٦-١٠٧	٢١٣
الرعد		
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ﴾	٢٨	١٨٠
النحل		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾	٣٦	٢١٧
﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾	٤٤	٩٠

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾	١١٦	١٠٤
الإسراء		
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾	١	٦٣
﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾	٤٢	٢٣١
﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾	٤٤	٧٥
﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ﴾	٥٧	١٠١
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ﴾	٥٧	١٠٥
﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾	٨٨	١٦٧
الكهف		
﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ﴾	٦٥	٤٣
مريم		
﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾	١	٢٣٠
﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾	٧١	٩٧، ١٠٤
طه		
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾	٥	٧٥
﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾	١٢	٨٩
﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١﴾	١١١	٢٣١
﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾	١٣٠	١٨٤
الأنبياء		
﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾	٣٤	٥١

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا﴾	٩٠	١٠١
الحج		
﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾	٢	١٠٤
الحجر		
﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾	٩	٨
﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ٤٤﴾	٤٤	١٠٢
المؤمنون		
﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾	١٠٧	١٠٣
﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾	١٠٨	٩٨
الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾	١	٨٠
﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن﴾	٢	٨٢
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾	٣١	٢٢٣
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾	٦٢	١٨٤
الشعراء		
﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾	١٩٥	٩٠
النمل		
﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩﴾	٨٩- ٩٠	٢٣٤
القصص		
﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾	٥٠	٦٧

الآية	رقمها	رقم الصفحة
العنكبوت		
﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ﴾	٤٥	١٧٨
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ﴾	٦٩	٢٣٤
الروم		
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾	٤٧	٢٢٠
لقمان		
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٦	٢٠٦
السجدة		
﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤﴾	٤	٢٢٠
﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾	٧-٨	٨٢
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾	١٦-١٧	١٠٠
الأحزاب		
﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾	٣٥	١٧٨
﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ﴾	٤٠	٧٩، ٨١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ﴾	٤١-٤٢	١٧٨
فاطر		
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ﴾	١١	٢١٢
﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ٢٨﴾	٢٨	٢٩، ١٩٤

الآية	رقمها	رقم الصفحة
الصافات		
﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ١٦٤﴾	١٦٤	١٩٢
الزمر		
﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾	٢	١٨٣
﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ﴾	١١-١٢	٨٠
غافر		
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾	٤٩	١٠٣
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾	٦٠	٥٣، ٢٢٧
فصلت		
﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾	٦	٨٢، ٨٩
﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾	٤٧	٢١٢
الشورى		
﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢﴾	١-٢	٢٣٠
﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾	١٣	١٠٧
﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ٢١﴾	٢١	١٩٨
﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾	١١	٢١٣، ٢١٥
الزخرف		
﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ١٥﴾	١٥	٧٨





الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾	٧٧	١٠٤
الجاثية		
﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ﴾	١٨	١٠٨
﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ﴾	٢١	١٠١
الأحقاف		
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴿٥﴾﴾	٥	٨٢
الفتح		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾	١٠	١٢٨
الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	٢٠٥، ٢١٧
الطور		
﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾	٣٥	٧٨
النجم		
﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ﴾	١-٥	٢٢٤
﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾	٣٢	٥٨
الحديد		
﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾	٢٢	٢٣٣
الجمعة		
﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ﴾	١	٢١٣
﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾	١٠	١٨٠

الآية	رقمها	رقم الصفحة
الملك		
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾	١٦	**٧٥**
الحاقة		
﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ﴾	٤٤- ٤٦	**٢٢٥**
المعارج		
﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١﴾	١١	**١٠٣**
نوح		
﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾	١٢	**٢٣٤**
الجن		
﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١﴾	٢١	**٨٦**
المدثر		
﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠﴾	٣٠	**١٠٢**
القيامة		
﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾	٢٢- ٢٣	**١٠٥**
المطففين		
﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾	١٥	**١٠٥**
الفجر		
﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾	٢٢	**٢٣١**
﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦﴾	٢٥- ٢٦	**١٠٤**
العلق		
﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾	٥	**٤٣**



فهرس الأحاديث النبوية

م.	طرف الحديث	رقم الصفحة
٦٥	يا معشر قريشٍ، اشتروا أنفسكم مِنَ الله	٢١٩
٦٦	يُقال لأهل الجنَّة: يا أهل الجنَّة! خلودٌ لا موت	٩٩
٦٧	يقول الله ﷻ: أنا عند ظنِّ عبدي بي	١٨٠
٦٨	ينزل الله إلى السَّماء الدُّنيا كلَّ ليلةٍ حين يمضي ثلث اللَّيل الأوَّل	٢٣٢
٦٩	يُؤتى بجهنَّمَ يومئذ لها سبعون ألف زمام	١٠٢



فهرس الأعلام

م.	العلم	رقم الصفحة
١	إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي	١٩٩
٢	أحمد بن ادريس المغربي الحسيني	١٧٢
٣	أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري السني	١٨٢
٤	أحمد سري بابا	١٥٠
٥	أحمد يسوي بن إبراهيم بن محمود بير توركستان الصوفي	١٤٩
٦	إسحاق الكفرسودي التركماني	١٤٩
٧	أَمَةُ بنت خالد بن سعيد بن عبد شمس الأمويَّة	١١٦
٨	أمير كُلال بن السيد حمزة البخاري النقشبندي	١٥٦
٩	أبو بكر الشبلي الصوفي	٦١
١٠	الجُنَيْد بن محمد بن الجنيد	٢٩
١١	أبو الحسن علي بن عثمان الجلابي الهجويري	٢٦
١٢	أبو الحسين النوري	٧٥
١٣	الحسين بن منصور الحلاج	٧٤
١٤	أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه	٣٢
١٥	حمّاد بن مسلم الدّبّاس	١٢٦
١٦	أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية	٩٩
١٧	ذو النون بن إبراهيم أبو الفيض	٤٠
١٨	رويم بن أحمد بن يزيد البغدادي	٦٩
١٩	السَّري بن المُغَلِّس أبو الحسن السقطي	٢٩
٢٠	أبو سعيد الخراز	٥٣
٢١	سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى التستري	٥٠
٢٢	شرف الدين الواسطي	١٣٥
٢٣	عبد الحق بن إبراهيم بن سبعين	٧٩

م.	العلم	رقم الصفحة
٢٤	عبد الخالق بن عبد الجليل الغجدواني	١٥٥
٢٥	عبد الرحمن بن عطية	٤١
٢٦	عبد السلام بن مشيش	١٤١
٢٧	عبد العزيز بن مسعود	٨٠
٢٨	عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي	٥٢
٢٩	أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الصوفي	٦٤
٣٠	عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني	٤٨
٣١	عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني	٤٧
٣٢	علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني	٣٣
٣٣	علي حرازم بن العربيّ برادة	١٦٤
٣٤	أبو الفضل الأحمدي	٤١
٣٥	فضل الله بن أبي الخير محمد بن أحمد الميهني	١١١
٣٦	أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القُشيري	٢٦
٣٧	لقمان برندا	١٤٩
٣٨	أبو محمد الجريري	٣١
٣٩	محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري	٢٥
٤٠	محمد بن علي بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي	٣٣
٤١	محمد بن علي بن جعفر الكتاني	٢٠٠
٤٢	محمد بن محمد بن الفراء أبو الحسين	٦٤
٤٣	أبو محمد عبد السلام بن حرمة الادريس الحسني	١٤١
٤٤	محمَّد ماضي أبو العزائم	١٨٦
٤٥	أبو نصر السَّرَّاج الطُّوسي الصُّوفيُّ	٢٢
٤٦	نفيسة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب	١١٣



فهرس البلدان والأماكن



فهرس الألفاظ الغريبة

م.	اللفظ	رقم الصفحة
١	الأحرارية	١٥٥
٢	البكتاشيَّة	٢٠١
٣	التِّيجانيَّة	٢٠٢
٤	الجهميَّة	٧٤
٥	الخالدية	١٥٥
٦	الختميَّة	١٥
٧	الخواجكانية	١٥٥
٨	الرفاعية	١٢٥
٩	الشَّاذليَّة	١٥
١٠	الصفوية	١٤٨
١١	الطيفوريّة	١٥٥
١٢	الغالية	١٣
١٣	القادرية	١٢٥
١٤	المجددية	١٥٥
١٥	المظهرية	١٥٥
١٦	النقشبندية	١٥٥



فهرس الفرق والمذاهب والطرق






فهرس المصادر والمراجع

١- الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، أحمد بن المبارك، ط: دار الكتب العلمية –بيروت، ط:٣، ٢٠٠٢م.

٢- ابن عربي عقيدته وموقف المسلمين منه، دغش العجمي، ط: مكتبة أهل الأثر – الكويت، ط: ٢، ٢٠١م.

٣- الاتجاهات المنحرفة في التفسير، عادل الشدي، ط: مدار الوطن –الرياض، ط: ١، ٢٠١٠م.

٤- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع: ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٥- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، ت: الشيخ أحمد محمد شاكر، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٦- إحياء علوم الدين للغزالي، ط: دار المنهاج – جدة، ط: ١، ٢٠١١م.

٧- آداب الشافعي ومناقبه، أبي حاتم الرازي، ت: عبد الغني عبد الحق، ط: مكتبة الخانجي –القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٩م.

٨- الأربعين في أصول الدين، الغزالي، ط: دار المنهاج –جدة، ط: ١، ٢٠١٧م.

٩- إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين، أحمد الفاروثي الأحمدي، ط: محمد أفندي. نسخة قديمة.

١٠- الاستغاثة في الرد على البكري، ابن تيمية الحرَّاني الحرَّاني، ت: عبد الله السهلي، ط: دار المنهاج–الرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ.

١١- الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية الحرَّاني الحرَّاني، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود–المدينة المنورة ١٩٩١م.

١٢- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، جعفر الناصري/ محمد الناصري، ط: دار الكتاب –الدار البيضاء.

١٣- أسد الغابة، ابن الأثير، ت: علي محمد معوض –عادل أحمد عبد الموجود، ط: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٤م.

١٤- الإصابة، ابن حجر، ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط: دار الكتب العلمية –بيروت، ط: ١، ١٩٩٥م.

١٥- أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، عبد الباقي مفتاح، بدون بيانات طبع.
١٦- أضواء على الطرق الصُّوفيَّة في القارة الأفريقية، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، ط: مطبعة مدبولي –القاهرة، ١٩٨٩م.
١٧- الاعتصام للشاطبي، ت: محمد الشقير، ط: دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٤١هـ.
١٨- الاعتقاد لابن أبي يعلى الفراء، ت: محمد عبد الرحمن الخميس، ط: دار أطلس الخضراء – الرياض ط: ١، ٢٠٠٢م.
١٩- إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم، ت: عبد الرحمن الوكيل، ط: دار إحياء التراث العربي -بيروت، سنة ١٩٦٩م
٢٠- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبد الحي الطالبي، ط: دار ابن حزم -بيروت، لبنان، ط: ١، ١٩٩٩م.
٢١- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط: دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٠م.
٢٢- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ابن القيم، ت: علي بن حسن الحلبي، ط: دار ابن الجوزي – الدمام، ط: ١، ١٤٢٤هـ.
٢٣- الإفاضة الكبرى، ناصر الدين الخطيب، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ٣، ٢٠١٢م.
٢٤- الإمام الرفاعي وطريقته في التصوف محمد يوسف جيجه. بدون بيانات طبع
٢٥- أمراض القلوب وشفاؤها، ابن تيمية الحرَّاني الحرَّاني، ط: المطبعة السلفية ومكتبتها -القاهرة، ط: ٣، ١٤٠٢هـ.
٢٦- الإنسان الكامل، عبد الكريم الجيلي، ت: صلاح عويضة، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م.
٢٧- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصُّوفيَّة، الشعراني، ت: عبد الباقي سرور ومحمد الشافعي، ط: مكتبة المعارف – بيروت، ١٩٨٨م
٢٨- أوراد الطريقة الشاذلية، جمعها نوح حاميم كلر، ط: دار الزاهد- القاهرة، ١٩٩٧م.
٢٩- الأوراد القادرية، عبد القادر الجيلاني، ط: دار الألباب- بيروت ط: ٢، ١٩٩٢م.
٣٠- البداية والنهاية، ابن كثير، ط: مكتبة المعارف – بيروت، ١٩٩١م.

٣١- البدور النيرات في اختصار دلائل الخيرات، محمد الجزولي، ط: دار المصطفي – القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٢م.

٣٢- بصيرة القدسية بأوراد وأحزاب وأدعية السادة القادرية، محمد أبي سفياني، بدون بيانات طبعة.

٣٣- بغية الوعاة، السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية – لبنان، بدون تاريخ الطبعة.

٣٤- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، علي الشطنوفي، ط: دار الكتب العلمية -بيروت.

٣٥- البهجة السنية في آداب الطريقة الخالدية النقشبندية، محمد الخاني، ط: مكتبة الحقيقة – إسطنبول ٢٠٠٢م.

٣٦- بوارق الحقائق، محمد الرواس، ط: أسرة الساحة الرفاعية – القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٢م.

٣٧- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، ابن رشد الجد القرطبي ت: د محمد حجي وآخرون، ط: دار الغرب الإسلامي- بيروت ط: ٢، ١٩٨٨ م.

٣٨- تاريخ أبي زرعة الدمشقي برواية أبي الميمون بن راشد أبو زرعة، ت: شكر الله القوجاني، ط: مجمع اللغة العربية – دمشق.

٣٩- تاريخ إربل، ابن المستوفي، ت: سامي بن سيد خماس الصقار، ط: دار الرشيد للنشر، العراق، عام ١٩٨٠م.

٤٠- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، الذهبي، ت: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، ط: ١، ، ٢٠٠٠م.

٤١- تاريخ التصوف في الدولة العثمانية الطريقة البكتاشية نموذجًا، ممدوح غالب بري، ط: المركز الديموقراطي العربي-برلين، ط: ١، ٢٠١٩م.

٤٢- تاريخ الدولة العثمانية لخليل إيناجليك، ت: إحسان حقي، ط: دار النفائس، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٩٨١م.

٤٣- تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار للمؤرخ خليل إيناجليك، ترجمة: محمد الأرناؤوط، ط: دار المدار الإسلامي- بيروت، ط: ١، ٢٠٠٢م.

٤٤- تاريخ بغداد، البغدادي، ت: الدكتور بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.

٤٥- تاريخ دمشق، ابن عساكر، ت: عمرو بن غرامة العمروي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

٤٦- تصحيح الدعاء، بكر أبو زيد، ط: دار العاصمة - الرياض، ط: ١، ١٩٩٩م.

٤٧- التصوُّف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك، ط: مؤسسة هنداوي - القاهرة ٢٠١٢م.

٤٨- التَّصوُّف في الإسلام منابعه وأطواره، محمد الصادق، ط: دار القلم - دمشق، ٢٠١٨م.

٤٩- التَّصوُّف والتفلسف الوسائل والغايات، لصابر طعيمة. ط: مكتبة مدبولي - القاهرة ط١، ٢٠٠٥م

٥٠- التَّصوُّف، المنشأ والمصادر إحسان إلهي ظهير، ط: بيت السلام - الرياض، ط: ١، ٢٠٠٨م.

٥١- التَّعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف، أبي بكر الكلاباذي، ت: آرثر جون أربري، ط: مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٤م.

٥٢- التعريفات، الجرجاني، ت: محمد المرعشلي، ط: دار النفائس — بيروت، ط: ٣، ٢٠١٢م.

٥٣- تعظيم قدر الصلاة للمَرْوَزِي، ت: عبد الرحمن الفريوائي، ط: مكتبة الدار - المدينة المنورة - ط: ١، ١٤٠٦هـ.

٥٤- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز -السعودية، ط: ٣، ١٤١٩هـ.

٥٥- تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: دار الوطن، الرياض، ط: ١، ١٩٩٧م.

٥٦- تكملة المعاجم العربية، رينهارت دُوزِي، نقله إلى العربية وعلَّق عليه: محمَّد النعيمي، ط: وزارة الثقافة والإعلام - بغداد، ط: ١، ١٩٧٩م.

٥٧- تلبيس إبليس، عبدالرحمن بن الجوزي، ط: دار القلم - بيروت، ط:١، ١٤٤٠هـ.

٥٨- تهذيب اللغة، أبي منصور الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط: ١، ٢٠٠١م.

٥٩- التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ت: عبد الحميد صالح حمدان. ط: عالم الكتب — القاهرة، ط: ١، ١٩٩٠م.

٦٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، ط: دار ابن الجوزي- الرياض، ط٥، ١٤٣٢هـ.

٦١- الثقات، ابن حبان، ط: دائرة المعارف العثمانية - الهند، ط: ١، ١٩٩٧م.

٦٢- جامع البيان، لابن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة. ط: ١، ٢٠٠٠م.

٦٣- جامع الرسائل، ابن تيمية الحرَّاني الحرَّاني، ت: محمد رشاد سالم، ط: دار المدني - جدة ط: ٢، ١٩٨٤م.

٦٤- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: عبد الله التركي، ط: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: ١، ٢٠٠٦م.

٦٥- الجديد في شرح كتاب التوحيد، محمد القرعاوي، ت: محمد أحمد، ط: مكتبة السوادي- جدة، ط:٥، ٢٠٠٠م.

٦٦- جمهرة اللغة، ابن دُرَيْد الأزدي، ت: رمزي منير بعلبكي، ط: دار العلم للملايين - بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م.

٦٧- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية الحرَّاني الحرَّاني، ت: علي بن حسن وآخرون، ط: دار العاصمة-الرياض، ط: ٢، ١٩٩٩م.

٦٨- الجواهر العجيبة، ابن عجيبة، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: ٢، ٢٠٠٧م.

٦٩- جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، علي حرازم، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط:٣، ٢٠١٨م.

٧٠- حالة أهل الحقيقة مع الله أحمد الرفاعي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ٢٠٠٤م.

٧١- الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، عبد المجيد الخاني، ط: وزارة التربية - أربيل ط: ٢، ٢٠٠٢م.

٧٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، ت: سامي جاهين، ط: دار الحديث - القاهرة ٢٠٠٩م.

٧٣- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، ت: محمد بهجة البيطار، ط: دار صادر، بيروت، ط: ٢، ١٤٤١هـ.

٧٤- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب العاملي، ط: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: ١، ١٤١٢ هـ.

٧٥- دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ناصر العقل، ط: دار اشبيليا- الرياض، ط: ٢، ٢٠٠٢م.

٧٦- دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، ط: مكتبة بيت السلام - الرياض، ط: ١، ٢٠٠٨م.

٧٧- الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة، محمد فتحا النظيفي، ط: دار الفكر — القاهرة، ط: الأخيرة، ١٩٨٤م.

٧٨- دليل المريد للأوراد والوظائف في الطريقة النقشبندية العلية، عدنان القباني، بدون بيانات طبع.

٧٩- الذريعة إلى مكارم الشَّريعة، الراغب الأصفهاني، ت: أبو اليزيد العجمي، ط: دار السلام - القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٧م.

٨٠- الرد على الشاذلي ابن تيمية الحرَّاني الحرَّاني، تحقيق: علي العمران، ط: دار عالم الفوائد، ط: ٢، ١٤٣٧هـ.

٨١- الرد على المنطقيين، ابن تيمية الحرَّاني الحرَّاني، ت: عبدالصمد الكتبي، ط: مؤسسة الريان، ط: ١، ٢٠٠٥م.

٨٢- الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة العلية البكتاشية، أحمد سري بابا، ط: الشرق- القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٩م.

٨٣- رسالة الأمين في الوصول لرب العالمين، أبي حسن الشاذلي، ت: أحمد فريد المزيدي ط: دار الحقيقة - القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٨م.

٨٤- الرسالة القُشيريَّة: القُشيري، ت: القاضي زكريا الأنصاري، ط: دار جوامع الكلم -القاهرة ٢٠٠٧م.

٨٥- الرسالة، الإمام الشافعي، ت: أحمد شاكر، ط: مكتبه الحلبي - مصر، ط: ١، ١٩٤٠م.

٨٦- رسائل ابن سبعين/ رسالة النورية: شمس الدين، ت: عبد الرحمن بدوي، ط: الدار المصرية للتأليف، بدون تاريخ طبع

٨٧- الرسائل الميرغنية، عبد الله الميرغني المحجوب، ومحمد عثمان الميرغني الختم، وجعفر الصادق الميرغني، ط: مجموعة نقشجم العلمية، ٢٠١٨م.

٨٨- رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، عمر الفوتي بهامش كتاب جواهر المعاني، ط: المحمودية - القاهرة، ط: ١، ١٤١٨هـ.

٨٩- الروح، ابن القيم، ت: كامل عويضة، ط: دار العنان - القاهرة، ٢٠٠٠م.

٩٠- روضة التعريف بالحب الشريف، الخطيب، ت: عبد القادر أحمد عطا، ط: دار الفكر العربي — بدون تاريخ طبع

٩١- روضة الناظر وجُنَّة المناظر، ابن قدامة، ت: شعبان إسماعيل، ط: التدمرية - الرياض، ط: ١، ١٩٩٨م.

٩٢- الزهد، الإمام أحمد، ت: محمد شاهين، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: ١، ١٩٩٩م.

٩٣- السبحة تاريخها وحكمها، بكر أبو زيد، ط: دار العاصمة - الرياض، ط: ١، ١٩٩٨م.

٩٤- السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية، عبد المجيد الخاني، ط: مكتبة الحقيقة — إسطنبول ٢٠١٢م.

٩٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف — الرياض ط: ١، ٢٠٠٢م.

٩٦- سلم الوصول لطبقات الفحول، حاجي خليفة، ت: محمود عبد القادر الأرناؤوط، ط: مكتبة إرسيكا، إستانبول — تركيا، ٢٠١٠م.

٩٧- سير أعلام النبلاء، الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

٩٨- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن مخلوف، ت: عبد المجيد خيالي، ط: دار الكتب العلمية، لبنان، ط: ١، ١٤٢٤ هـ.

٩٩- شرح السنة، البغوي، ت: شعيب الأرناؤوط، ط: المكتب الإسلامي — بيروت، ط: ٢، ١٩٩٨م.

١٠٠- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٦م.

١٠١- شرح العقيدة الواسطية، محمد العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، ط: دار ابن الجوزي-الرياض، ط: ٦، ١٤٢١هـ.

١٠٢- شرح توسل تراكم الأنوار بأسماء أكابر العارفين الملحق بفيوض البحور المتلاطمة، محمد عثمان الميرغني، ط: مجموعة نقشجم العلمية، ٢٠١٨م.

١٠٣- شطحات الصُّوفيَّة، عبد الرحمن بدوي، ط: وكالة المطبوعات - الكويت. بدون تاريخ طبع

١٠٤- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشْكُبْري زَادَهْ، ط: دار الكتاب العربي — بيروت. ١٩٧٥م

١٠٥- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان الحميري اليمني، ت: حسين العمري وآخرين، ط: دار الفكر المعاصر - بيروت، ط: ١، ١٩٩٩م.

١٠٦- شهيدة العشق الإلهي -رابعة العدوية، عبد الرحمن بدوي، ط: النهضة المصرية - القاهرة، ط: ٢، ١٩٦٢م.

١٠٧- شوارق الأنوار من أدعية السادة الأخيار، محمد بن علوي المالكي الحسيني، ط: دار جوامع الكلم -القاهرة.١٩٩٩م

١٠٨- الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصُّوفيَّة، سعيد القحطاني، ط: ١، ١٩٩٧م.

١٠٩- صحيح البخاري، البخاري، ت: صدقي جميل العطار، ط: دار الفكر - بيروت ٢٠٠٠م،

١١٠- صحيح مسلم، مسلم، ت: خليل مأمون شيحا، ط: دار المعرفة - بيروت.ط:٧، ٢٠٠٠م

١١١- صفة الصفوة، عبدالرحمن بن الجوزي، ت: خالد الطرسوسي، ط: دار الكتاب العربي- بيروت ٢٠١٢م.

١١٢- الصفدية، ابن تيمية الحرَّاني الحرَّاني، ت: محمد رشاد سالم، ط: مكتبه ابن تيمية الحرَّاني الحرَّاني - مصر، ط: ٢، ١٤٠٦هـ.

١١٣- الصلاة الإلهية الكبرى، أحمد الحسيني، ط: دار جوامع الكلم- القاهرة، ٢٠٠٨م.

١١٤- طبقات الأولياء، ابن الملقن، ت: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، ط: مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط: ٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

١١٥- طبقات الخواجكان النقشبندية، لشعيب الباكّني، ط: دار الرسالة. بدون تاريخ طبع

١١٦- طبقات الشافعية، الإسنوي، ت: كمال يوسف الحوت، ط: دار الكتب العلمية، ط: ١، ٢٠٠٢م.

١١٧- طبقات الشافعية، السبكي، ت: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، ط: هجر، ط: ٢، ١٤٤١هـ.

١١٨- الطبقات الصوفية، عبدالرحمن السلمي، ت: أحمد الشرباصي، ط: مؤسسة دار الشعب — ط٢، ١٩٩٨م.

١١٩- طبقات الفقهاء الشافعية، عثمان بن الصلاح، ت: محيي الدين علي نجيب ط: دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط: ١، ١٩٩٢م.

١٢٠- الطبقات الكبرى، عبدالوهاب الشعراني، ط: دار الكتب العلمية — بيروت، ط: ٣، ٢٠١٨م.

١٢١- طبقات المفسرين، أحمد اللأدنه وي، ت: سليمان بن صالح الخزي، ط: مكتبة العلوم والحكم — السعودية، ط: ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٢٢- الطبقات الوسطى، عبدالوهاب الشعراني، ت: محمد نصار، ط: دار الإحسان- القاهرة، ط: ١، ٢٠١٧م.

١٢٣- الطرق الصُّوفيَّة نشأتها وعقائدها وآثارها، عبد الله السهلي، ط: كنوز أشبيليا- الرياض، ط: ١، ٢٠٠٥م.

١٢٤- طريق الهجرتين، ابن قيم الجوزيةالجوزية، ت: محمد الإصلاحي، ط: دار الفوائد - الرياض، ط: ١، ١٤٢٩هـ.

١٢٥- الطريقة الرفاعية، أبي المدي الصيادي، ت: أحمد المزيدي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢٦- الطريقة الرفاعية، لعبدالرحمن دمشقية، بحث مختص من سلسلة دراسات التصوف، بدون بيانات الطبع.

١٢٧- الطريقة الشاذلية عرض ونقد، خالد بن ناصر العتيبي، ط: مكتبة الرشد - الرياض، ط: ١، ٢٠١١م.

١٢٨- الطريقة الصُّوفيَّة البكتاشية في ألبانيا عرض ونقد، بيلدار حجي، رسالة ماجستير في تخصص العقيدة، جامعة القصيم، ١٤٣٧هـ.

١٢٩- الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، فريد آيدن، ط: دار العبر- إسطنبول ٢٠٠٨م.

١٣٠- العبودية، ابن تيمية الحرَّاني الحرَّاني الحراني، ت: محمد زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي — بيروت، ط: ٧، ٢٠٠٥م.

١٣١- عوارف المعارف، شهاب الدين عمر السهروردي، ت: أحمد السايح وتوفيق وهبة، ط: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط: ٢، ٢٠١م.

١٣٢- العين، الخليل الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط: مكتبة الهلال.

١٣٣- غريب الحديث، ابن قتيبة، ت: عبد الله الجبوري، ط: مطبعة العاني — بغداد ط: ١، ١٩٧٧م.

١٣٤- غريب الحديث، أبي عُبيد القاسم بن سلَّام، ط: دائرة المعارف العثمانية، ط: ١، ١٩٦٤م.

١٣٥- الغُنية لطالبي الحق، عبد القادر الجيلاني، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م.

١٣٦- الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية الحرَّاني الحراني، ت: عامر الجزار وأنور الباز، ط: دار الوفاء - المنصورة، ط: ٢، ٢٠٠١م.

١٣٧- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، ط: المكتبة السلفية - القاهرة، ط: ٣، ١٤٠٧هـ.

١٣٨- فتح الباري، ابن رجب، ت: محمود عبد المقصود وآخرين، ط: مكتبة دار الحرمين - القاهرة، ط: ١، ١٩٩٦م.

١٣٩- فتح الرسول، محمد عثمان الميرغني، ط: مجموعة نقشجم العلمية، ٢٠١٨م.

١٤٠- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، ابن علان، ت: عبد المنعم إبراهيم، ط: دار الكتب العلمية — بيروت، ط: ١، ٢٠٠٤م.

١٤١- الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيمية الحرَّاني الحرَّاني الحراني، ت: حمد التويجري، ط: دار الصميعي - الرياض، ط: ٢، ٢٠٠٤م.

١٤٢- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: مكتبة دار التراث - القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٤٣- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية الحرَّاني، ت: عبد الرحمن اليحيي، ط: دار المنهاج - الرياض، ط: ١، ١٤٢٨هـ.

١٤٤- الفروق اللغوية، أبي هلال العسكري، ت: محمد سليم، ط: دار العلم والثقافة- القاهرة.

١٤٥- فصوص الحكم، ابن عربي الحاتمي، ط: دار آفاق - القاهرة، ٢٠١٦م.

١٤٦- الفكر الشيعي والنزعات الصُّوفيَّة، كامل الشيبي، ط: مكتبة النهضة - بغداد، ط: ١، ١٩٦٦م.

١٤٧- فوات الوفيات، محمد الكتبي، ت: إحسان عباس، ط: دار صادر — بيروت. بدون تاريخ طبع

١٤٨- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، ت: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، ط: دار السعادة، ط: ١، ١٤٢٤هـ.

١٤٩- قَانون التَّأويْل، القاضي أبو بكر بن العربي ت: محمّد السّليماني، ط: دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، ط: ١، ١٩٨٦ م.

١٥٠- القرآن ومحاولة لفهم عصري للقرآن، مصطفى محمود، ط: روز اليوسف - القاهرة، بدون تاريخ طبع

١٥١- قلادة الجواهر، أبي الهدى الصيادي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٥٢- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، الطيب بن عبد الله بامخرمة، ط: دار المنهاج — جدة، ط: ١، ٢٠٠٨م.

١٥٣- قلائد الجواهر محمد بن يحي التاذفي، ت: أحمد المزيدي. بدون بيانات طبع
١٥٤- القواعد المرعية في أصول الطريقة الرفاعية، أبي الهدي محمد الصيادي، ط: مطبعة محمد أفندي مصطفى، نسخة قديمة طبعت سنة ١٤٠٥هـ.
١٥٥- قوت القلوب، أبي طالب المكي، ت: محمود إبراهيم الرضواني، ط: دار التراث – القاهرة، ط: ١، ٢٠٠١م.
١٥٦- كشف المحجوب، الهجويري، ت: إسعاد قنديل، ط: مطابع الأهرام – القاهرة، ١٩٧٤م.
١٥٧- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب الكفوي، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ٢، ١٩٩٨م.
١٥٨- كنز العمال، المتقي الهندي، ت: بكري حياني وصفوة السقا، ط: مؤسسة الرسالة، ط: ٥، ١٩٨١م.
١٥٩- الكنوز النورانية من أدعية وأوراد السادة القادرية، مخلف القادري الحسيني، ط: دار الريحانة– القاهرة، ط: ٣، ٢٠١٧م.
١٦٠- الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة، أبي الفضل الشاذلي. ت: أحمد السايح وتوفيق وهبة، ط: مكتبة الثقافة الدينية –القاهرة، ط: ١، ٢٠١٠م.
١٦١- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين الغزي، ت: خليل المنصور، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
١٦٢- لسان العرب، ابن منظور، ط: دار صادر – بيروت، ط: ٣، ١٩٩٤م.
١٦٣- اللُّمع، أبي نصر السَّرَّاج الطُّوسي، ت: محمد أديب الجارد، ط: دار الفتح – الأردن، ط: ١، ٢٠١٦م.
١٦٤- لوامع الأنوار البهيَّة، أبي العون محمد السفاريني، ط: مؤسسة الخافقين – دمشق، ط: ٢، ١٩٨٢م.
١٦٥- ما للهند من مقولة للبيروني، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية – الهند، ط: ١، ١٩٥٨م.
١٦٦- المتصوفة الأولون في الأدب التركي، محمد كوبريلي، ترجمة: عبد الله إبراهيم، ط: المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٢م.

١٦٧- مجموع الأوراد الكبير، محمد عثمان الميرغني، ط: مجموعة نقشجم العلمية، ٢٠١٨م.

١٦٨- المجموع الجامع في أحزاب وأوراد الطريقة الرفاعية، أحمد الرفاعي، بدون بيانات طبعة.

١٦٩- مجموعة أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر ابن عربي، أحمد كمشخانوي، ط: ناشرون-بيروت.

١٧٠- مجموعة أوراد وأحزاب الطريقة النقشبندية، بهاء الدين النقشبندي، بدون بيانات طبعة.

١٧١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

١٧٢- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده المرسي، ت: عبد الحميد هنداو، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ٢٠٠٠ م.

١٧٣- المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ت: محمد آل ياسين، ط: عالم الكتب - بيروت، ط: ١، ١٩٩٤م.

١٧٤- المخصص، ابن سيده، ت: خليل جفال، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م.

١٧٥- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ت: عامر بن علي ياسين، ط: دار ابن خزيمة - الرياض. ط: ١، ٢٠٠٠م.

١٧٦- المذكرة التفسيرية لشرح الطريقة العلية البكتاشية، أحمد سري بابا، ملحقة بالرسالة الأحمدية، ط: مطبعة الشرق- القاهرة، ١٩٩٩م.

١٧٧- المسند: للإمام أحمد، ط: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٤م.

١٧٨- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبي الفضل عياض بن موسى، ط: المكتبة العتيقة ودار التراث، ط: ١، ١٩٧٨م.

١٧٩- المصادر العامة للتلقي عند الصُّوفيَّة، صادق سليم صادق، ط: دار التوحيد - الرياض، ط: ٢، ٢٠١٦م.

١٨٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبي العباس الحموي، ت: عبد العظيم الشناوي، ط: دار المعارف - القاهرة، ط: ٢.

١٨١- معجم اصطلاحات الصُّوفيَّة، عبد الرزاق الكاشاني، ت: عبد العال شاهين، ط: دار المنار -القاهرة، ط: ١، ١٩٩٢م.

١٨٢- المعجم الكبير، الطبراني، ت: حمدي السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية الحرَّاني الحرَّاني - القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٨م.

١٨٣- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ط: عالم الفكر - القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٨م.

١٨٤- معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس، ط: مطبعة سركيس بمصر ١٤٦ هـ - ١٩٢٨م.

١٨٥- معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، الشيخ بكر أبو زيد، ط: دار العاصمة - الرياض، ١٩٩٦م.

١٨٦- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٨٧- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة إبراهيم مصطفى وآخرون، ط: دار الدعوة - القاهرة، ط: ٢، ١٩٧٢م.

١٨٨- معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، علي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط، ط: دار العقبة— تركيا.

١٨٩- المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، أحمد المحلي، ط: المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة ٢٠٠٢م.

١٩٠- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، ط: زمزم للنشر والتوزيع - الرياض، ط:١، ١٩٩٤م.

١٩١- مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ت: نعيم زرزور، ط: المكتبة العصرية، ط: ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٩٢- مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، ط: مكتبة الخانجي - القاهرة ط: ٣، ١٩٨١م.

١٩٣- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٩٩٩م.

١٩٤- مقدمة كتاب الإسرا إلى المقام الأسرى، ابن عربي الحاتمي، ت: سعاد الحكيم، ط: دندرة للطباعة والنشر - بيروت، ط: ١، ١٩٨٨م.

١٩٥- الملل والنحل، الشهرستاني، ط: المكتبة التوقيفية — القاهرة، ط:٣، ٢٠١٤م..

من غير رقم الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ت: إحسان عباس، ط: دار صادر — بيروت، ط: ١، ١٩٦٨م.

١٩٦- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن قيم الجوزية، ت: يحي الثمالي، ط: دار عالم الفوائد، ط: ١.

١٩٧- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية الحرَّاني ت: محمد رشاد سالم، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض، ط: ١، ١٩٨٦م.

١٩٨- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ط: مؤسسة قرطبة، ط: ٢، ١٩٩٤م.

١٩٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: ١، ١٩٩٨م.

٢٠٠- مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، محمد التميمي، ط: أضواء السلف -الرياض، ط: ١، ٢٠٠٢م.

٢٠١- المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية، محمد الأمين الكردي، ط: السعادة - القاهرة، ط: ١، ١٤٢٩هـ.

٢٠٢- موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، عبد الحكيم العفيفي، ط: أوراق شرقية - بيروت، ط: ١، ٢٠٠٠م.

٢٠٣- موسوعة التصوف الإسلامي، محمود زقزوق وآخرون، ط: دار الكتب المصرية - القاهرة ٢٠٠٩م.

٢٠٤- موسوعة التصوف الميسرة، مجموعة مختصين، ط: دار النفائس - بيروت، ط: ١، ٢٠١٥م.

٢٠٥- الموسوعة العربية الميسرة، ط: المكتبة العصرية - بيروت، ط: ١، ٢٠١٠م. ؟؟؟

٢٠٦- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم التهانوي، ت: علي دحروج، ط: مكتبة لبنان - بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م.

٢٠٧- النفحات العلية في الأوراد الشاذلية، عبد القادر زكي، ط: مطبعة النيل، ط: ١، ١٤٢١هـ.

٢٠٨- النقشبندية نشأتها وتطورها لدى الترك لبديعة عبد العال، ط: الدار الثقافية - القاهرة، ط: ١، ٢٠١٠م.

٢٠٩- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي، السجستاني، ت: رشيد بن حسن الألمعي، ط: مكتبة الرشد - الرياض، ط: ١، ١٩٩٨م.

٢١٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ت: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، ط: المكتبة العلمية - بيروت، ١٩٧٩م.

٢١١- نيل الابتهاج أحمد بابا التنبكي، ط: دار الكاتب - طرابلس، ط: ٢، ٢٠٠٠م.

٢١٢- نيل الخيرات بملازمة الصلوات، محمد ماضي أبو العزائم، ط: دار الكتاب الصوفي- القاهرة، ط: ٣٠، ٢٠١٠م.

٢١٣- الهداية الخيرية في الطريقة النقشبندية، محمد الكردي، ط: الحبانية، ١٤١٦هـ.

٢١٤- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، البغدادي، ط: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان. بدون تاريخ طبع

٢١٥- الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية، محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، ط:١، ١٩٩٧م.

٢١٦- هذه هي الصُّوفيَّة، عبد الرحمن الوكيل، ط: مكتبة ابن عباس - القاهرة ٢٠١٦م، ط: ١، ١٩٩٨م.

٢١٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ت: إحسان عباس، ط: دار صادر- بيروت، ط:٧، ١٩٩٩م.

٢١٨- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، عبدالوهاب الشعراني، ط: دار إحياء التراث العربي — بيروت. بدون تاريخ طبع

فهرس الموضوعات

